وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
كلية الاداب _قسم التاريخ

الحيرة في القرنيين الأول والثاني الهجريين
دراسة تأريخية

رسالة تقدمت بها الى
مجلس كلية الاداب في جامعة الكوفة

فاطمة عبدالمنعم سعيد الصراف

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في
التاريخ الإسلامي

بأشراف
الأستاذ المساعد
الدكتور خالد موسى عبد الحسيني

١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

"وما اوتيتم من العلم الا قليلا"

صدق الله العلي العظيم

القرآن الكريم ، سورة الاسراء ، آية ٨٥

الإهداء

إلى والدَيَّ العزيزين وإخوتي

حسين ، حسن ، محمد ، علي

فاطمة

شكر وعرفان

- يوجب الوفاء اسداء الشكر وافرا الى استاذي الفاضل الدكتور خالد موسى، لتكلفه عناء الاشراف على هذه الرسالة ، ورفدها بكل مامن شأنه ان يجعلها بحثا أكاديميا مشتملاً على مقومات البحث العلمي ، فله مني جزيل الشكر والامتنان. - وأود أن أشكر أستاذنا الفاضل الدكتور حسن عيسى الحكيم الذي أعانني بآرائه القيمة وملاحظاته السديدة على انجاز هذا البحث ، فضلا عما أمدني به من مصادر ومراجع مهمة أغنت البحث والباحثة ، فجزاه الله –عز وجل – خير الجزاء ، وأبقاه ذخرا للعلم وأهله.

- ولايفوتني أن اشكر جميع أساتذتي الافاضل في قسم التاريخ ، وأخص منهم بالذكر السيد رئيس القسم الدكتور علاء الرهيمي ، والدكتور عبد الجبار ناجي والدكتور سمير صالح العمر ، والدكتور رياض حميد.

- كما أتوجه بخالص الشكر والاحترام الى الدكتور فليح حسن علي الذي قام بترجمة ملخص الرسالة الى الانجليزية ، فضلا عن رعايته الكريمة للباحثة ، اذ أعارها كثيرا من مصادر ومراجع البحث .

- كما وأزجي الشكر والعرفان الى الدكتور عقيل عبد الزهرة الخاقاني الذي غمرني بفضله ، وقوم لغتها ، لكي تأتي منسجمة مع ما فيها من مادة علمية ، فله مني خلص الشكر وألامتنان.

- وأشكر – أيضا- ادارتي مكتبتي الامام أمير المؤمنين – عليه السلام - ، والامام الحكيم العامة ، وجميع العاملين فيهما ،لما بذلوه من جهد ،اذ أتاحوا لي فرصة الاطلاع على معظم مصادر ومراجع هذا البحث ، فجزاهم الله – تعالى – خير جزاء المحسنين.

- ولايفوتني أن أشكر كل من أعانني بملاحظة أوجهد أسهم في انجاز هذا البحث ، وأخص منهم ، بالذكر عائلة المرحوم الحاج كاظم عبد الرسول شريف ، والانسة الفاضلة سلمى حسين (مديرة مكتبة كلية الاداب في جامعة الكوفة) ، وجميع العاملين معها ، والاخت العزيزة انعام محسن التي قامت بطباعة هذه الرسالة ، فلهم – جميعا– مني جزيل الشكر والامتنان

- وأخيراتوجه بالشكر الى كل من أستطع ذكره وقد مد لي يد العون ولو بالدعاء ، اليهم جميعا خالص شكري وكبير امتناني.

الباحثــة

المحتويات

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الفصــل الخامس

الفصل الأول

البعد التاريخي لمنطقة الحيرة قبل الإسلام

- الحيرة: التسمية والموقع الجغرافي.
- كيان الحيرة السياسي.
- الحياة الاجتماعية للحيرة قبل الاسلام.
- الدين والعبادات في الحيرة.
- اديرة الحيرة.
- الوضع الاقتصادي.
- الحياة الفكرية في الحيرة.

(الحيرة): التسمية والموقع الجغرافي

اختلف العلماء في اصل لفظة (الحيرة) ، فمنهم من قال انه عربي لاشتقاقه من الفعل حار الماء ، أي تردد لايدري كيف يجري وذلك لركود مياه بحر النجف[١]. او انه مشتق من الضلال ، أي الحيرة ، لان ملك اليمن على ما ذكره المؤرخون عندما خرج يريد الانبار[٢] وصل الى الحيرة وكان ذلك ليلاً فتحير لايعرف الطريق فأقام مكانه وسُمّي ذلك الموضع الحيرة[٣].

وقد اختلف المؤرخون كذلك في تفسير اسم الحيرة فمنهم من قال إنّ التسمية جاءت نسبة الى الحير الذي بناه الملك البابلي نبوخذنصر "٦٠٤-٥٦٢ ق.م" على النجف للتجار العرب وحصّنه ثم ضمهم فيه وسمي ذلك الحير الحيرة[٤]. ويذكر ان اول من نزل بها مالك ابن زهير بن عمرو بن فهم بن تيمم الله بن قضاعة فلما نزلها جعلها حيراً واقطعه قومه فسميت الحيرة بذلك[٥].

وذكرت الحيرة في الكتابات السريانية على انها حيرتا او حيرتو والتي تعني المعسكر او الحصن[٦]. كما عرفت الحيرة بالتلمود بأنها (حوطرا) او (حواطره) ويرى علماء التلمود كذلك بأنها هي الحيرة ، كما ذكرت كذلك تحت اسم (حيرتا دي طيبه) أي معسكر العرب او حيرة العرب[٧].

واطلقت على الحيرة تسميات اخرى جاءت من خلال ارتباطها بشخصية ملك ما او لصفة معينة اتصفت بها فسميت بحيرة النعمان او حيرة المنذر نسبة الى ملكها النعمان الاول (٤٠٣-٤٣١م) وكذلك المنذر بن ماء السماء (٥١٤-٥٦٣م)[٨]، ويبدو أنّ السبب في ذلك يرجع الى ما كان عليه هؤلاء الملوك من قوة ونفوذ على المنطقة برمتها ولاسيما (الحيرة) التي كانت مقراً لهم ولجمال الحيرة وحسن هوائها قيل لها الروحاء فذكرها عاصم بن عمرو قائلاً:

---

[1]) الزبيدي ، محمد مرتضى ، تاج العروس وجواهر القاموس ، تح: عبدالكريم الغرباوي ، لا.م ، د.ت ، ج١١، ص١١٨.

([2]) الانبار: مدينة على الفرات غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ طولها ٦٩,٥° وعرضها٣٢,٢°. الحموي ، شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت ، معجم البلدان ، تح: محمد عبدالرحمن المرعشلي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت ، ج١، ص٢٠٦.

([3]) ابن الفقيه ، ابو بكر بن محمد الهمذاني ، مختصر كتاب البلدان ، دار احياء التراث ، بيروت ، ١٩٨٨، ص١٦٨.

([4]) الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧، ج١، ص٥٥٨.

([5]) الحموي ، معجم البلدان ، ج٣، ص٢٠٢.

([6]) علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٩، ج٣، ص١٥٦.

([7]) علي ، المفصل ، ج٣، ص١٥٦؛ بابان ، جمال ، اصول اسماء المدن والمواقع العراقية ، ط٢، لا.م، بغداد ، د.ت ، ج١، ص١٠١.

([8]) المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ضبط وتدقيق: يوسف اسعد داغر، دار الاندلس ، بيروت ، ١٩٦٥، ج٢، ص٧٤؛ علي ، المفصل ، ج٣، ص١٥٦.

صبحنا الحيرة الروحاء خيلاً ورجلاً فوق اثباج الركـاب(٩)

ووصفت كذلك بالبياض ويبدو أنّ هذا الوصف جاء لحسنها اولاً ولبياض منازلها فقال الشاعر ابو الطمحّان الاسدي في ذلك:

وبالحيرة البيضاء شيخ مسلط اذا حلف الايمان بالله بَـرَّت(١٠)

ومهما يكن من امر في اختلاف اراء اللغويين والمؤرخين حول اصل وسبب التسمية فأن المقصود منه هو موضع يجتمع فيه الناس.

اما عن نشأة الحيرة فقد ورد كذلك اختلاف بين المؤرخين في تاريخها فمنهم من ذكر بأنها أنشئت في عهد الملك البابلي نبوخذنصر والحال لم يستمر بها اذ خُربت بعد وفاته وبقيت على ذلك حتى نزلتها القبائل العربية في مطلع القرن الثالث الميلادي او قبل ذلك التأريخ(١١).

اما البعض الاخر فيعود بها الى الاردوان ملك النبط(١٢) ، على انه هو الذي بنى الحيرة وأنشأها(١٣) ، وهناك من ارجع نشوء الحيرة الى الفترة نفسها التي أنشئت فيها امــارة الغساسنة(١٤) ، أي في حدود (١٦٥م) (١٥).

وعلى الرغم من اختلاف الروايات المتصلة بنشأتها لكن المتفق عليه هو ان الحيرة ظهرت كياناً سياسياً في بداية القرن الثالث الميلادي وقد شكلت هذه المدينة بعداً سياسياً للقبائل العربية المتواجدة في هذه المنطقة اذ كان لها دور فعال في تطور الاحداث وبخاصة مع اكبر امبراطوريتين ظهرتا في العالم آنذاك الا وهما الدولة الساسانية(١٦) ، في الشرق والدولة الرومانية(١٧) ، في الغرب ، لذلك حظيت بأهتمام الاخباريين والمؤرخين.

---

(9) الحموي ، معجم البلدان ، ج٣، ص٢٠٢.

(10) المرزوقي ، ابو علي احمد بن محمد ، شرح ديوان الحماسة ، لا.م ، القاهرة ، ١٩٥٣، ج٤، ص١٨٦٣؛ البلاغي سيد عبدالحجة ، تاريخ نجف اشرف وحيرة ، طهران ، ١٣٦٨هـ ، ص١٥٤.

(11) ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن ابي الكرم ، الكامل في التأريخ ، تح: ابو الفداء عبدالله القاضي ، ط٤، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣، ج١، ص٢٠٦.

(12) النبط: هم عامة سكان السواد اشتغلوا بالزراعة وخضعوا للساسانيين أبان فترة سيطرتهم على البلاد ، الراوي ، ثابت اسماعيل ، العراق في العصر الاموي ، ط٢، مطابع النعمـان ، النجف ، ١٩٧٠، ص١١٣.

(13) الطبري ، تاريخ ، ج١، ص٦١١.

(14) الغساسنة: وهي احدى الامارات العربية التي نشأت في بلاد الشام على اثر هجرة بعض القبائل العربية من اليمن لاسباب سياسية واقتصادية واستقرت بجوار عين ماء اسمها غسان بالشام فنسبت اليها. للمزيد عن ذلك ينظر: نولدكه ، ت ، امراء غسان ، ترجمة بندلي جوزي وقسطنطين زريق ، لا.م ، بيروت ، ١٩٣٣، ص٥٣.

(15) كريستنسن ، ارثر ، ايران في عهد الساسانيين ، ترجمة: يحيى الخشاب ، مراجعة: عبدالوهاب عزام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٥٧، ص٨٢.

(16) ظهرت الدولة الساسانيـة في ايران بحدود ٢٢٦م وضمت كل المناطق التي كانت تحت سيطرة الدولة الفرثية وكان جزء كبير من العراق من ضمنها فوقعت الحيرة في النطاق السياسي للدولة

الموقع الجغرافي

تقع الحيرة في وسط سواد العراق الذي هو من لدن تخوم الموصل شمالاً الى ساحل الخليج العربي وعبادان[١٨] جنوباً ، ويبلغ طول العلث[١٩] الى عبادان ، (١٢٥) فرسخاً[٢٠] ، وعرضه من حلوان[٢١] ، الى العذيب[٢٢] ، ٨٠ فرسخاً[٢٣].

وذُكِر بأنها تقع على مسافة ثلاثة اميال من الكوفة[٢٤] ، وامتازت الحيرة ببرودة شتائها وحرارة صيفها وكونها تقع في طرف العراق الغربي لذلك امتازت بقاء الجو وصفاءه[٢٥] ، ولحسن هواء الحيرة وصحته عُدّت منزلاً بريئاً صحيحاً من الادواء والاسقام[٢٦].

وقيل عنها: "المبيت ليلة بالحيرة أنفع من تناول شربة دواء"[٢٧]. وان الملك الساساني يزدجر بن بهرام (٣٩٩- ٤٢٠م) اراد لابنه بهرام منزلاً برّيئاً صحيحاً من الادواء والاسقام

فأختار الحيرة لتكون مقراً له فدفع ابنه الى النعمان الاول (٤٠٣- ٤٣١م) [٢٨].

الساسانية ، ينظر: كريستنسن ، ايران في عهد الساسانيين ، ص٧٣.

(17) سيطرت الدولة الرومانية على بلاد الشام وجزء من مناطق الجزيرة العربية فكانت على تماس مع حدود الدولة الساسانية فدخلت في حروب طويلة معها. للمزيد ينظر: غنيم ، أسمت ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية (٣٢٤- ١٤٥٣م) ، دار المعرفة ، الاسكندرية ، ١٩٨٧، ص٣٧- ٤٨.

(18) عبادان: هي حد السواد وتقع في الاقليم الثالث ، طولها ٧٥° وعرضها ٣١°، وذكر انها كانت قطيعة لحمران بن آبان مولى عثمان بن عفان ، الحموي ، معجم البلدان ، ج٦، ص٢٩٠.

(19) العلث: وهي اول قرية في العراق شرقي دجلة بالقرب من سامراء ، الحموي ، معجم البدان ، ج٦، ص٣٤٥.

(20) هناك اختلافات في هذه القياسات واقرب صورة لذلك هي: البريد = فرسخان ، الفرسخ = ثلاثة اميال عربية ، الفرسخ= مابين ٤,٧٠٠ الى ٥,٩١٩كم ، الميل = مابين ١,٧٣٠- ١,٧٩٠، أي (٥٠كم تقريباً).

(21) حلوان: وهي اخر حدود السواد مما يلي الجبال في بغداد ، الحموي ، معجم البلدان ، ج٣، ص١٧٣.

(22) العذيب: وهو حد السواد ، وقيل هو ماء مابين القادسية والمغثية ، او مسلحة كانت للفرس. الحموي ، معجم البلدان ، ج٦، ص٣٠٤.

(23) ابن رستة ، ابو علي احمد بن عمر ، كتاب الاعلاق النفسية ، دار احياء التراث ، بيروت ، ١٩٨٨، ص١٠١.

(24) ابو الفداء ، عماد الدين اسماعيل ، كتاب تقويم البلدان ، تصحيح: رينودوكوكين ديسلان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، ١٨٤٠، ص٣٩٩.

(25) الدينوري ، ابو حنيفة احمد بن داود ، الاخبار الطوال ، تح: عصام محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠١، ص٩٧؛ الحميري ، محمد بن عبدالمنعم ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تح: احسان عباس ، دار القلم للطباعة ، بيروت ، ١٩٧٥، ص٢٠٧.

(26) الطبري ، تاريخ ، ج٢، ص٦٥.

(27) الاصفهاني ، حمزة بن الحسن ، تاريخ ملوك الارض ، اهتمام: كبير الدين احمد ، مطبعة مظهر العجايب ، كلكتة ، ١٨٦٦، ص٩٩.

(28) الطبري ، تاريخ ، ج٢، ص٦٥.

وفي الحيرة نهر يسمى العتيق كان الفرات ينتهي اليه ، وكانت عليه وقعت القادسية[٢٩] ، وقيل أن أول من شق نهر الحيرة هو تبّع عندما سار بجنوده ونزل الحيرة[٣٠] ، وكان بحر النجف (المالح) يبلغ الحيرة حتى اصبحت مرفأ لسفن البحر من الصين والهند وغيرها[٣١] ، ومن الحيرة ترمق بالعين الواحدة البحر وبالعين الاخرى بادية الشام[٣٢] ،وهذا يعني ان طرفاً منها يقع على الصحراء والاخر على البحر مما اعطاها اهمية ستراتيجية كبيرة من الناحتين الاقتصادية والعسكرية اذ أسُتِخدم البحر لاغراض التجارة ونقل البضائع ، اما الصحراء فكانت ملجأ يلجأ اليه اهل الحيرة عندما تتعرض مدينتهم للغزو او أي خطر اخر.

ولهذه الخصائص الجغرافية التي تمتعت بها الحيرة فقد ذاع صيتها بين البلدان وسارت اليها الركبان من كل ناحية واقبل عليها الغني والفقير لما فيها من ترف العيش واماكن الراحة والاستقرار ليس هذا فحسب بل حظيت بمنزلة رفيعة من لدن اهل الادب فأغدقوا عليها بشعرهم ومدحوا ملوكها وتغنوا بجمالها وهوائها[٣٣].

كيان الحيرة السياسي

يمثل تاريخ مدينة الحيرة السياسي احد الفصول المهمة في تاريخ العرب قبل الاسلام ولاسيما تاريخ العراق ، وقد اجريت العديد من الدراسات التاريخية التي حاولت سد اغلب الثغرات عن التاريخ السياسي لهذه المدينة ، وعلى الرغم من سعة وكثرة مايرويه الاخباريون ويكتبه المؤرخون الا انه لايخلو من اضطراب وتناقض فمثلاً يُعدُّ ابن الكلبي (ت٢٠٤هـ) اول من كتب في تاريخ (الحيرة) وكان يقول "اني كنت استخرج اخبار العرب وانساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ اعمار من عمل منهم لآل كسرى وتأريخ سنيهم من بيع الحيرة وفيها ملكهم وامورهم كلها"[٣٤] ، فله روايات يناقض بعضها بعضاً واخبار لاتؤيد هذا الزعم بوصفه المرجع الاول[٣٥]. لذا ليس من السهل تحديد الكيانات السياسية الاولى لها ، لكن بداية مُلك الحيرة برز على يد زعيم تنوخ مالك بن فهم (١٣٨- ١٥٨م) ، حيث نزحت هذه القبائل من ارض الجزيرة العربية (تهامة)

---

(29) المسعودي ، مروج الذهب ، ج١، ص١١٨؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٩٩.
(30) الطبري ، تاريخ ، ج٢، ص٩٦.
(31) الحميري ، الروض المعطار ، ص٢٠٧؛ الالوسي ، محمود شكري البغدادي ، بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ، صححه وضبطه: محمد بهجت الاثري ، ط٣، دار الكتاب العربي ، مصر ، د.ت ، ج٢، ص١٧٥.
(32) غنيمة ، يوسف رزق الله ، الحيرة المدينة والمملكة العربية ، مطبعة دنكور ، بغداد ، ١٩٣٦، ص١٠.
(33) عباس ، وجدان صالح ، الشعر في حاضرة الحيرة قبل الاسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للبنات ، جامعة الكوفة ، ٢٠٠٢، ص٧.
(34) الطبري ، تاريخ ، ج٢، ص٣٧.
(35) علي ، المفصل ، ج٣، ص١٦٢.

الى البحرين بسبب حروب نشبت بينهما وكان من بينها جماعة من الازد سكنوها منذ عهد عمران بن عمرو وهو ماء السماء بن حارثة ، وهو الغظريف بن ثعلبة بن امرؤ القيس بن مازن بن الازد(٣٦).

واستقرت هذه القبائل في البحرين الى جوار قبيلة قضاعة بزعامة مالك بن عمرو ابناء فهم بن تيم الله بن اسد بن وبرة ومن القبائل التي لحقت بهم الحيقار بن الحيق بن عمير بن قنص بن عدنان في جماعة من قومه واخلاط من الناس ، وقبائل اياد بزعامة غطفان بن عمرو بن نزار بن عدنان ، وقبائل صبح بن صبيح بن الحارث بن دعمي بن اياد(٣٧) ، فأجتمعت هذه القبائل في البحرين وعقدت بينها حلفاً وقد سمي هذا الحلف بحلف (تنوخ) وتعاقدوا على التوازر والتناصر فصاروا يداً على الناس وضمهم اسم تنوخ فكانوا بذلك الاسم كأنهم عمارة من العمائر(٣٨). وتشير بعض المصادر الى ان هذه القبائل قد اتخذت من البحرين محطة اولى لها ثم انتقلت الى العراق(٣٩). وان اول من دخل ارض العراق من هذه القبائل هي قبائل قنص بن معد بزعامة الحيقار وقبائل الازد بزعامة مالك وعمرو بن فهم وطلعوا على الانبار ، ولحقت بهم قضاعة ، واستوطنت قبيلة نمارة بن قيس بن نمارة بن قيس وقبيلة ملكان من كندة وقبيلة النجدة من العماليق الى جوار مالك بن فهم فيما بين الحيرة والانبار(٤٠). فأصبح في الحيرة جمع من القبائل العربية من مذحج وحمير وطي وكلب وتميم(٤١) ، ويروي المسعودي في سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن هو انه رأى السيل العرم في النوم وقيل له "ان آية ذلك ان ترى الحصباء قد ظهرت في سعف النخل فذهب الى سعف النخل ورأى الحصباء قد ظهرت فقرر الخروج وكان له أخٌ كاهن يدعى عمران فقال لهم: من كان يريد الثياب الرقاق والخيول العتاق والكنوز والارزاق فليلحق بالعراق وكان الذين لحقوا بالعراق منهم مالك بن فهم الازدي وولده"(٤٢).

وعندما وصلت جميع هذه القبائل الى العراق كان اول من ملك منهم (مالك بن فهم) وبعد موته ملّك من بعده اخوه عمرو بن فهم الذي لم يرد عنه شيء في المصادر التاريخية ، فجاء بعده

---

(36) ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد الاندلسي ، جمهرة انساب العرب ، تح: عبدالسلام هارون ، ط٥، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت ، ص٣١١.

(37) الطبري ، ج١، ص٦٠٩.

(38) المصدر نفسه ، ج١، ص٦١٠.

(39) الاصفهاني ، حمزة ، تاريخ ملوك الارض ، ص٨٣.

(40) الطبري ، تاريخ ، ج١، ص٦١١.

(41) العلي ، صالح احمد ، معالم العراق العمرانية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٩، ص٢٠.

(42) مروج الذهب ، ج٢، ص١٧٢.

جذيمة الابرش (٢٠٨- ٢٦٨م) ابن مالك بن فهم بن غانم بن دوس الازدي[٤٣] ، وملك جذيمة عشرين ومئة سنة وكان اول من اتخذ داراً[٤٤].

وهذا يدل على ان هذه القبائل قد اتخذت مساكن استقرار ولم تعد تتنقل من مكان الى اخر وبتعبير اخر كان ذلك يعني تأسيس النواة الاولى لمدينة الحيرة. الا ان الكيان السياسي الحقيقي للحيرة هو الذي اقامه عمرو بن عدي بن نصر بن نمارة بن لخم (٢٦٨- ٢٨٨م) ، وهو اول من نزل من الملوك بالحيرة واتخذها منزلاً[٤٥] ، تسلم العرش بعد مقتل خاله جذيمة الابرش على يد الزّباء[٤٦] ، فلم يزل ملكاً حتى مات وهو ابن مائة وعشرين سنة منفرداً بملكه مستبداً بأمره يغزو المغازي ويصيب الغنائم[٤٧]. ثم ملك بعده ابنه امرؤ القيس (٢٨٨- ٣٢٨م). وتوالى الملك لهم حتى النعمان الثالث ابن المنذر الرابع (٥٨٥- ٦١٣م). الذي قتله كسرى ابرويز (٥٩٠- ٦٢٨م) اذ بلغت الحيرة في عهده ذروة مجدها السياسي والحضاري وكان بلاطه موئلاً للعرب وشعرائها اذ صار منتداً ثقافياً وفكرياً ، وتعاظمت منزلة الحيرة السياسية بين العرب وصارت للنعمان علاقات وثيقة مع القبائل العربية المحيطة

بالحيرة وكذلك مع اليمن والجزيرة[٤٨]. وبعد مقتله من قبل كسرى ، ملك الفرس بعد ذلك أياس بن قبيصة الطائي (٦١٣- ٦١٧م) [٤٩]. ثم دخلت الحيرة تحت الحكم الفارسي المباشر وبقت على حالها نتيجة انتصار العرب في ذي قار[٥٠] ، وبعد ذلك عاد اليها الحكم العربي ثانية الى السلالة اللخمية وبقى حتى الفتح العربي الاسلامي للحيرة[٥١].

([43]) الطبري ، تاريخ ، ج١، ص٦١٢.

([44]) علي ، المفصل ، ج٣، ص١٦٨.

([45]) ابن مسكويه ، احمد بن محمد ، تجارب الامم وتعاقب الهمم، لا.م ، ليدن ، ١٩٠٩، ج١، ص١٦٩.

([46]) الزّباء: هي ابنة عمرو بن ظرب بن حسان بن اذينة بن السميدع ملكة الشام والجزيرة. للمزيد من التفاصيل ينظر: المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢، ص٦٩.

([47]) الطبري ، تاريخ ، ج١، ص٦٢٧.

([48]) الشبلي ، زينب ابراهيم ، ارض السواد ، دراسة في احوالها الاجتماعية والاقتصادية حتى نهاية العصر الاموي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة الكوفة ، ١٩٨٨، ص٢٣.

([49]) للمزيد عن ذلك ينظر: الاعظمي ، علي ظريف ، تاريخ الدول الفارسية في العراق ، مطبعة الفرات ، بغداد ، ١٩٢٧، ص٤٢؛ ماجد ، عبدالمنعم ، التاريخ السياسي للدولة العربية ، ط٥، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٥، ج١، ص١٦٩.

([50]) سنتناول موضوع ذي قار بالتفصيل في الفصل الثاني.

([51]) ابي الفداء ، ، المختصر في اخبار البشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧، ج١، ص١١٦.

وكان عدد الملوك الذين حكموا الحيرة من بني نصر وغيرهم من العرب والفرس ثلاثة وعشرين ملكاً[٥٢] ، ومدة حكمهم بلغت ٤٩٤ سنة أي من (١٣٨- ٦٣٢م)[٥٣].

ان قيام دولة المناذرة كان بدعم وتأييد من الدولة الساسانية لتتخذها حداً فاصلاً بينها وبين القبائل العربية لصد هجماتهم المتواصلة على الحدود الغربية للدولة الساسانية ومن ثم تتخذ الحيرة في حروبها المستقبلية ضد الدولة الرومانية في بلاد الشام[٥٤]. لذلك كان ملوك الحيرة تابعين للدولة الساسانية وهي بدورها تمنحهم لقب الملك وحسب ما ورد في كتاب اردشير "كل من يجيء الينا مقدماً فروض الطاعة لن نخلع عنه لقب الملك"[٥٥].

وعلى الرغم من تبعية المناذرة لملوك آل ساسان الا انهم لم يكونوا خاضعين لهم خضوعاً تاماً ، بل انهم كانوا مستقلين ليس لملوك الفرس عليهم سوى السيادة الرسمية والمعونة والنجدة في الحروب الخارجية وتقليدهم التاج[٥٦]. وكانت الحيرة تمتلك جيشاً قوياً اخافَ الاعراب الذين سكنوا الاراضي التي كانت تابعة لسلطة ملوك الحيرة اذ اصبحوا مضطرين للاذعان ودفع الاتاوات خوفاً من ان تسحق بقوة الجيش الحيري لكنها تصبح بحل من طاعتهم عند مغادرة اراضيهم[٥٧]. ولكي تبقى تلك القبائل تحت السيطرة السياسية لدولة الحيرة ولا تحاول الخروج عنها ، فقد اعتاد الجيش الحيري على أخذ الرهائن منها والذين يقدرون بخمس مئة شخص كل عام يستخدمونهم عند الحاجة في حروبهم ويجري تبديلهم كل عام[٥٨].

وان لهذا الجيش مشاركات الى جانب الجيش الفارسي في حروبه ضد الدولة الرومانية وهذا يعطي دليلاً واضحاً على قوة سلطة الحيرة ونفوذها في شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام[٥٩].

الحياة الاجتماعية للحيرة قبل الإسلام

ـ مكونات سكان الحيرة

([52]) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢، ص٦٦.
([53]) الاعظمي ، علي ظريف ، تاريخ ملوك الحيرة ، المطبعة السلفية ، مصر ، ١٩٢٠، ص١١٨.
([54]) شلبي ، احمد ، التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٤، ج١، ص١١٢.
([55]) كرنيستنسن ، ايران في عهد الساسانيين ، ص٨٨.
([56]) الاعظمي ، تاريخ ملوك الحيرة ، ص١٢٠.
([57]) كستر ، م.ج ، الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية ، ترجمة: يحيى الجبوري ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٦، ص١٩.
([58]) العريز ، حسين قاسم ، موجز تاريخ العرب والاسلام ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٧١، ص٨٣.
([59]) الاعظمي ، تاريخ ملوك الحيرة ، ص١٢٠.

كان لطبيعة الموقع الجغرافي للحيرة اثرٌ بالغ في تنوع سكانها ، وقد اشرنا الى ان موقعها على حافة بادية السماوة[٦٠] ، جعل مجتمعها متأثراً الى حد كبير بطبيعة تكوين المجتمع البدوي العربي ، حيث سكنى القبائل العربية المتنقلة ، وبالرغم من اشتغال معظم اهل الحيرة بالتجارة واعمال المجتمع المدني الا انه لم يتخلَّ عن التركيبة الاجتماعية القبلية القائمة على اساس القبيلة والاسرة[٦١].

ولما كان الموقع الجغرافي والعامل الاقتصادي هما اساس استقطاب السكان في الحيرة لذلك فقد تنوعت عناصر السكان فيها ومنهم:

أولاً: العرب

ان معظم سكان الحيرة كانوا من العرب الذين طغت عليهم القيم الاجتماعية العربية كالانتساب والتعصب للقبيلة وصلة الرحم والاعتزاز بالعائلة فضلاً عن التمسك بالفضائل العربية في مجالات الحياة كافة كالكرم والشجاعة وحب الضيافة[٦٢]. وقد قسمهم الاخباريون الى ثلاث فئات هي:

أ- التنوخ

قبائل عربية تشكل الغالبية العظمى لسكان الحيرة الذين سكنوا "المضال وبيوت الشعر والوبر في غربي الفرات فيما بين الحيرة والانبار وما فوقها"[٦٣].

ويرى جواد علي ان تنوخ هذه هي التي ذكرها بطليموس في جملة القبائل التي قامت في ايامه ، وهي وان كانت في جغرافيته في مواضع بعيدة عن الحيرة غير ان ذلك لايمنع من انتقال بطون منها بعد ايامه الى الحيرة وبادية الشام واستقرارهم فيها[٦٤].

ب- العباد

(60) السماوة: بادية بين الكوفة والشام قفرى ، الحموي ، معجم البلدان ، ج٥، ص٦٥.
(61) غنيمة ، الحيرة ، ص٩٥.
(62) الملاح ، هاشم يحيى ، الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار الكتب للطباعة ، الموصل ، ١٩٩٤، ص٢٤٤.
(63) الطبري ، تاريخ ، ج٢، ص٤٣؛ وينظر: ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، دار الهلال ، بيروت ، ١٩٨٨، ص٢٥٩.
(64) المفصل ، ج٣، ص١٦٩.

وهم من العدنانيين وقيل من قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانية في الحيرة فسموا بالعباد(٦٥). وجاءت هذه التسمية لكونهم عبدوا الله سبحانه وتعالى(٦٦) ، وكانوا من الزهاد والعباد انقطعوا في الصوامع والديارات فأطلق عليهم ذلك الاسم(٦٧).

ومن ينتسب اليهم يقال له عبادي(٦٨). وقيل سموا بهذا الاسم لان اكثر أسمائهم كانت عبدالله وعبد المسيح وعبد يسوع وعبد ياليل وعبد كلال(٦٩). فلما دخلوا على كسرى وكانت اسماؤهم كلها تبدأ بعبد فقال لهم انتم عباد كلكم فسموا بالعباد(٧٠). ومنهم من يرى انهم سموا بالعباد لانهم لما قاتلوا سابور الاكبر (١٤٢- ٢٧٢م) اتخذوا شعاراً لهم ، يا آل عباد فسموا بالعباد(٧١).

وانشد بعضهم هذا القول:

نحن العُبّادُ ربُّنا الرحمّن

له علينا الطوعُ والاذعان(٧٢)

اما نسبهم فيذكر انهم بطن في جديلة من لخم(٧٣). ومنهم من قال انهم من بني عبدالقيس بن اقص بن دعمي بن حديلة بن اسد بن ربيعة(٧٤).

وان تسمية العباد بحسب مايراه جواد علي لم تقتصر على قبيلة معينة وانما شملت قبائل شتى تجمعهم وحدة الدين ووحدة الموطن لذلك لم يطلق الا على نصارى الحيرة اما غيرهم من النصارى العرب فلم يشملهم اسم العباديين(٧٥).

---

(65) الاعظمي ، تاريخ ملوك الحيرة ، ص١٤٠.
(66) القفطي ، جمال الدين ابي الحسن علي ، اخبار العلماء بأخبار الحكماء ، لا.م ، بيروت ، د.ت ، ص١١٩.
(67) الاعظمي ، تاريخ ملوك الحيرة ، ص١٢٩.
(68) الزبيدي ، تاج العروس ، ج٨، ص٣٣٨.
(69) الاعظمي ، تاريخ ملوك الحيرة ، ص١٢٩.
(70) غنيمة ، الحيرة ، ص١٦.
(71) علي ، المفصل ، ج٣، ص١٧٠.
(72) ابي البقاء ، هبة الله الحلي ، المناقب المزيدية في اخبار الملوك الاسدية ، تح: صالح موسى درادكة ومحمد عبدالقادر ، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان ، د.ت ، ج١، ص١٠٨.
(73) ابن عبد ربه ، شهاب الدين احمد الاندلسي ، العقد الفريد ، تقديم: خليل شرف الدين ، الطبعة الاخيرة ، دار الهلال ، بيروت ، ١٩٩٩، ج٣، ص١٢٢.
(74) السهيلي ، ابو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله ، الروض الانف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، قدم له: طه عبدالرؤوف سعيد ، دار المعرفة للطباعة ، بيروت ، ١٩٧٨، ج١، ص٨٦.
(75) المفصل ، ج٣، ص١٧٠.

يبدو ان هذه التسمية اطلقت على نصارى الحيرة فقط نتيجة تعدد الاديان فيها ، ولما كانت النصرانية فئة قليلة في باديء الامر وتوسعت بعد ذلك نرى ان هذا الاسم لازم جميع نصارى الحيرة.

وكان من عباد الحيرة شيوخ وعلماء اشتهروا بالكتابة في عهد جهلها اكبر الشعراء النوابغ[٧٦]. كما مارس بعضهم نوعاً من الصناعات[٧٧]. وكان من ابرز شيوخ العباد فيما بعد ابو عثمان الحيري[٧٨].

ومهما يكن من امر فأن هؤلاء العباد كانوا قوماً متحضرين عاشوا حياة التمدن والاستقرار ، وكان لهم مقام وشأن في تاريخ العراق قبل الاسلام وبعده[٧٩]. لما لهم من معارف وعلوم شتى وفهم للعديد من اللغات لذلك اتخذهم الفرس مترجمين[٨٠].

ج- الأحلاف

هم قبائل عربية ايضاً سكنت الحيرة والتحقوا بالعباد ممن لم يكونوا من تنوخ (اهل الوبر) وانما نزلوا بالقرب منهم ومن ثم تحالفوا معهم[٨١]. ويعتقد البعض انهم من احياء كثيـرة ، منهم بنو لحيان من بني الحارث من كعب ، وقوم من غسان ... ومنهم قوم من عبد القيس بن افص بن الاوس بن عمرو بن عامر وبنو حيه من طي وهم رهط اياس بن قبيصة الطائي ، الذي استعمله كسرى على الحيرة بعد النعمان كما اشرنا سابقاً ، ومن حنيفة بن لخم ، ومن نمير بن عامر ، واهل بيت من اسيد بن حزيمة يقال لهم بنو شجرة ، وقيل انه دخل بهم قوماً من قريش من ولد عبدالله الاعرج بن عبد شمس بن عبد مناف ، وقريش تنكر ذلك ويقولون ان عبدالله الاعرج لم يعقب ، وان اسم الاحلاف كان يجمع قوماً من اربعة عشر حياً بالحيرة[٨٢].

ويقع تحت اسم الاحلاف كل القبائل التي تدين بالولاء لسلطة المناذرة ويتوقف عدد هذه القبائل على امتداد ونفوذ سلطة المناذرة من جهة ، واعتراف هذه القبائل بسيادة المناذرة وسلطانهم عليهم من جهة اخرى[٨٣].

ثانياً: النبط

---

(76) الخيون ، رشيد ، الاديان والمذاهب بالعراق ، ط٢، منشورات لسـان الصـدق ، قم ، ٢٠٠٥، ص١٥٥.
(77) علي ، المفصل ، ج٣، ص١٧١.
(78) القزوينـي ، زكريـا بن محمد بن محمود ، اثار البلاد واخبار العباد ، دار صـادر ، بيروت ، ١٩٦٩، ص٣٦٠.
(79) الاعظمي ، تاريخ ملوك الحيرة ، ص١٤٠.
(80) علي ، المفصل ، ج٣، ص١٧١.
(81) الطبري ، تاريخ ، ج٢، ص٤٣؛ الحموي ، معجم البلدان ، ج٣، ص٢٠٤.
(82) ابو البقاء ، المناقب المزيدية ، ج١، ص١٠٩.
(83) كستر ، الحيرة ومكة ، ص٢٠.

يعد النبط من مكونات المجتمع الحيري ايضاً ، وقد اختلفت الاراء في اصولهم وسبب تسميتهم ، فمنهم من ذكر انهم من بقايا الكلدانيين والبابليين والاراميين في العراق الذين يتكلمون اللغة الارامية وقد ذكر اسم بلادهم لدى الكتاب النصارى بأسم (بيت ارامايا) أي ديار الاراميين[٨٤]. ومنهم من ذكر بأنهم جيل من العجم ينزلون البطائح في سواد العراق كانوا يتخذون من الزراعة مهنة لهم وسموا بذلك لكثرة النبط عندهم وهو الماء ، وسمي اولاد شيت انباطاً لانهم نزلوا هناك ثم استعمل هذا الاسم في عامة الناس واخلاطهم[٨٥]. اما المسعودي فيرى ان النبط هم نبيط بن ماش بن ارم بن سام بن نوح[٨٦]. او انهم من بقايا العراقيين القدماء ، تكلموا برطانة واضحة وقد تأثر بعض عرب الحيرة برطانتهم[٨٧].

ومهما يكن من امر فالواضح ان هؤلاء هم اقوام ذو اصول سامية استقروا مع ساميّ العراق واختلطوا بالاعاجم وانصهروا معهم.

ثالثاً: الجاليات الاخرى

سكنت الحيرة جاليات متعددة ويرجع هذا الامر الى عدة اسباب يأتي الموقع الجغرافي وطبيعة المنطقة في مقدمتها ، حيث كان ناس من العرب يُحدِّثون في قومهم الاحداث او تضيق بهم المعيشة فيخرجون الى ريف العراق وينزلون الحيرة[٨٨]. ولما كانت الحيرة بلدة تجارية وميناء نهرياً لذا فقد اصبحت سوقاً لفنون العرب وادابهم قبل الاسلام[٨٩]. فقصدها القريب والبعيد اما للتجارة او انه استطاب العيش فيها[٩٠].

وهناك سبب اخر لوجود هذه الجاليات وهو السيطرة الفارسية على العراق ووجود الفرق العسكرية والتي يطلق عليها اسم (الوضائع)[٩١]. التي استوطنت في الحيرة واختلطت مع اهلها ، كما استوطن اليهود في الحيرة على اثر نزوحهم من فلسطين[٩٢]. ثم انتقل هؤلاء اليهود الى الكوفة بعد تمصيرها[٩٣]. ويذكر ان هناك جاليات يونانية في مدينة الحيرة كان لها اثرٌ كبيراً في نشر الفكر الفلسفي اليوناني فيها اذ كان اهل الحيرة "يعتمدون على الفلسفة اليونانية

---

(84) غنيمة ، الحيرة ، ص١٨.
(85) الزبيدي ، تاج العروس ، ج٢، ص١٣١- ١٣٢.
(86) مروج الذهب ، ج٢، ص٢٦.
(87) علي ، المفصل ، ج٣، ص١٧٢.
(88) الطبري ، تاريخ ، ج٢، ص٤٣.
(89) الحسني ، عبدالرزاق ، العراق قديماً وحديثاً ، ط٣، مطبعة العرفان ، صيدا ، ١٩٥٨، ص٨٤.
(90) العلي ، محاضرات ، ص٣٦.
(91) الوضائع: رجال من الفرس يقدر عددهم بألف رجل يضعهم ملك الفرس بالحيرة لنجدة ملوك العرب. ينظر: الالوسي ، بلوغ الارب ، ج٢، ص١٧٦.
(92) علي ، المفصل ، ج٣، ص١٧٥.
(93) الزبيدي ، محمد حسين ، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة ، المطبعة العالمية ، القاهرة ، ١٩٧٠، ص١٠٥.

ويدرسونها"[٩٤]. ويبدو ان بعض اهل الحيرة الذين برعوا في ترجمة الكتب اليونانية قد تعلموا اللغة من هذه الجاليات.

ولاريب في ان لتعدد هذه الجاليات اثراً حضارياً ناتجاً عن امتزاج هذه الثقافات المختلفة وهذا ما حدث فعلاً في الحيرة اذ اصبحت مثالاً للعلم والادب والفن. كما يعود لها الفضل في احلال الثقافة الفارسية والارامية واليونانية والثقافة الشمالية عامة في الجزيرة العربية قبل الاسلام[٩٥].

الدين والعبادات في الحيرة

تعددت الاديان واختلفت في الحيرة والسبب في ذلك يرجع الى اختلاف اجناس الحيريين الا ان اكثر العرب في الجاهلية كانوا على الديانة الوثنية فجذيمة الابرش كان له صنمان يقال لهما الضيزنان وكان يستسقي بهما ويستنصر بهما على العدو وكان مكانهما معروفاً في الحيرة[٩٦].

وظلت عبادة هذين الصنمين مدة طويلة في الحيرة فجعلهما النعمان الاكبر (٤٠٣-٤٣١م) بباب الحيرة ليسجد لهما من دخل الحيرة امتحاناً للطاعة[٩٧]. وكانوا يذبحون الذبائح للاصنام[٩٨].

وعرفت في الحيرة البيوت المقدسة التي اطلق عليها اسم الكعبات[٩٩]. وكانت احداها بسنداد وهي من اعمال الحيرة ، وذكرها الاسود بن يعفر:

اهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد[١٠٠]

كما كان لديهم صنم اخر قد شُبه بالكعبة وهو صنم ذات الودع[١٠١].

وقد انتشرت في الحيرة الديانة المسيحية وكانت لهم اسبابهم في أعتناقها فمن حيث الموقع الجغرافي للحيرة على حدود الاراضي التابعة للبيزنطيين جعلها تتأثر بالنصرانية ومن ثم تتنصر. وهناك من يرى ان البدايات الاولى لدخول المسيحية الى الحيرة يرجع الى سنة ٢٦٠م عندما نقل شابور الاول (٢٤١-٢٧٢م) الاسرى المسيحين الى الحيرة[١٠٢]. فبدأ الاحتكاك بين السكان الاصليين وبين هؤلاء الاسرى.

---

(94) علي ، المفصل ، ج٦، ص٥٩٩.

(95) جوارو ، ايشو مالك خليل ، الاشوريون في التاريخ ، نقله الى العربية ودققه: سليم واكيم ، منشورات واكيم اخوان ، بيروت ، ١٩٦٢، ص١١٨.

(96) الطبري ، تاريخ ، ج١، ص٦١٤.

(97) عبدالغني ، عارف ، الحيرة في الجاهلية والاسلام ، دار كنان ، دمشق ، ١٩٩٣، ص٤٢٧.

(98) ماجد ، التاريخ السياسي للدولة العربية ، ج١، ص٩١.

(99) غنيمة ، الحيرة ، ص٣١.

(100) الكلبي ، ابي المنذر هشام بن محمد بن السائب ، الاصنام ، تح: احمد زكي باشا ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ١٩١٤، ص٤٥.

(101) ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص٤٩٤.

(102) رستم ، اسد ، اراء وابحاث قسم الدراسات التاريخية ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ،

وهناك عامل اخر وهو الاتصال التجاري والزيارات من الحيرة واليها ، والعامل الاكثر تأثيراً الا وهو العامل الروحي اذ ان النصرانية كانت اقوى تأثيراً من الديانات والمعتقدات الفارسية كالزرادشتية والمزدكية وعبادة النار[١٠٣]. ولما كانت العرب لاتختلف مع المسيحية بأن الله هو رب الكون وما عبادة الاوثان والاصنام الا تقرباً لله لذلك كانت المسيحية اقرب الى اذهان وافكار العرب من المعتقدات الفارسية[١٠٤].

كما ان لرجال الدين المسيحي اثراً كبير في نشر ديانتهم اذ توغلوا في البوادي واتصلوا بالعرب كل هذا زاد من عمق الاتصال وزاد من التفاعل بين العرب واصحاب الديانة المسيحية. ولايفوتنا ان نذكر ان العرب كانوا ينظرون الى الفرس نظرة المحتل بالمفهوم الحديث وان منحوهم حكماً اشبه بالمستقل الا انهم يبقون تابعين للفرس ومعلوم ان العرب يكرهون التبعية بأي شكل من اشكالها ، لذلك لم يتأثروا بدياناتهم.

لقد اختلف المؤرخون في ذكر اول من تنصر من ملوك الحيرة ، فهناك من قال انهم تنصروا على عهد امريء القيس الاول (٢٨٨-٣٣٨م) والى قائل اخر يقول بأنهم تنصروا في عهد النعمان بن المنذر (٥٨٣-٦٠٥م) وغيرها من الاراء[١٠٥]. ويبدو واضحاً ان النصرانية تسللت الى الحيرة عن طريق النساء اكثر من الرجال وهناك اشارة الى توطين المسيحية في العراق جاء عن طريق ازواج ملوك الحيرة[١٠٦]. بأختلاطهن مع النصرانيات او عبر العلاقات الاجتماعية[١٠٧].

وكان من بين هذه الازواج هند بنت الحارث بن عمرو الغسانية زوج المنذر بن امريء القيس (٥١٣- ٥٦٢م) فلما مات المنذر انشأت ديراً في الحيرة عرف بأسمها. وقد اثرت هند في ابنها فتنصر[١٠٨]. ويبدو ان المسيحية قد اعُتنقِت في الحيرة قبل ذلك التاريخ لانه ظهر في سجل الكنيسة الشرقية ان الحيرة كان عليها أسقف سنة ٤١٠م وان ملكها حمى النصرانية سنة ٤٢٠م[١٠٩]. وقد اعتنق نصارى الحيرة المذهب النسطوري[١١٠] في تنصرهم[١١١]. وهذا المذهب

١٩٦٧، ص٢١٤.

([103]) عن الديانة الفارسية وتفاصيلها ينظر: طه باقر وفوزي رشيد ورضا جواد هاشم ، تاريخ ايران القديم ، مطبعة جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٨٠، ص١٨١.

([104]) عبدالغني ، الحيرة ، ص٤٧٧.

([105]) عبدالقادر ، حامد ، الاسلام ظهوره وانتشاره في العالم ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٧، ص٦٠.

([106]) الخيون ، الاديان والمذاهب بالعراق ، ص١٥٤.

([107]) عبدالغني ، الحيرة ، ص٤٧٧.

([108]) رستم ، اراء وابحاث ، ص٢١٤.

([109]) عبدالقادر ، الاسلام ، ص٦١.

([110]) المذهب النسطوري: هو احد مذاهب الديانة المسيحية وكان مذهب الكنيسة الشرقية ، لمزيد من

كان مخالفاً للكنيسة الرومانية(١١٢). لذلك لم يجد الفرس بدّاً من اضطهادهم في باديء الامر لاسباب سياسية ثم وقعت اضطهادات عليهم حيناً بعد حين(١١٣).

وقد انتشرت المسيحية بشكل واسع في الحيرة حتى باتت الحيرة تصّدر دعاة المسيحية على شكل تجار خمر يرسلهم العباد الى قلب الصحراء ليدعوا العرب الى المسيحية(١١٤).

ومن الديانات الاخرى التي عرفت في الحيرة هي الديانة المانوية فيذكر ان عمرو بن عدي قد حمى من اعتنقها(١١٥). ولكن هذا لايعني بالضرورة ان اهل الحيرة كانوا على هذه الديانة وربما يقصد بأنه حمى من قصد الحيرة من الجالية الفارسية من اتباع ماني وبخاصة وان اتباع ماني قد تعرضوا الى التنكيل والقتل بعد مقتل ماني على يد الملك الساساني بهرام (٢٧٦-٢٩٣م).

ويرى الجغرافيون ان موقع الحيرة الجغرافي جعلها ملاذاً لاهل الديانات المضطهدة كالمانوية والمزدكية وغيرها ، بسبب ما تتضمنه من بيئات مؤهلة للعزلة(١١٦).

وظهرت الزندقة(١١٧) ، في الحيرة وانتقلت منها الى قريش(١١٨) ، ومن بين من اخذ الزندقة من الحيرة ابو سفيان بن حرب والنضر بن الحارث ومنبّه ونبيه وابنا الحجاج السهميان والعاص بن وائل السهمي والوليد بن المغيرة تعلموا الزندقة من نصارى الحيرة فلم يسلم منهم غير ابي سفيان(١١٩). وبما ان الناس على دين ملوكهم ولما كانت الزندقة هي مذهب قباد ملك فارس (٤٨٨- ٥٣١م) (١٢٠). لذلك انتشرت في الحيرة لوجود الجاليات الفارسية فيها.

أديرة الحيرة

اشتهرت الحيرة بكثرة اديرتها وهذا يدل على انتشار النصرانية فيها لا بل واعتناق اهلها المسيحية وكانت هذه الاديرة من المراكز المهمة لنشر الديانة المسيحية والتعليم الديني في الحيرة

التفاصيل ينظر: جوارو ، الاشوريون في التاريخ ، ص١٢٣.

(111) المسعودي ، مروج الذهب ، ج١، ص٣٥٩.

(112) الطريحي ، محمد سعيد ، الديارات والامكنة النصرانية في الكوفة وضواحيها ، لا.م ، بيروت ، ١٩٨١، ص٢٣.

(113) بابو اسحق ، رافائيل ، تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الاقطار العربية الى ايامنا ، مطبعة المنصور ، بغداد ، ١٩٤٨، ص١١.

(114) عبدالقادر ، الاسلام ، ص٥٨.

(115) كريستنسن ، ايران في عهد الساسانيين ، ص١٩٠.

(116) شريف ، ابراهيم ، الموقع الجغرافي للعراق ، مطبعة شفيق ، بغداد ، د.ت ، ج٢، ص٢٧٥.

(117) الزندقة: ان اصل الكلمة زندي التي عربت فصارت زنديق والزندي الذي يعدل عن ظاهر الى تأويله. للمزيد من التفاصيل ينظر: ابو عوض ، عاطف شكري ، الزندقة والزنادقة ، دار الفكر ، عمان ، ١٩٣٨، ص٧٧.

(118) ابن قتيبة ، ابي محمد عبدالله بن مسلم ، المعارف ، تح: ثروة عكاشة ، مطبعة امير ، قم ، ١٣٧٣هـ، ص٦٢١.

(119) الثعالبي ، ابي منصور عبدالملك بن محمد ، لطائف المعارف ، تح: ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي ، دار احياء الكتب العربية ، بيروت ، د.ت ، ص١٠٢.

(120) غنيمة ، الحيرة ، ص٤٩٤.

حيث خرجت العديد من رجال الدين المسيحين الذين كان لهم الدور الكبير في نشر تعاليم الديانة المسيحية في الحيرة وما حولها[١٢١].

لقد بالغ الحيريون في الفنون التي ابتدعوها في نقش كنائسهم وزخرفتها برسوم هندسية ونباتية[١٢٢]. وهذا يدل على حرصهم وحبهم لديانتهم ودور عبادتهم. ونتيجة لتعرض الكنائس والاديرة في الحيرة لهجمات متفرقة من قبل اللصوص لما فيها من مواد قيمة ، لذا قاموا بتحصين بنائها وجعلوا عليها اسواراً عالية واحكموا صنع ابوابها واحاطوها بحائط يصل الى مئة ذراع لتجنب الطامعين واللصوص[١٢٣].

ومن اهم الاديرة

دير هند الكبرى: ويسمى ايضاً دير هند الاقدم وهو دير بنته هند الكبرى ام عمرو بن هند ملك الحيرة (٥١٣-٥٦٢م). وهي بنت الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ملك كندة[١٢٤]. وقد كتبت في صدر هيكل الدير "بنت هذه البيعة هند بنت الحارث .. ام الملك عمرو بن المنذر أمة المسيح وأم عبده وابنة عبده ، فالإله الذي بنت له هذا الدير يغفر خطيئتها ويترحم عليها وعلى ولدها ويقبل بها وبقومها الى امانة الحق ، ويكون الله معها ومع ولدها الدهر الداهر"[١٢٥].

دير هند الصغرى: وهي هند بنت النعمان بن المنذر (٥٨٥-٦١٣م) وهذا الدير من اعظم أديرة الحيرة واعمرها ، ترهبت به وسكنته حتى عميت[١٢٦]. ويذكر الحموي "ان كسرى قد غضب على النعمان فحبسه فاعطت عهداً لله ان رده الله الى ملكه ان تبني ديراً فتسكنه حتى تموت"[١٢٧] وكان النعمان يوقد في هذا الدير من العود الهندي والعنبر شيئاً يجل عنه الوصف. كما شق له نهراً من الفرات ولم يزل يجري النهر حتى خُرب الدير[١٢٨].

---

(121) العلي ، محاضرات ، ص٨٠.
(122) الطريحي ، الديارات والامكنة ، ص٢٦.
(123) القيسي ، نوري حمودي ، ادب الاديرة ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مجلد ٣٦، ١٩٨٥، ص١٠٦.
(124) الحموي ، معجم البلدان ، ج٤، ص٣٦٨.
(125) البكري ، ابو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز ، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، تح: مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٥ ، ج٢، ص٦٠٦.
(126) الشابشتي ، ابي الحسن علي بن محمد ، الديارات ، تح: كوركيس عواد ، بغداد ، ١٩٥١ ، ص١٥٧.
(127) معجم البلدان ، ج٤، ص٣٦٩.
(128) العمري ، ابن فضل الله ، مسالك الابصار في ممالك الامصار ، تح: احمد زكي باشا ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٤، ج١، ص٣٢٢.

دير عبد المسيح: بناه عبد المسيح بن بقيلة ويقال انه عّمر طويلاً وقد كُتِبَ على حائطه:

رايت الدهر للانسان ضـِّدا   ولاينجي من الدهر الخلـودِ

ولا ينجي مـن الآجال أرضٌ   يُحل بها ولا قصـر مشـيُدَ[١٢٩]

كما بنى ديراً اخر في بقعة بالحيرة يقال لها الجرعة كان يترهب فيها حتى مات ثم خرب الدير وظهر فيه ازجٌ من حجارة وظنوا فيه كنزاً ففتحوه فاذا سرير رخام عليه رجل ميت وعند رأسه لوح فيه مكتوب:

حلبت الدهر اشـطره حياتي   ونلت من المنى فوق المزيـد

وكدت انال من الشرف الثريا   ولكن لا سـبيل الى الخلـود[١٣٠]

كما بنى ابنه حنظلة ديراً بالحيرة اطلق عليه اسم دير حنظلة ووجد في صدر الدير مكتوب بالرصاص في ساج محفور: "بنى هذا الهيكل المقدس ، محبة لولاية الحق والامانة ، حنظلة بن عبد المسيح ، يكون مع بقاء الدنيا تقديسة ، كما يذكر اولياؤه بالعصبة يكون ذكر الخاطيء حنظلة ..."[١٣١].

دير حنـة: وهو دير قديم بناه المنذر لقوم من تنوخ يقال لهم بنو ساطع تقابله منارة عالية كالمرقب تسمى القائم لبني اوس بن عمرو بن عامر وفيه يقول الثرواني:

يا دير حنة عند القائم السـاقي   الى الخورنق من دير ابن برَّاق[١٣٢]

وكذلك دير ابن برَّاق ودير بني مرينا ودير الحريق وهو بالحيرة ايضاً والى جانبه قبة تعرف بقبة السنيق واخرى تعرف بقبة غصين وهما راهبان نسبا اليهما ، وهما بديعا البناء وفي الدير وفيهما يقول الثرواني:

دير الحريق فبيعة المزعوق   بين الغـدير فقبـة السـنيق[١٣٣]

وكذلك دير السواد ودير علقمة ودير اللّج ودير مارت مريم والى جانب ذلك عدد كبير من الاديرة ، فكانت تلك الاصقاع تتموج بحصون العبادة وبيوت الفضيلة كالاديرة والقلالي[١٣٤] والصوامع وقد تغنى الشعراء بوصفها[١٣٥].

---

(129) العمري ، مسالك الابصار ، ج١، ص٣١٤.
(130) المصدر نفسه ، ج١، ص٣١٤.
(131) عبدالغني ، الحيرة ، ص٥٤.
(132) غنيمة ، الحيرة ، ص٤٤.
(133) العمري ، مسالك الابصار ، ج١، ص٣١٥.
(134) قلالي: جمع قلاية وهي بناء في اعلى الدير تشبه المنارة يتخذها الراهب لساعات انفراده وبابها في الغالـب داخلي. انظر: السقاف ، احمد ، الاوراق ، ط٣، الربيعان للنشر ، الكويت ، ١٩٨٢، هامش ص٦٩.
(135) غنيمة ، الحيرة ، ص٤٣.

ولما كان لملوك الحيرة عناية كبيرة ببناء الاديرة فقد اقتدى بهم جماعة من وجوه مملكتهم حتى اصبحت في الحيرة العديد من الاديرة(١٣٦). ومن ضمن اديرة الحيرة الاخرى:

دير الاسكون: وهو من انزه اديرة الحيرة وفيه قلالي ، وهياكل(١٣٧) ، ورهبان يقومون بالضيافة لمن ورد عليهم(١٣٨).

دير الاسكول: وهو بالحيرة من اديرة الاساقفة النصارى(١٣٩). وبه تجتمع النصارى في اعيادهم فاذا كان يوم الشعانين(١٤٠) اتوه من كل ناحية مع شماميسهم بصلبانهم واعلامهم(١٤١).

الوضع الاقتصادي

١- الزراعـة

لقد تنوعت الموارد الاقتصادية في الحيرة بتنوع سكانها وقد حظيت الزراعة بأهتمام شريحة واسعة في المجتمع الحيري خصوصاً القبائل التي هاجرت من اليمن والجزيرة العربية(١٤٢). لذلك شغلت الزراعة حيزاً كبيراً من حياة اهل الحيرة وهي مهنة املتها طبيعة الموقع الجغرافي للحيرة فكثرة المياه وخصوبة التربة واعتدال المناخ جعلها بلداً زراعياً ممتازاً فشغل هذا الجانب اهتمام المجتمع الحيري كونه عماداً للثروة(١٤٣).

اما نظام ملكية الارض فكان نظاماً اقطاعياً يتملك الارض سادة القوم واشرافهم ، وكان لملوك الحيرة اقطاعات واسعة من الاراضي الخصبة يجبون خراجها فيصرفونه في نفقاتهم ويهبون منه الجوائز لاتباعهم واعوانهم ويقطعون الاقطاعات الواسعة لوجهاء القوم على شكل هبات(١٤٤).

ولما كانت الحيرة توصف بجودة خمورها ، لذا فقد اهتم الحيريون بزراعة الحنطة والشعير واشجار الفاكهة كالنخيل والاعناب(١٤٥).

---

(136) الاعظمي ، تاريخ ملوك الحيرة ، ص١٢٩.
(137) هيـاكل: جمع هيكل وهو بيت للنصارى فيه صورة مريم وعيسى. انظر: السقاف ، الاوراق ، هامش ص٥٦.
(138) العمري ، مسالك الابصار ، ج١، ص٣١١.
(139) البلاغي ، تاريخ نجف اشرف وحيرة ، ص١٥٤.
(140) الشعانين: هو عيد من اعياد النصارى ويوم الاحد قبل الفصح. انظر: السقا ، الاوراق ، هامش ص١١٨.
(141) العمري ، مسالك الابصار ، ج١، ص٣١١.
(142) عبدالغني ، الحيرة ، ص٢٣٥.
(143) سـالم ، عبدالعزيز ، دراسات في تاريخ العرب – تاريخ العـرب قبل الاسلام ، مؤسسة شباب الجامعة ، مصر ، د.ت ، ج١، ص٢٧٢.
(144) ابو البقاء ، المناقب المزيدية ، ج٢، ص٥٠١.
(145) حميد ، عبدالعزيز ، اثار مدينة الحيرة ، مجلة بين النهرين ، عدد ٦٧، بغداد ، ١٩٨٩، ص٤.

كما أولع الحيريون بالكمأة التي تنشأ من دون تدخل البشر وكانوا يخرجون رجالاً ونساءً وصبياناً لاجتنائها وكان عمرو بن عدي يخرج لجمعها ويقدمها لخاله جذيمة الابرش ويقول:

هذا جناي وخياره فيـه   اذ كل جان يده الى فيه[١٤٦]

كما اهتم ملوك الحيرة كثيراً بزراعة الازهار فكانت لهم حدائق مستورة باعز الازهار[١٤٧]. وسميت بشقائق النعمان لان النعمان خرج يوماً الى ظهر الحيرة وكانـت الارض قد اخذت زخرفها وازينت بالشقائق فأستحسنها وقال: احموها فسميت بشقائق النعمان[١٤٨].

والى جانب الزراعة عني اهل الحيرة بتربية الحيوانات ولاسيما الابل والماشية لما لها من مورد اقتصادي كبير ، ولم تقتصر تربيتها على فئة معينة من السكان وانما كان لملوك الحيرة قطائع كبيرة. فقد وجدت مساحات واسعة تحت تصرف ملوك الحيرة ترعى فيها قطعانهم خلال اشهر معينة من السنة ، ولم يكن بمقدور أي قبيلة ان ترعى في هذه الاراضي الا بأذن من الملك ، لانها كانت ملكاً لعشيرته وحمى لهم وكان على القبيلة التي ترغب الرعي فيها ان تدفع اتاوة معينة[١٤٩].

فذكر ان النعمان بن المنذر كان يعتني بتربية الخيول والابل والماشية ، فكان يشتري خير فصائلها ويحميها لنفسه ، ولايسمح لاحد بالحصول عليها الا بأذنه ومن اشهر خيوله: اليحموم والدفوف[١٥٠].

ان هذه الثروات قد وفرت على اهل الحيرة مستوى رفيعاً من المعيشة ، وامنت لهم نوعاً من الاكتفاء الذاتي من جميع الوجوه[١٥١].

٢- الصناعـة

اشتهرت الحيرة بالعديد من الصناعات التي تكاد تكون منفردة بها فأصبح لها طابعاً خاصاً ميزها من غيرها من الحواضر[١٥٢]. فقد مارس سكان الحيرة العديد من الاعمال والمهن اليدوية

---

(146) الطبري ، تاريخ ، ج١، ص٦١٦.

(147) الجوفي ، احمد محمد ، تيارات ثقافية بين العرب والفرس ، مطبعة نهضة مصر ، د.ت ، ص٧٥.

(148) الثعالبي ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، مطبعة الظاهر ، القاهرة ، ١٣٢٦هـ ، ص١٤٤.

(149) ليفيسكيا ، بيغو نينا فكتورفنا ، العرب على حدود بيزنطة وايران ، نقله من الروسية: صلاح الدين غسان ، لا.م ، الكويت ، ١٩٨٥، ص٢٩٢.

(150) القالي ، ابو علي اسماعيل بن القاسم ، ذيل الامالي والنوادر ، دار الفكر ، لبنان ، د.ت ، ص١٨٥.

(151) الملاح ، الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ص٢٤٧.

(152) سالم ، دراسات ، ج٢، ص٢٧٣.

اظهرت تنوعهم السكاني فالنبط والفرس اشتهروا بالحرف والصناعات اليدوية(١٥٣). ومن اشهرها صناعة البسط التي اطلق عليها اسم البسط الحيرية تمييزاً لها من غيرها لجودتها وجمالها وكان ينسج عليها صور الخيل والفيلة والجمال والطيور(١٥٤). وبما ان الحاجة هي ام الاختراع فأن اهل الحيرة لما احتاجوا الى الابواب الحديدية لحماية اديرتهم صنعوا الابواب الضخمة فكان دير الاسكون عليه سور عالٍ حصين وعليه باب حديد(١٥٥). كما استعملوا الحديد في الآت القتال ومنها السيوف الحيرية الشهيرة والسهام وغيرها من الاسلحة التي تدخل ضمن تجهيزات الجيش الحيري(١٥٦).

كما اشتهرت الحيرة بالحاكة (وبها تتخذ الطنافس الحيرية) ، وكانت بلدة (قصر بن هبيرة) (١٥٧) ، مليئة بالحاكة. كما اشتهرت بنسيج الحرير وصناعة الاقمشة القطنية والصوفية(١٥٨).

وكانت الحيرة في مقدمة المدن التي اسرجت الشَّمع في زمن ملكها جذيمة الابرش الذي يعدُّ اول من استعمل ورمى بالمنجنيق(١٥٩). وعني الحيريون على ما يظهر بصناعة الاخشاب حيث بدت قصورهم مؤثثة بأثمن الاثاث وكانت قواربهم انيقة وجميلة تشق الفرات ليلاً(١٦٠).

٣- التجـارة

يعد موقع الحيرة الجغرافي العامل الاساسي في نشاط تجارتها البرية والبحرية فموقعها على الضفة اليمنى لنهر الفرات في اطراف البادية ، ووجود نهر الحيرة الذي يصل الى النجف(١٦١). وهذا بدوره يرتبط بالخليج العربي عن طريق نهر الفرات(١٦٢). لذلك كانت لاهل الحيرة تجارة واسعة مع الصين وهذا واضح من كلام ابن بقيلة مع خالد بن الوليد عندما يذكر له

---

(153) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ص٢٥٧.
(154) الدوري ، عبدالعزيز ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ط٢، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٧٤، ص١٠٥.
(155) الحموي ، معجم البلدان، ج٤، ص٣٣٢.
(156) الاصفهاني ، حمزة ، تاريخ ملوك الارض ، ص٧٨.
(157) قصر بن هبيرة: ينسب الى عمر بن هبيرة والي العراق من قبل مروان بن محمد وكان بالقرب من جسر سورا وهو نفسه الذي نزله السفاح وسماه الهاشمية. لمزيد من التفاصيل ينظر: الحموي ، معجم البلدان ، ج٧، ص٦٣.
(158) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص١٠٤.
(159) الجاحظ ، ابي عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبين ، تح: عبدالسلام هارون ، دار الفكر ، مصر ، د.ت ، ج١، ص٣٦٢.
(160) الحوفي ، احمد محمد ، تيارات ثقافية بين العرب والفرس ، دار نهضة مصر ، مصر ، د.ت ، ص٧٥.
(161) الطبري ، تاريخ ، ج٢، ص٩٦.
(162) الحسيني ، خالد موسى ، الحياة الاجتماعية في الحيرة في عهد دولة المناذرة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة الكوفة ، ١٩٩٦، ص٥٩.

ان وراء هذه الحصون ويقصد بها حصون الحيرة ، كانت ترد سفن الصين(١٦٣). ومما زاد من نشاط التجارة البحرية في الحيرة هو العداء القائم بين الفرس والروم فقد توقفت سير الاتصالات بين سهل العراق والعالم الاغريقي الامر الذي ادى الى تركيز التجارة في موانيء الخليج العربي وتقوية علاقات التجار مع سيلان والهند(١٦٤)، حيث كانت تنقل السفن متاع الهند والصين الى الحيرة(١٦٥).

ويبدو ان هذه السفن كانت ترد بأعداد كبيرة حيث تصطدم الامواج وتصل الى مسافات بعيدة ويظهر ذلك من حديث ابن بقيلة لخالد "وكانت امواج البحر تضرب ما تحت قدمك عندما ترفأ بها السفن"(١٦٦).

اما تجارتها البرية فكانت لها شهرة عظيمة وكما اشرنا فأن موقعها من ظهر البرية(١٦٧) ، على حافة الصحراء كان سبباً يكاد يكون اساسياً فضلاً عن صناعتها والتي كانت تفيض عن الحاجة الامر الذي دعا الى المتاجرة بها.

ان ازدهار التجارة البرية للحيرة ووصولها الى ما وصلت اليه وقتذاك هو بسبب اشتغال ملوكها انفسهم بالتجارة وخصوصاً مع اليمن ومكة ، فقد كان النعمان بن المنذر (٥٨٣- ٦٠٥م) يرسل الى سوق عكاظ لطيمة(١٦٨) ، وكان يلازم قوافل التجارة حتى تصل الى الاسواق رجل شريف من اشراف العرب لحمايتها(١٦٩). وترتب على ملك الحيرة من اجل حماية هذه القوافل ان يكسب ولاء القبائل العربية المجاورة للحيرة ، ويبدو ان هناك عملية مقايضة لامن هذه القوافل من قبل القبائل العربية وملوك الحيرة لمنحهم منصب الردافة(١٧٠). اما الثعالبي فيرى انها كالوزارة في الاسلام ، ويذكرها لبيد:

وشـهدت انجية الافاقه عاليـا كعبي وارداف الملوك شهودي(١٧١)

كما ان الرديف يخرج مع الملك في كل غزوة يغزوها وله ربع غنيمة الملك ، وهذا المنصب يعد جزء من الامتيازات التي يمنحها ملوك الحيرة للقبائل من اجل المحافظة على

---

(163) المسعودي ، مروج الذهب ، ج١، ص١١٨.
(164) شريف ، الموقع الجغرافي للعراق ، ج٢، ص٢٧٨.
(165) الحميري ، الروض المعطار ، ص٢٠٨.
(166) المصدر نفسه ، ص٢٠٩.
(167) البكري ، معجم ما استعجم ، ج٢، ص٤٧٩.
(168) اللطيمة: قافلـة تجارية يرسلها ملوك الحيرة الى الاسواق تحمل الطيب والمتاع. الزبيدي ، تاج العروس ، ج٩، ص٦.
(169) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٥، ص١٥٣.
(170) الردافة: هو منصب كصاحب الجيش ، ويكون الرديف مجالساً للملك ويسير خلفه ويشرب بعده وكان هذا المنصب وراثياً ، ابي البقاء ، المناقب المزيدية ، ج١، ص٤٣٣.
(171) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، ص١٤٤.

تجارتهم[١٧٢]. كما اشتهر اهل الحيرة بالتجارة الى جانب الملوك ووصُفِوا بالهمة والمغامرة في التجارة "وابعد الناس نجعة في الكسب بصرى وحيرى ومن دخل فرغانة والسوس الاقصى فلابد ان يرى بصرياً او حيرياً"[١٧٣].

ولما كانت التجارة عملية متبادلة لذلك فقد ازدهر سوق الحيرة ، وكان هذا السوق يقام كل عام ويعرض فيه الادم والبرود والجواهر والخيل والاموال وسائر ما يعرض في اسواق العرب مما يُحمل من الشام واليمن وعمان والهند وفارس[١٧٤]. كما وصف بشر بن ابي حازم عظم دكاكين الحيرة من خلال وصفه لناقته:

آمونا كدكّان العباديّ فوقها سنامٌ كجثمان البلية أتلعُ[١٧٥]

ومما شجع وزاد من ازدهار التجارة وتفوق اهل الحيرة بها هو ان تجارة فارس كانت بأيديهم وكانوا هم الصلة بين عرب الجزيرة وفارس فيحملون اليهم البضائع الفارسية ويبيعونها في اسواقهم[١٧٦].

كما مارس اهل الحيرة مهنة الصيرفة ، واشتهروا بالثراء فكان العرب يردون سوق الحيرة محملين بالاموال[١٧٧] ، وربما كان الغرض من ذلك هو تحويل هذه الاموال الى ذهب او غيره لان اهل الحيرة كانوا يتعاملون بأوقية الذهب[١٧٨]. وكان ابو زيد حنين بن اسحق احد من كانوا يتعاطون الصيرفة[١٧٩]. كما اشتغلوا بعقد القروض لتسهيل التجارة[١٨٠].

وقد وفد على سوق الحيرة الكثير من الاعاجم ، فأثر ذلك في لغة اهل الحيرة ، حتى عُدَّ سوق الحيرة من اوسع ابواب الدخيل والمعرب في اللغة[١٨١]. وهذا بدوره انتقل الى مكة نتيجة التجارة حيث تأثرت اللغة العربية هناك بلغة العلائق التجارية لذا دخلت الكلمات الدخيلة على العرب عن طريق الحيرة[١٨٢]. كما ان هناك جوانب اخرى دعمت سوق الحيرة وزادت من نشاطه الا وهي الحروب القائمة بين الفرس والروم ولكي تصل تجارة الحرير من الصين الى

---

(172) كستر ، الحيرة ومكة ، ص١٥.
(173) ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص٥٣.
(174) الافغاني ، سعيد ، اسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، ط٢، دار الافاق العربية ، دمشق ، ١٩٦٠، ص٣٨٠.
(175) عبدالغني ، الحيرة ، ص٢٥٢.
(176) بابو اسحق ، تاريخ نصارى العراق ، ص٣٠.
(177) الاعظمي ، تاريخ ملوك الحيرة ، ص١٣٧.
(178) غنيمة ، الحيرة ، ص٩٣..
(179) بابو اسحق ، تاريخ نصارى العراق ، ص٣٠.
(180) الزبيدي ، محمد حسين ، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة ، ص١٠٤.
(181) الرافعي ، مصطفى صادق ، تاريخ اداب العرب ، تح: محمد سعيد العريان ، ط٢، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٩٤٠، ج١، ص٨٨.
(182) الافغاني ، اسواق العرب ، ص٣٧.

العالم الاغريقي لابد لها من ان تمر بالعراق[١٨٣]. فضلاً عن تميز سوق الحيرة دون غيره من اسواق الجاهلية بمبيعات خاصة اهمها الخمر فكان خمر الحيرة طيباً ولذيذاً وعَّد من المواد التي لايمكن للعرب الاستغناء عنها[١٨٤].

اما الاسواق فهي بحد ذاتها كان لها تأثير على حياة الناس من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

فمن الناحية الاقتصادية انعكست حالة الاسواق في الحيرة على حياة سكانها فعاشوا حياة الترف وانغمسوا بالملذات وبنوا المدن الواسعة[١٨٥] ، والقصور العظيمة واشهر هذه القصور الخورنق والسدير[١٨٦]. ويبدو ان هذه الاسواق كانت ملتقى لمختلف العناصر وفيها يتم التزاوج في اللغات والعادات والتقاليد ، ولاريب في أن الرخاء المادي يؤدي الى نشوء حركة علمية وادبية في المجتمع من خلال استقطاب اهل العلم والادب والفن وعلى هذا الاساس فقد بلغت الحيرة هذا الشأن.

الحياة الفكرية في الحيرة

اهتم القدماء من الذين كتبوا في الحيرة بالجوانب التاريخية والسياسية والعسكرية ولم يعتنوا بالجانب الفكري وان ما وصلنا لم يكن يظهر الصورة التي وصلت اليها الحيرة يوم ذاك ويمكن ان نضيف سبباً اخر لذلك ، الا وهو ضياع الكتب النفيسة التي ألفت في الحيرة والتي لابد من انها تناولت هذا الجانب[١٨٧] ، لقد كانت الحيرة مبدعة في مجال الفكر والعلوم والمعارف حيث ظهرت بمظهر العاصمة الفكرية[١٨٨]، كونها ورثت حضارة العراقيين القدماء اضافة الى كسبها حضارة العرب القادمين من شبه الجزيرة العربية[١٨٩].

ظهر الجانب الفكري والثقافي للحيرة متمثلاً في أنتشار مدارس تعليم الصبيان وكان لهذه المدارس مناهج خاصة تختص بتعليم اسماء ملوك الحيرة وقصص العرب واخبارهم واحاديثهم فكانت هذه المناهج تسعى الى تربية الصبيان عقلياً وجسمياً[١٩٠].

(183) شريف ، الموقع الجغرافي للعراق ، ج٢ ، ص٢٧٨.
(184) الافغاني ، اسواق العرب ، ص٥٨.
(185) الاعظمي ، تاريخ ملوك الحيرة ، ص١١٨.
(186) الطبري ، تاريخ ، ج٢، ص٦٥.
(187) عبدالغني ، الحيرة ، ص٣٤٣.
(188) بلاشير ، ريجيس ، تاريخ الادب العربي ، تعريب ابراهيم كيلاني ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٥٦، ص٦٢.
(189) علي ، المفصل ، ج٣، ص١٧٦.
(190) العيثاوي ، احمد حسين عبد ، الادب في الحيرة قبل الاسلام ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٩٧، ص١٥.

وكانت في الحيرة ايضاً المدارس المختصة بالعلوم الدينية التي تخرج الكهنة للاديرة والكنائس وهو مايسمى في عصرنا هذا علم اللاهوت ، فقد درس ايليا الحيري مؤسس دير ايليا بالموصل العلوم الكهنوتية في قريته بالحيرة ، ومارا عبد الكبير درس في مدرسة الحيرة[١٩١]. وان المرقش الاكبر واخاه حرملة درساً الكتاب على يد نصراني من اهل الحيرة[١٩٢].

وهناك عوامل ساعدت على ازدهار الحياة الفكرية في الحيرة ، فبعض اهلها كانوا يتقنون اكثر من لغة لما اقتضته ظروفهم السياسية والاجتماعية لذلك[١٩٣]. فهم يتكلمون العربية وهي لغتهم ويكتبون بالسريانية لانها لغة بيعتهم وصلواتهم[١٩٤]. ولما كانت الحيرة تابعة للدولة الساسانية فلابد من ان تكون هناك جماعة تجيد اللغة الفارسية ، كما عرف بعض الافراد في الحيرة اللغة اليونانية فضلاً عن العبرية لوجود بعض الطوائف اليهودية هناك[١٩٥].

وهذا ما سهل عليهم نقل كثير من علوم واداب الامم المجاورة كالفرس ، وعلوم اليونان اذ ترجم اسحق بن حنين كتاب الخطابة لارسطو[١٩٦] ، كما كانوا يستدعون المعلمين والفنانين الاجانب لدعم الحركة العلمية في الحيرة ومواكبة ما وصلت اليه الامم والبلدان من الرقي والتقدم الحضاري[١٩٧].

ولم تقتصر علومهم على بيئتهم بل حملوها حتى وصلوا الى بلاط ملوك فارس وعملوا كمترجمين نظراً لمعرفتهم بلغة الفرس وفصاحة لغتهم[١٩٨]. وكان منهم عبود الحيري الذي عمل مترجماً لدى القائد الفارسي رستم[١٩٩]. وكان عدي بن زيد وابنه واخوه يترجمون الرسائل العربية لملوك الفرس[٢٠٠].

الكتابـة

تعد الكتابة واحدة من سمات المجتمع المتحضر ، التي بوساطتها تؤدي بها الاغراض الى البلاد البعيدة فتقضي الحاجات ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الاولين وما كتبوه من علومهم واخبارهم لذلك نرى ان البدو لايكتبون ولا يقرأون[٢٠١].

---

(191) عبدالغني ، الحيرة ، ص٣٤٦.
(192) غنيمة ، الحيرة ، ص٥٤.
(193) العيثاوي ، الادب في الحيرة ، ص١٤.
(194) علي ، المفصل ، ج٣، ص١٦٦.
(195) غنيمة ، الحيرة ، ص٥٧.
(196) الحلواني ، محمد خير ، العرب واداب اليونان ، لا.م ، حلب ، ١٩٦٩، ص٥٨.
(197) المصدر نفسه ، ص٥٧.
(198) كريستنسن ، ايران في عهد الساسانيين ، ص١٢٤.
(199) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٥٢٤.
(200) عبدالغني ، الحيرة ، ص٣٥٢.
(201) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ص٢٦٦.

ولما كانت الحيرة بالمستوى العلمي والثقافي بمكان لذا فقد اشتهرت وذاع صيتها في الكتابة على الرغم من كون اهل الحيرة قد اخذوا الخط من اهل الانبار[٢٠٢]. الا ان هذا لايغمطهم حقهم وريادتهم في هذا المجال.

ان معظم ما نقله اهل الطائف وقريش من الحيرة هو الكتابة والخط ولما سئلوا قريش من اين لكم الكتابة قالوا من اهل الحيرة[٢٠٣]. وان اول من تعلم الكتابة من اهل الحيرة هو اسلم بن سدرة ولذلك يقول شاعرهم:

قوم لهم سـاحة العراق اذا ساروا جميعاً والخط والقلم[٢٠٤]

وقيل ان عبدالله بن جدعان اول من تعلم الكتابة من اهل مكة في الحيرة[٢٠٥] ، وقيل حرب بن امية بن عبد شمس[٢٠٦] ، وقيل سفيان بن امية[٢٠٧]. ومهما قيل فأن المهم هو ان الكتابة والخط دخلا الحجاز عن طريق الحيرة.

اما اصل الكتابة والخط ووصلوهما الى الحيرة فأن ذلك يرجع الى حمير[٢٠٨] وكان يسمى بالخط الحميري[٢٠٩] ، اما الخط الحيري فيسمى (بالجزم) لانه جزم أي قُطِع من المسند اقدم خط في بلاد العرب واستعمل الجزم بالحيرة والانبار[٢١٠].

ومما ساعد على تطور وانتشار الخط والكتابة في الحيرة هو وجود الورق وقد اشار الحارث بن حلزة الى ذلك بقوله:

حذر الخون والتعدي وهل يَنـ قُضُ ما في المهارق الاهواءَ[٢١١]

والمهارق هنا الصحف المصقولة. ولما كانت الحيرة تمثل الحاضرة بكل مقوماتها لذا لابد من انها تحتاج الى الكتابة وبخاصة في اتصالاتها مع من يجاورهم من القبائل او الدول فقد

---

(202) السيوطي ، جلال الدين ، الوسائل في سامرة الاوائل ، تح: اسعد طلس ، مطبعة النجاح ، مصر ، ١٩٥٠، ص٩٩.
(203) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٥٥٢.
(204) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ص٢٦٦.
(205) عبدالغني ، الحيرة ، ص٣٥٣.
(206) السيوطي ، الوسائل في مسامرة الاوائل ، ص٩٩.
(207) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ص٢٦٦.
(208) حمير: موضع غربي صنعاء وهم اهل لكنة وعتمة في الكلام الحميري وينسب الى حمير بن غوث الفصاحة والشعر. الحموي ، معجم البلدان ، ج٣، ص١٨٥.
(209) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ص٢٦٦.
(210) الكردي ، محمد طاهر بن عبدالقادر ، الخط العربي وادابه ، المطبعة التجارية الحديثة ، مصر ، ١٩٣٩، ص٦٥.
(211) عبدالغني ، الحيرة ، ص٣٥٥.

استخدموا الرسائل المختومة والتي تعرف بالصكوك فضلاً عن تجارتهم والتي املت عليهم تعلم الكتابة لتدوين الديون وكتابة الصكوك(٢١٢).

الغناء والموسيقى

عرف العرب قديماً الغناء وكان على انواع مختلفة فمنه الغناء الغزلي والديني والحداء(٢١٣). الا ان الغناء الحيري قد طارت شهرته في الآفاق ، فأشتهرت الحيرة بعذوبة اصوات مغنيها الذين اشتهر منهم حنين بن بلوع الذي نافس ابن محرز الحجازي(٢١٤) ، عندما شخص يريد العراق دفع له ما يريد قبل وصوله وجعله يعود من حيث اتى(٢١٥).

كما اشتهر نفر من العباديين بالغناء وغيرهم مثل زيد بن الطليس وزيد بن كعب(٢١٦). وانتقل الغناء الى مكة عن طريق الحيرة ذلك ان مكة لم تكن تعرف من الغناء الا النصب(٢١٧) حتى قدم النضر بن حارث بن كلدة من العراق وافداً على كسرى بالحيرة فتعلم ضرب العود والغناء عليه فعلم اهل مكة فأتخذوا القينات(٢١٨).

ولم يقتصر الغناء في الحيرة على الرجال فقط بل تعداه الى النساء فكانت القيان اللواتي يغنين غناء الحيرة يبعثن الى الملوك والامراء فبعث اياس بن قبيصة الى جبهة بن الايهم ملك غسان خمس قيان يغنين غناء الحيرة(٢١٩). وكان لهذه المغنيات الاثر الكبير في ازدهار الغناء في الحيرة وفي شيوع مجالسه بما يكسبها من بهاء وجمال وغضارة بأناقة مظهرهن وطيب شذاهن وبما يرفلن به من حلي وزينة ومنهن بنت عفزر وكان لها بيت للغناء وشرب الخمرة(٢٢٠). وكان يجتمع عندها الناس للسماع والشراب او ربما كانت تدير حانه

---

(212) الافغاني ، اسواق العرب ، ص٤٢.
(213) كحالة ، عمر رضا ، الفنون الجميلة في العصور الاسلامية ،لا.م ، دمشق ، ١٩٧٢، ص٢٦٨.
(214) ابن محرز: وهو مسلم بن محرز مولى بني عبدالدار بن قصي ويقال له صَنَّاج العرب لكثرة لعبة الصَّنج. لمزيد من التفاصيل ينظر: الاصفهاني ، ابي الفرج ، الاغاني ، تح: يوسف البقاعي وغريد الشيخ ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ٢٠٠٠ ، ج١، ص٢٩٠.
(215) الاصفهاني ، الاغاني ، ج١، ص٢٩١.
(216) الحسيني ، خالد ، الحياة الاجتماعية في الحيرة ، ص١٠١.
(217) النصب: ضرب من اغاني العرب تشبه الحداء الا انه ارق منه ، وقيل هو الذي احكم من النشيد واقيم لحنه ووزنه ، ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين بن محمد ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٦، ج١، ص٧٦٢.
(218) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤، ص١٣٤.
(219) الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٧، ص١٢١.
(220) المصدر نفسه ، ج١١، ص٧٥- ٧٦.

تسقى فيها روادها الخمر وتسمعهم الغناء[٢٢١].

وكانت هريرة ممدوحة الشاعر الاعشى وخليدة مغنيتين عند بشر بن عمرو وهو احد اشراف الحيرة وتغنى بهما الاعشى متغزلاً وهذا يعني انه رآهما في الحيرة[٢٢٢].

ومما زاد من شهرة الغناء الحيري هو وجود الخمر والحانات حيث اشتهرت الحيرة بجودة خمورها نتيجة كثرة زراعة الكرمة. ومن اشهر اماكن الحيرة بالخمرة هي طيزناباذ[٢٢٣] حيث اكتشفت عشرات الجرار الفخارية الخاصة بصناعة الخمر وطول الواحدة يقارب المتر[٢٢٤]. ويدل هذا على كثرة صناعة وحب اهل الحيرة للخمر فذاع صيتهم بهذا فلما حدثهم خالد بن الوليد لما اتى الحيرة فاتحاً قال لهم لقد جئناكم بقومٍ يحبَّون الموت كما تحبَّون انتم شرب الخمر[٢٢٥].

وما يقال في الغناء والشراب يقال في الالات الموسيقية حيث يكمل كل منهما الاخر فوجود الغناء يقتضي وجود الالات الموسيقية التي كانت موجودة في الحيرة ، لحب الملوك لها وولعهم الشديد بها[٢٢٦].

فقد عرف الحيريون بعض الالات الموسيقية كالعود الذي يعرف بأسماء مختلفة مثل المزهر والكران والبريط والمستق وألون الصنج الذي يضرب بالاصابع والدف[٢٢٧].

وفي الحيرة عرفت بعض الالعاب التي انتقلت الى الحجاز ايضاً ومنها النرد والشطرنج حيث ذكر ان اول من نقلها الى الحجاز من الحيرة هو عمرو بن العاص[٢٢٨].

كما تفوقوا بعلم الكهانة والتنجيم وتفسير الاحلام حيث ان كسرى في سنة مولد الرسول (ص) ارتج ايوانه فسقطت منه اربع عشر شرافة وتوالت عليه الاخبار الغريبة من صاحب اليمن وصاحب السماوة وصاحب طبرية وفارس ثم ان الموبذان قد رأى رؤيا هالته فقال له كسرى ما عندك من تأويله قال: ما عندي فيها ولا في تأويلها شيء ولكن ارسل الى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلاً من علمائهم فأنهم اصحاب علم بالحدثان[٢٢٩].

---

(221) الاسد ، ناصر الدين ، القيان والغناء في العصر الجاهلي ، ط٢، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠، ص٧٨.

(222) عبدالغني ، الحيرة ، ص٥٣١.

(223) طيزناباذ: موضع بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق على جادة الحاج. الحموي ، معجم البلدان ، ج٦، ص٢٧٦.

(224) عبدالغني ، الحيرة ، ص٧٦.

(225) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٤٥.

(226) عبدالغني ، الحيرة ، ص٥٢٩.

(227) غنيمة ، الحيرة ، ص٩٠.

(228) السيوطي ، الوسائل في مسامرة الاوائل ، ص١٣٠.

(229) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج١، ص١٨٨.

ان جذور هذا العلم العريق كان في مجتمع الحيرة وانه كان متوارثاً وقد تكون له مدرسة يدرس بها(٢٣٠). فضلاً عن علمهم بمناظر النجوم وقيل ان اعلم العرب بمناظر النجوم بنو مارية بن كلب وبنو مرة بن همام بن شيبان وبنو مارية هم من نصارى العراق اما بنو مرة فكانوا من اهل الحيرة(٢٣١).

ومن العلوم الاخرى التي اشتهرت بها الحيرة هو علم الطب فقد افتخرت الحيرة في عصرها الجاهلي بطبيبها اسحق الحيري(٢٣٢). كما كان هناك العديد من الاطباء في بلاط ملوك الحيرة تحت تصرف هؤلاء الملوك يغدقون عليهم الاموال ، وكانوا يستخدمون طرق مختلفة للعلاج منها الكي(٢٣٣).

ان تنوع العلوم في الحيرة مظهر لم تشهده حياه الصحراء لذلك كانت الحيرة نقطة جذب مهمة لمن يبحث عن الافضل ، وصارت يشار اليها بالبنان لتجمع اهل العقل والعلم والمعرفة فيها ، وبهذا يحق القول عنهم "ان اعقل اهل البلاد اهل اصفهان والحيرة والمدائن"(٢٣٤).

وهذا لا يأتي من فراغ اذ وجد في الحيرة ما يؤدي الى ذلك ، فالاستقرار يتيح ضرباً من الهدوء وصفاء الذهن الذي يقود الى التفكير المتأني ، فضلاً عن ذلك نجد المؤثرات الثقافية الوافدة من الفرس على وجه الخصوص حيث نقل الفرس حضارتهم وثقافتهم الى بلاد العرب عن طريق الحيرة(٢٣٥). اضافة الى مؤثرات الروم وهذا بدوره يؤدي الى انصهار الثقافات في بودقة واحدة وبأجتماع هذه الثقافات والعلوم ظهرت الحياة الفكرية لعرب الحيرة على هذا النحو.

الشعر في الحيرة

كانت الحيرة ملتقى اهل العلم والمعرفة وبلغت شأواً بعيداً من الرقي والحضارة ونبوغ الفلاسفة والشعراء(٢٣٦). وهم الطبقة المثقفة في ذلك الوقت فقد وفدوا على الحيرة من الحجاز واليمامة ونجد والبحرين وقصدوا بلاطها الذي اصبح منتدى ادبياً وثقافياً يتبارون فيه بقصائدهم واشعارهم(٢٣٧).

---

(230) عبدالغني ، الحيرة ، ص٢٦١.

(231) الحسيني ، عبدالمحسن ، تقويم العرب في الجاهلية ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، مصر ، ١٩٦٣، ص٥٨.

(232) الحكيم ، حسن عيسى ، الطب في الكوفة بين موروث الحيرة واصالة الفكر الاسلامي ، بحث غير منشور القي في مؤتمر طبي في امارة ام القوين في الامارات العربية ، ٢٠٠٥، ص٢.

(233) الاصفهاني ، الاغاني ، ج٩، ص٤٣؛ عبدالغني ، الحيرة ، ص٣٥٧.

(234) الاندلسي ، محمد بن عبدالرحيم ، تحفة الالباب ، مطبعة باريس ، باريس ، ١٩٢٥، ص٢١٦.

(235) ابو عوض ، الزندقة والزنادقة ، ص٨٩.

(236) الاعظمي ، تاريخ ملوك الحيرة ، ص١١٩.

(237) الدجيلي ، عبدالحميد افندي ، الحيرة وشعرائها ، مجلة الاعتدال ، عدد ١- ١٠، النجف ، ١٩٣٣، ص٨٢.

لقد كان ملوك الحيرة كرؤساء القبائل العربية يستقبلون الشعراء للاستماع الى انشادهم ومدحهم ومن ثم تلبية طلباتهم ، وكان من مصلحة الملوك اصطناع هؤلاء الشعراء لانهم يمثلون الجانب الاعلامي في ذلك الوقت[٢٣٨]. كما ان هناك مصلحة سياسية للشعراء ايضاً في امتداح الملوك ، فالشعراء عندما اكثروا من مدح واستعطاف الملوك كان الهدف هو منع غزوات جيش الملك الحيري على قبائلهم ، ولاسباب اقتصادية حيث انهم يشكون من ثقل الضرائب ومما كانوا يدفعون ويؤدون الاتاوات في اسواق العراق[٢٣٩]. اضافة الى ماذكر فان هناك جانباً ادى الى نشاط الحركة الشعرية ايضاً في الحيرة الا وهو حب اهل الحيرة لمدينتهم وتغنيهم وشغفهم بها فنعتوها بأجمل الصفات ومنها الحيرة البيضاء والروحاء[٢٤٠]

اذن مدينة هذه نعوتها لابد من ان تنال القدح المعلى في مسرح الحياة الشعرية في ذلك العصر.

وكما هو واضح فأن هناك اهتماماً كبيراً من لدن ملوك الحيرة بالشعراء والادباء وبالاخص عمرو بن المنذر (٥٦٣- ٥٧٨م) ففي عهده اصبحت الحيرة مقصداً لشعراء العرب وحكمائهم ، فقد وصل الى بلاطه الشاعر اوس بن حجر واصله من البحرين وهو الذي حرض عمرو بن هند ان يأخذ بثأر ابيه المنذر بن ماء السماء (٥١٤- ٥٦٣م) [٢٤١] ، من يوم عين اباغ[٢٤٢]. وفي حكمه ايضاً شهد بلاطه قصة التحكيم بين قبيلتي تغلب وبكر وما القي فيها من شعر[٢٤٣].

كما اهتم النعمان بن المنذر (٥٨٠-٦٠٢م) بالشعر والشعراء وكان الشاعر الحيري عدي بن زيد في حيز النعمان وهو مقل ولقربه من ريف الحيرة لانت الفاظه[٢٤٤] ، وكان زيد شديد الذكاء والدهاء كبير المعرفة والتجربة والخبرة[٢٤٥] ، قريباً من النعمان لذلك وشي به فقتله النعمان وندم عليه[٢٤٦].

([238]) عبدالغني ، الحيرة ، ص٣٦٥.

([239]) ضيف ، شوقي ، تاريخ الادب العربي – العصر الجاهلي ، ط٢، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥، ص٤٧.

([240]) المرزوقي ، شرح ديوان الحماس ، ج٤، ص١٨٦٤.

([241]) فرّوخ ، عمر ، تاريخ الادب العربي ، لا.م ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ج١، ص١٧٠.

([242]) يوم عين اباغ: من ايام العرب في الجاهلية قتل فيه المنذر بن ماء السماء. لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الاثير ، الكامل ، ج١، ص٤٢٦.

([243]) العيثاوي ، الادب في الحيرة ، ص١١.

([244]) ابن رشيق ، ابي علي الحسن ، العمدة ، تح: محمد محي الدين عبدالحميد ، ط٥، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨١، ج١، ص١٠٤.

([245]) الشنتمري ، يوسف بن سليمان بن عيسى ، اشعار الشعراء الستة الجاهليين ، دار الافاق الجديدة ، بيروت ، د.ت ، ج١، ص٢٣٣.

([246]) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢، ص٧٦.

وكثير من الشعراء وفدوا على الحيرة لينعموا بجوائز المناذرة وصلاتهم السنية(٢٤٧) ، وكان من هؤلاء الشعراء النابغة الذبياني الذي مدح النعمان في بلاطه مراراً حتى قال فيه:

اخلاق مجدك جلت مالها خطـر   في الجود والبأس بين العلم والخبـر

متوَّج بالمعالــي فـوق مفرقـه   وفي الوغى ضيغمٌ في صورة القمـر

فتهلل وجه النعمان بالسرور ثم امر فَحُشّي فوهُ جوهراً ثم قال: بمثل هذا فلتمدح الملوك(٢٤٨). كما وصل بلاطه الاعشى وعلقمة(٢٤٩) ، وحسان بن ثابت حين نادم النعمان واصاب منه مالاً كثيراً(٢٥٠).

فهؤلاء الشعراء وغيرهم اغدق عليهم ملوك الحيرة العطاء والهدايا ، في حين حصل العكس مع شعراء نادموا ملوك الحيرة ايضاً مثل المتلمس وطرفة بن العبد الذين نادما عمرو بن هند (٥٦٣-٥٧٨م) فوشى بهما عبد عمرو بن بشر وهو شاعر قدم معهم(٢٥١). فكتب عمرو بن هند الى عامله على البحرين كتاب يأمره بقتلهما وقرب نهر كافر وهو نهر الحيرة وجد المتلمس صبياً فسأله: اتقرأ ياغلام؟ قال نعم ، فقرأ صحيفته فأذا بعمرو بن هند يأمر عامله على البحرين بقتل المتلمس فألقى المتلمس صحيفته في نهر الحيرة(٢٥٢).

وانشد قائلاً:

ألقيتها بالثني من جنب كافـر   كذلك افني كل قـط مضـلل

رضيت لها بالماء لمار رأيتها   يجول بها التيار في كل جدول(٢٥٣)

وهناك جانب مهم شجع العرب على انشاد الشعر والابداع فيه الا وهي الايام(٢٥٤) ،

لذلك اصبح الشعر العربي شعراً متميزاً وخصوصاً في الحيرة لم تؤثر فيه أية ثقافة أعجمية حتى قيل "ان العرب احبت ان تشارك الفرس في البناء وتنفرد في الشعر"(٢٥٥).

---

(247) الشنتمري ، اشعار الشعراء ، ج١، ص٢٣٢.
(248) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢، ص٧٦.
(249) الشنتتمري ، اشعار الشعراء ، ج١، ص٢٣٢.
(250) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج١، ص١٨٥؛ الخفاجي ، عبدالمنعم ، الحياة الادبيـة في عصـر صدر الاسلام ، ط٢، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ص٢١٨.
(251) غنيمة ، الحيرة ، ص٦٧.
(252) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، تح: احمد محمد شاكر ،لا.م ، مصر ، ١٩٦٦، ج١، ص١٨٢.
(253) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ج١، ص١٧٩.
(254) الايام: هي المعارك التي تنشب بين القبائل العربية بسبب انعدام السلطة المركزية. لمـزيد مـن التفاصيل ينظر: الجبوري ، منذر ، ايام العرب واثرها في الشعر الجاهلي ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٧٤، ص٧٣.

قبائل وادباء وشعراء ليقضوا مقاصدهم ، وبهذا التوافد اكتسبت الحيرة مكانة رفيعة في قصص العرب واشعارهم واخبارهم.

اما الشعراء الذين انجبتهم الحيرة نفسها فكانوا كثر من ابرزهم لقيط بن يعمر الايادي (ت٣٨٠م) ، وابو داود الايادي (ت٥٥٠م) ، وقبيصة النصراني (ت٥٩٢م) ، والمنّخل اليشكري (ت٥٩٧م) ، والاسود بن يعفر (ت٦٠٠م) ، وعدي بن زيد (ت٦٠٤م) ، واياس بن قبيصة (ت٦١٢م) ، وعلباء بن ارقم[٢٥٦].

لقد تربى هؤلاء الشعراء في هذه الاجواء الادبية التي كانت تسود الحيرة ، وتذوقوا بأنواع الثقافة والفنون في مجالس ملوكها تلك المجالس التي كانت ملتقى عمالقة الشعر العربي الجاهلي لذا لابد من ان يكونوا شعراء متميزين يشار اليهم بالبنان ويضرب بهم المثل.

ويمكن القول بأن سكان الحيرة عامة كانوا على حظ وافر من الثقافة العلمية

الفصل الثاني

الفتح الأول للحيرة

- علاقة ذي قار بفتح الحيرة.
- مسير خالد الى العراق وفتح الحيرة.
- خالد يتجه نحو الحيرة.
- الجبهة الشمالية.

علاقة ذي قار بفتح الحيرة

حدثت قبل الفتح العربي الاسلامي للحيرة وقعة تاريخية مهمة بين العرب والفرس اثرت بشكل او بأخر على سير الفتوحات الاسلامية فيما بعد الا وهي وقعة ذي قار[٢٥٧] ، وقد اطلق العرب على هذا اليوم عدة اسماء لاعتزازهم وافتخارهم به ، منها يوم الحنو

---

(257) ذي قار: او ذوقار ماء لبكر بن وائل بين الكوفة وواسط متاخمة لسواد العراق. للتفاصيل ينظر: الحميري ، الروض المعطار ، ص٢٦٠- ٢٦٢.

ويوم قراقر[٢٥٨]. وسبب هذه الوقعة هو ان كسرى لما سمع بمقتل عدي بن زيد العبادي على يد النعمان بن المنذر (٥٨٥-٦١٣م) غضب عليه واستدعاه الى المدائن ، فأحس النعمان بخطورة موقفه مع كسرى لذا اودع اهله وماله الى هانيء بن مسعود بن عامر بن شيبان سراً[٢٥٩]، وحال وصوله الى كسرى قبض عليه واودعه السجن حتى مات فيه[٢٦٠]. اما كسرى فعندما وصلت اليه اخبار تسليم ودائع النعمان الى هانيء بن هانيء طلبها منه الا ان الاخير ابى تسليم الامانة وقال "الحر لايسلم امانته"[٢٦١]. وكان هاني قوياً ثابت الجأش متمسكاً بالعادات العربية لذلك لم يأبه بتهديدات كسرى حيال موقفه ويظهر ذلك واضحاً من خلال مخاطبته لقومه "يا قوم مهلك معذور خير من منج مغرور ان الجزع لايرد القدر وان العبر من اسباب الظفر المنية خير من الدنية".[٢٦٢]

وهناك عاملٌ يكاد يكون مساعداً في تأجيج هذه الوقعة وهو تنصر النعمان وخشية كسرى من قيام تحالف على اساس الدين بين الروم وهم اعداء الفرس وملوك الحيرة عن طريق بلاد الشام[٢٦٣].

كما ان كسرى قد هاله مكسب النعمان الشعبي حيث التفت القبائل العربية حوله اما افتخاراً به او للكسب منه ولاسيما بنو شيبان وبكر بن وائل فغضب كسرى لذلك واراد استئصال هذه القبائل متوعداً اياهم بالحرب التي لم يأبه بها العرب بل اختاروها[٢٦٤]. كما عبر عن ذلك الاعشى[٢٦٥]:

فاقعد عليك التاج معتصبا بـه ... لا تطلبـن سـواحنا متعبدا
لاتحســبنا غافلي عن التي ... تغشي وجوه القوم لونا اسـودا
فلعمر جدك لو رأيـت مقامنـا ... لرأيت منـا منظـراً ومؤيـدا
في عارض من وائل ان تلقـه ... يوم الهياج بكى مسـيرك انكدا

([258]) الطبري ، تاريخ ، ج٢، ص١٩٢؛ ابن عبد ربة ، العقد الفريد ، ج٥، ص١٥٨.
([259]) الطبري ، تاريخ ، ج٢، ص٢٠٥؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج١، ص٣٧٨.
([260]) ابن الاثير ، الكامل ، ج١، ص٣٧٩.
([261]) ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج١، ص١٠١.
([262]) ابن عبد ربة ، العقد الفريد ، ج٥، ص١٦٠.
([263]) ماجد ، التاريخ السياسي للدولة العربية ، ج١، ص٩٢.
([264]) الحكيم ، حسن عيسى ، مؤتمر الخورنق ودوره في مقاومة الاطماع الاجنبية ، بحث غير منشور شارك في ندوة صمود العراق تجاه الاطماع الاجنبية عبر التاريخ ، بغداد ، ١٩٩٣، ص٥.
([265]) الاعشى ، ديوان الاعشى الكبير ، شرح وتعليق: محمد محمد حسين ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٤، ص٢٨٣.

وترى الجياد الجرد حول بيوتنا   موقوفة وترى الوشيح مسندا

ويبدو أنّ العرب وجدوا في هذه الوقعة متنفساً لهم للانتقام من الفرس الذين لطالما كانوا يستخدمون القسوة والعنف معهم وجاء مقتل النعمان على يد كسرى ليضيف الى جملة الاحقاد احقاداً وبدأت القبائل العربية بزعامة بني شيبان تغير على السواد[٢٦٦]. ثم عزموا على قتال الفرس واقتتلوا قتالاً شديداً كان النصر حليف العرب وانهزمت الفرس هزيمة نكراء[٢٦٧]. على الرغم من كونهم اصحاب جيش منظم متمرس على القتال فضلاً عن استخدامهم الفيلة التي تعيق حركة الخيل والجمال[٢٦٨].

ويذكر المؤرخون ان وقعة ذي قار كانت بعد هجرة الرسول الاعظم (ص) الى المدينة وتحديداً بين بدر وأحد[٢٦٩]. أي في (٢- ٣هـ) (٦٢٣-٦٢٤م). وحين علم النبي الاكرم (ص) رفع يديه ودعا لبني شيبان ولم يزل يدعو لهم حتى هزم الفرس[٢٧٠]. فقال (ص) "هذا اول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبي نصروا"[٢٧١].

لم تكن ذي قار بالامر الهين على الجانبين العرب والفرس فأما الفرس فقد استعدوا لها كما سبق ذكره وكان كسرى في الخورنق ينتظر النتائج فدخل عليه اياس بن قبيصة الطائي الذي لم يخبره بالهزيمة[٢٧٢] ، خوفاً من ان يخلع كتفيه لان كسرى كان اذا اخبره احد بالهزيمة خلع كتفيه[٢٧٣] ، فلما سأله عن الجيش قال اياس "هزمنا بكر بن وائل واتيناك ببناتهم فعجب بذلك كسرى وامر له بكسوة"[٢٧٤] ، وهذا يدل على ان قوة العرب لايستهان بها وان كسرى كان وجلاً من هذه الوقعة ، ثم اخبر بالهزيمة عن طريق رجل من اهل الحيرة فخلع كتفيه[٢٧٥] ، ومثلما كانت الفرس خائفة من النتائج كانت العرب ايضاً فيذكر

---

(266) الاصفهاني ، الاغاني ، ج٢٤، ص٤٥.

(267) ابو الفدا ، المختصر في اخبار البشر ، ج١، ص١٠١.

(268) الطبري ، تاريخ ، ج٢، ص٢٠٦؛ ابن عبد ربة ، العقد الفريد ، ج٥، ص١٩١.

(269) الاصفهاني ، الاغاني ، ج٢٤، ص٤٤.

(270) المصدر نفسه ، ج٤، ص٤٥.

(271) الطبري ، تاريخ ، ج٢، ص٢٠٦؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج١، ص٣٠٧؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج١، ص٣٧٤.

(272) ابن عبد ربة ، العقد الفريد ، ج٥، ص١٦٠.

(273) الاصفهاني ، الاغاني ، ج٢٤، ص٤٨.

(274) المصدر نفسه ، ج٢٤، ص٤٨.

(275) ابن عبد ربة ، العقد الفريد ، ج٥، ص١٦٠.

ان العذارى النصرانيات صمْنَ شكراً لله على نصر العرب على الفرس ومن هذا اليوم بدء صوم العذارى وهو يوم الاثنين بعد عيد الذبح ويدوم ثلاثة ايام[٢٧٦].

لقد كان لهذا النصر تداعيات خطيرة على الجانب الفارسي حيث اسرع كسرى عند دخوله الحيرة بعد هزيمته الى تنحية أياس بن قبيصة من امارة الحيرة ومنحها الى قائد فارسي يحكمها بصورة مباشرة بعد ان كانت تتمتع باستقلالها الذاتي[٢٧٧].

ومعروف ان العربي لايرضى بحكم الاجنبي عليه فنجم عن هذا زيادة في الهوة بين العرب والفرس ، اما العرب فأن النصر كان بالنسبة لهم يعني الشيء الكثير فقد رسخ هذا النصر ثقة العربي بنفسه ، واثبتت ذي قار للعرب بأنهم قادرون على قتال الامم الكبيرة[٢٧٨].

لقد استمرت القبائل العربية بعد ذي قار بعملياتها العسكرية ضد الفرس ولاسيما بني شيبان فحققوا انتصارات في المنطقة الواقعة بين البصرة والحيرة وكان هذا بمعونة القبائل العربية الساكنة هناك حيث انضوت تحت لوائهم[٢٧٩].

وعلى الرغم من التأثير المحدود لهذه الهجمات الا انها عُدت قوة استطلاع للجيش الاسلامي الفاتح[٢٨٠] وبخاصة ان بني شيبان كانت لهم رغبة الدخول في دين الاسلام لولا تسلط الفرس عليهم[٢٨١]. ولما جاءت الفتوحات الاسلامية تجاه المشرق ولاسيما نحو العراق نجد ان بعض القبائل وقفت الى جانب العرب المسلمين ضد سلطة الفرس.

اما بروكلمان فيرى ان لذي قار تأثيراً كبيراً في زوال الرقابة القوية عن الحدود والذي ادى الى تيسير الفتح الاسلامي لتلك البلاد فيما بعد[٢٨٢]، ذلك ان القبائل التي كانت تسكن عند الحدود كانت موالية لملوك الحيرة وبعد زوال ملك الحيرة صارت هذه القبائل تؤيد كل سلطة تنفذ مطالبها ومطامعها. وبهذا رأي بركلمان رأياً صائباً في هذا الشأن.

([276]) غنيمة ، الحيرة ، ص٢١٩.

([277]) ماجد ، التاريخ السياسي ، ج١، ص٩٢.

([278]) الشمخي ، رحيم هادي ، منطقة الكوفة ودورها في عمليات تحرير العرب للعراق ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب – جامعة الكوفة ، ١٩٩٦، ص٣٦.

([279]) الحكيم ، حسن عيسى ، جوانب تفصيلية في القادسية الاولى ، مجلة افاق عربية ، العدد الاول ، ايلول ، ١٩٨٤، ص٣٠.

([280]) حسين ، عبدالحميد ، الفتح الاسلامي في العراق والجزيرة ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٩٦١، ص٢.

([281]) الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٤، ص٦٣.

([282]) كارل ، تاريخ الشعوب العربية ، ترجمة: نبيه امين فارس ومنير البعلبكي ، ط٣، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٠، ص٢٤.

وكان لهذه النتائج اثرٌ في ثقة العرب بأنفسهم وشعورهم بأنهم ذوو قدرة وكفاءة لاتقل عن قدرة وكفاءة الفرس والروم ونتيجة لهذا نرى العرب يتجهون الى الحيرة فيما بعد لينهوا الحكم الفارسي في عدة معارك(٢٨٣). ويمكن ارجاع زوال الحكم الفارسي في العراق الى عدة اسباب ، لعل ابرزها:

هو دعاء الرسول الاعظم (ص) عليهم لما مزق كسرى كتاب الرسول فكانت ذي قار بداية نهاية الفرس في العراق(٢٨٤). وعلى الرغم من عدم توازن الكفتين في المعركة الا ان لرباطة الجأش التي توسم بها هانيء(٢٨٥). وحسن اختيار الموقع حيث كانوا في حصنهم في ذي قار فكانوا بذلك اعرف بمناطق القتال واكثر قدرة على التحرك كما انهم على مسافة تكاد تكون قريبة من مكان قائد قوات الفرس أياس بن قبيصة في الحيرة(٢٨٦)، فضلاً عن حماس وتشجيع رجالات بني شيبان ضد الفرس فقد عزز ذلك الثقة في نفوس المقاتلين العرب وزاد من صبرهم على تحمل شدة القتال(٢٨٧) ، اما النساء فقد شاركن الرجال العرب وكان لهن دور عظيم في زيادة غيرة الرجال عليهن وانطلاقاً من هذا فقد نادت ابنة القرين الشيبانية عندما تعرضت وضن النساء للقطع من قبل الفرس بأراجيز شعرية تقصد بها اثارة وزيادة حماس العرب فقالت:

ويهاً بني شيبان صفاً بعد صف ان تُهزموا يصبغوا فينا القلف(٢٨٨)

فكان للنساء دور عظيم لان العرب تقاتل بأقصى ما اوتيت من قوة عندما تكون نساءهم معهم. كما اتسم قتال العرب في ذي قار بسمة خاصة تدلل على روح العروبة والاخلاص والوفاء واداء الامانة وبذلك يكون قتال العرب حقيقياً لا يهدفون من ورائه السلب او النهب ولم يلتفتوا الى غنيمة وانما تتبع الفرس بالقتل حتى حققوا النصر(٢٨٩).

مسير خالد الى العراق وفتح الحيرة

(283) حسين ، الفتح الاسلامي ، ص٢.
(284) الاعظمي ، تاريخ الدول الفارسية في العراق ، ص٤٤.
(285) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٥، ص١٦٠.
(286) عماش ، صالح مهدي ، من ذي قار الى القادسية ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧١ ، ص٤٩.
(287) ابراهيم ، محمد ابو الفضل ومحمد علي البجاوي ، ايام العرب في الجاهلية ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٨، ص٢٨.
(288) الطبري ، تاريخ ، ج١، ص٢١٠.
(289) ابن الاثير ، الكامل ، ج١، ص٣٨٠.

قبل ان نتكلم على مسير خالد الى العراق لابد من الاشارة الى ان هذه الخطة (أي تحرير الحيرة) كانت من ضمن خطة النبي (ص) ، فقد روى عثمان بن ابي العاص ان الرسول (ص) كان يذكر الحيرة وفتحها وانها سوف تصبح مصراً للمسلمين اذ قال "يكون للمسلمين ثلاثة امصار مصر بملتقى البحرين ، ومصر بالحيرة ، ومصر بالشام"[٢٩٠]. وهذا يدل على ان الرسول (ص) قد بشر المسلمين بفتح هذا المصر. اما خُريم بن اوس فقد روى عن الرسول (ص) قوله "... هذه الحيرة رفعت لي وانكم ستفتحونها ..." [٢٩١] ، وقد وهب الرسول (ص) ابنة بقيلة الى خزيمة وعلى هذا الاساس فقد منحها خالد اليه عندما فتح الحيرة بعد ان شهد له عدد من الانصار[٢٩٢].

ويذكر البلاذري ان خُريم هو الذي طلب ابنة بقيلة من الرسول (ص)[٢٩٣] ، ومهما يكن الامر فأن فتح الحيرة كان متداولاً من قبل الرسول (ص) ، وقد وجد المسلمون ابنة بقيلة على ما وصفها الرسول (ص) لذا عُدت هذه الحادثة احدى معجزاته[٢٩٤] ، فضلاً عما يمكن ان تبثه من ثقة عالية في نفوس المقاتلين.

ووفد اهل الحيرة على الرسول (ص) بعد فتح مكة فكان فيمن وفد عليه قيس بن عاصم وعمر بن الاهتم[٢٩٥] ، والمثنى بن حارث وهانيء بن قبيصة ، وكان الرسول (ص) يدعوهم الى الاسلام فأجابه المثنى "اني قد سمعت مقالتك واستحسنت قولك واعجبني ما تكلمت به ولكن علينا عهد من كسرى ، ولانحدث حدثاً ولا نؤدي محدثاً وان ما تدعونا اليه امرٌ تكرهه الملوك فأن احببت ان نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا"[٢٩٦]. فقال رسول الله (ص) "ما أسأتم الرد اذ افصحتم بالصدق وان دين الله لن

([290]) ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسين ، تاريخ مدينة دمشق ، تح: صلاح الدين المنجد ، مطبعة التراقي ، دمشق ، ١٣٧١هـ ، ج١، ص٦١٤.

([291]) الدميري ، كمال الدين محمد بن موسى ، حياة الحيوان الكبرى ، دار احياء التراث ، بيروت ، ٢٠٠٥، ج١، ص١٧٦.

([292]) البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر ، فتوح البلدان ، لجنة تحقيق التراث ، بيروت ، ١٩٨٨، ص٢٤٠.

([293]) فتوح البلدان ، ص٢٤١.

([294]) دحلان ، احمد بن زيني ، الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ، مطبعة مصطفى محمد ، مصر ، ١٣٥٤هـ، ج١، ص٢٢.

([295]) الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٤، ص٦٣.

([296]) السهيلي ، الروض الانف ، ج١، ص٢٦٥.

ينصره الا من حاطه من جميع جوانبه ارأيتم ان لم تلبثوا الا قليلا حتى يورثكم الله ارضهم واموالهم ويفرشكم نساءهم"[٢٩٧].

ويتضح مما تقدم ان الرسول (ص) كان يشجع رؤساء القبائل وبقية العرب على فتح الحيرة واخضاع الفرس بعد ان دعاهم الى الاسلام فلم يستجيبوا اذ مزق كسرى كتاب الرسول (ص) فدعا عليه بتمزيق ملكه[٢٩٨] ، وكما مر ذكره فأن الحيرة بعد ذي قار فقدت مكانتها بوصفها سداً خارجياً يقي الفرس من هجمات القبائل العربية[٢٩٩] ، ولاسيما بني شيبان بزعامة قائدهم المثنى بن حارثه الذي كتب الى الخليفة الاول ابي بكر (١١-١٣هـ)/(٦٣٢-٦٣٤م) يعلمه بضراوته تجاه فارس ويعرفه وهنهم[٣٠٠]، ثم تحولت هذه الغارات الى نزاع بين القبائل التي يتزعمها المثنى بن حارثة والبدو الخاضعين للاكاسرة[٣٠١] .

احس الخليفة بضرورة ارسال جيش الى الحيرة[٣٠٢] ، وقد يتساءل بعضنا قائلاً لماذا نقول الحيرة ولا نقول العراق والجواب هو ان الحيرة كانت في ذلك الوقت تعد باب العراق لذا لابد من الدخول عن طريق هذا الباب الذي يؤدي الى تحرير العراق كله.

اذن تمتعت الحيرة بموقع استراتيجي مهم جداً بالنسبة للفتح الاسلامي انذاك. ويبدو ان الخليفة كان ينوي فتح الحيرة قبل هذه الاحداث اذ يورد ابن قتيبة رواية تقول: ان ابا بكر قال: من الامور التي تركتها وليتني فعلتها هو اني حين ارسلت خالد بن الوليد الى الشام ليتني ارسلت عمر بن الخطاب الى العراق فأكون قد بسطت يديّ في سبيل الله[٣٠٣].

فضلاً عما سبق من تقديم للجانب الديني على غيره بيد ان هناك عاملاً اخر لايمكن تجاهله ولايجوز وضعه في مقدمة اسباب الفتوح الا وهو العامل الاقتصادي ذلك ان عداء الفرس للاسلام في الجزيرة قد حال دون وصول الميرة من العراق ومعروف ان ارض السواد ذات خصب كثير عكس الحجاز الذي هو وادٍ غير ذي زرع لذلك ترتب على

---

(297) المصدر نفسه ، ج١، ص٢٦٥.
(298) الطبري ، تاريخ ، ج٢، ص٦٥٥.
(299) بروكلمان ، تاريخ الشعوب العربية ، ص١١٠.
(300) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص١٦٤.
(301) بروكلمان ، تاريخ الشعوب العربية ، ص١١٠.
(302) حسونة ، محمد احمد ، اثر العوامل الجغرافية في الفتوح الاسلامية ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٠، ص٢٢.
(303) الامامة والسياسة ، تح: خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠١، ج١، ص٢١.

المسلمين الانطلاق نحو العراق وبخاصة الحيرة لتأمين عيشٍ رغيدٍ للاجيال وتخليصهم من ضنك العيش الذي هم فيه(٣٠٤).

لقد كان لعامل الجغرافية - والذي يأتي منسجماً مع عامل التاريخ في اغلب الاحيان- اثرٌ كبيراً على الفتح الاسلامي للحيرة بوجه خاص كونها تقع على سيف الصحراء وان العرب حينما شرعوا في فتحها لم يخرجوا عن بيئتهم الطبيعية بل وجدوا انفسهم في منطقة صحراوية لانقول تشبه بلادهم فحسب بل هي جزء متمم لها(٣٠٥). كما كان لهذه الصحراء ايضاً اثرٌ على العرب الداخلين الى الحيرة والخارجين منها فقد عرفوا مواطن القوة والضعف من خلال معرفتهم المسالك التي تؤدي الى قلب الامبراطورية الفارسية(٣٠٦) ، كما ان عرب المنطقة انفسهم وجدوا في القادمين اليهم من يشاطرهم اللغة والجنس والعادات والتقاليد فقد كانوا حاقدين على الاكاسرة الذين شتتوا ملك المناذرة وجعلوا على الحيرة ولاة من الفرس يجهلون لغتهم وتقاليدهم(٣٠٧) ، لقد استغل العرب هذه الظروف الطبيعية استغلالاً صحيحاً في عملية الفتح.

وعندما احس الخليفة بضرورة ايجاد قائد عسكري يتولى الجيش الاسلامي وبحسب المواصفات التي تريدها الخلافة استدعى خالداً بن الوليد من اليمامة وامره بالمسير الى العراق(٣٠٨). فسار خالد من اليمامة الى البصرة ، وهناك من يرى ان خالداً ذهب الى المدينة للتشاور مع الخليفة ومن ثم توجه نحو العراق ، الا ان معظم المؤرخين يجمعون على ان خالداً سار من اليمامة الى العراق ، من دون ان يمر بالمدينة(٣٠٩).

لقد وضعت الخلافة خطة دقيقة لخالد تجعل الفرس بين فكي كماشة حيث سرحت الخلافة خالد على ان يدخل العراق من الابلة ثم يتجه نحو الحيرة ، في حين يقصد عياض بن غنم(٣١٠) جهة الشمال وفي اثناء ذلك كتب لهما الخليفة كتاباً جاء فيه: "اذا اجتمعتما

---

(304) حسين ، الفتح الاسلامي ، ص٢؛ ياسين ، نجمان ، تطور الاوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩١، ص١٧٦.
(305) حسونة ، اثر العوامل الجغرافية ، ص٢٢.
(306) حسين ، الفتح الاسلامي في العراق والجزيرة ، ص٦.
(307) حسونة ، اثر العوامل الجغرافية ، ص٢٢.
(308) اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب ، تاريخ اليعقوبي ، تح: خليل المنصور ، دار الاعتصام ، قم ، ١٤٥٢هـ ، ج٢، ص٨٩؛ الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٤٣؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٣٨.
(309) ابن كثير ، اسماعيل بن عمر ، البداية والنهاية ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٥١هـ ، ج٦، ص٣٤٢.
(310) عياض بن غنم بن زهير بن ابي شداد ، اسلم قبل الحديبية ، وهو فاتح الجزيرة ، توفي سنة

بالحيرة ، وقد فضضتما مسالح الفرس وامنتما ان يؤتى المسلمون من خلفهم ، فليكن احد كما رداء للمسلمين ولصاحبه بالحيرة ، وليقتحم الاخر على عدو الله من اهل فارس دارهم ومستقر عزمهم المدائن"[٣١١].

اكد الخليفة في رسالته لامراء جيشه على ان من يسبق في الوصول الى الحيرة فهو اميرٌ على الاخر[٣١٢] ، لقد اراد الخليفة من هذا ان يجمع همم الامراء ويجعلهم يتسابقون في الوصول الى الحيرة كونها قطب الرحى للقبائل العربية قبل الاسلام لذا تصدرت قائمة الفتح الاسلامي للمشرق ، كما ان العرب في طبعهم ميالون الى حب الامارة فالمثنى لما ارسل الى الخليفة يعلمه بأخبار هجمات العرب ضد الفرس كان يأمل ان يوليه الخليفة الامر فلما ارسل اليه خالداً كره ذلك[٣١٣] ، وكذلك سويد بن قطبة الذهلي كان يفعل الشيء نفسه في البصرة مثلما كان يفعل المثنى في الحيرة[٣١٤] ، اذ كان يأمل ان يتولى قيادة قومه ، على الرغم من ان اليعقوبي ذكر انه كان عاملاً لابي بكر على البصرة[٣١٥] ، الا ان هذا بعيداً كل البعد لان البصرة مصرت بعد فتح الحيرة بعامين أي سنة ١٤هـ / ٦٣٥م[٣١٦].

قدم خالد الى الابلة ومعه عشرة الاف من المقاتلين وقسم جيشه الى ثلاث فرق ووعدهم الحفير[٣١٧] وكان هذا الفرج من اعظم فروج فارس واشدهم شوكة لذا اوكلوا قيادته الى هرمز[٣١٨] ، الذي كان يضرب به المثل حتى قيل: "اخبث من هرمز واكفر من هرمز"[٣١٩].

٢٠هـ/٦٤٠م. ابن الاثيـر ، اسـد الغابة في معـرفة الصحـابة ، تحقيـق وتعليق:ابراهيم البنا ومحمد احمد عاشور ومحمود عبدالوهاب فايد ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت ،ج٤، ص٣٢٧.

(311) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٤٧.

(312) المصدر نفسه ، ج٣، ص٣٤٧.

(313) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص١٦٣.

(314) قدامة ، بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، تح: محمد حسين الزبيدي ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٨١، ص٣٦٤.

(315) تاريخ ، ج٢، ص٩٤.

(316) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٥٩٠.

(317) الحفير: موضع بين مكة والبصرة. الحموي ، معجم البلدان ، ج٣، ص١٦٢.

(318) ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٣٩.

(319) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٥١.

ولما كان المسلمون على قدرٍ عالٍ من الايمان وحب الجهاد فأنهم ارادوا ان يبدوا بهذا الفرج ليروا عدوهم بأسهم. وما ان سمع هرمز بهم حتى وافى الحفير الامر الذي اضطر خالداً الى نزول كاظمة[٣٢٠] فنزلها هرمز قبله ايضاً[٣٢١].

ويبدو ان الفرس كانوا يسرعون ويعسكرون في المواضع التي يقصدها المسلمون كي يستعدوا بكامل قوتهم لملاقاة المسلمين الا ان هذا لم يقلل من عزيمة المسلمين ، بل زادهم ايماناً وقوة.

وعلى الرغم من استعداد الفرس الكامل لمنازلة المسلمين بعد ان ربطوا ايديهم بالسلاسل ، ودعا هرمز خالد للنزال وكانت الفرس تنوي الغدر بخالد لكن القعقاع بن عمرو لحق بحماة هرمز واخذ خالد يقاتلهم حتى هزمهم الله وارى المسلمين اكتافهم[٣٢٢]. وسميت هذه الوقعة بذات السلاسل لان هرمز واصحابه اقترنوا بالسلاسل حتى لايفروا من القتال ، الا انهم لم ينج منهم سوى قباذ وانوا شجان وهما من امراء هرمز[٣٢٣].

ثم اخذ خالد سلب هرمز وكانت قلنسوته بمئة الف وهذا يدل على تمام شرفه عند الفرس وبعث خالد بالفتح والاخماس لابي بكر[٣٢٤] ، وكان لقتل هرمز وقع كبير في نفوس العرب المسلمين كونهم قتلوا احد اكبر اشراف الفرس.

لقد انفرد الطبري بذكر الفيل مع الاخماس التي حصل عليها العرب المسلمون في ذات السلاسل والتي ارسلت الى المدينة[٣٢٥] ، على ان البعض الاخر يرى ان الفرس لم يستخدم الفيلة كون المعارك لم تبلغ ذروتها وقساوتها بعد ولم يستخدم الفرس فيها كل اساليبهم وعددهم ولان هزيمة العرب المسلمين في الايام المقبلة كانت نتيجة مفاجئتهم بالفيلة ، والا لاتخذوا الاجراءات التي من شأنها ان تقيهم خطرها[٣٢٦].

---

(320) كاظمة: موضع على سيف البحر بين البحرين والبصرة. الحموي ، معجم البلدان ، ج٧، ص١١٤.
(321) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٤٩.
(322) المصدر نفسه ، ج٣، ص٣٥٠.
(323) ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٣٩.
(324) المصدر نفسه ، ج٢، ص٢٣٩.
(325) تاريخ ، ج٣، ص٣٥٠.
(326) الفيصل ، شكري ، حركة الفتح الاسلامي في القرن الاول ، دار العلم للملايين ، بيروت ، د.ت ، ص٦٣.

تجمعت بعد ذلك فلول الفرس المنهزمة من ذات السلاسل في المذار(٣٢٧) مع امدادات اردشير التي ارسلها الى هرمز لكنها لم تصل في الوقت المناسب ، فقاتلهم المسلمون وكانت معركة المذار شديدة جداً حيث قيل ان قتلى الفرس بلغت ثلاثين الفاً غير الجرحى وكان من بين القتلى قباذ والانوشجان ، وفر منهم من فر ولولا المياه لاتى المسلمين على اخرهم(٣٢٨).

أمّر خالد على الجيش سعيد بن النعمان ، واقام هو في المذار فترة يتجسس اخبار عدوه بعد ان قسم الفيء والاسلاب.(٣٢٩).

يبدو ان خالد اراد من سياسته هذه ارباك عدوه واظهار سطوته وقوته العسكرية وبأسه عليهم ثم تأمين مؤخرة جيشه من خلال القضاء على هذه المسالح ، كما انه اراد ان يعطي درساً للفرس الذين سيكونون في طريقه فكان يقول "يجب ان ابدأ بهم ، لكي يكون مصيرهم عبرة لغيرهم"(٣٣٠).

ولحماية المناطق المحررة وتأمين سلامة مؤخرة الجيش وضع خالد بعض الحاميات تجاه تلك المداخل حتى تكون يقظة لما عسى ان يأتي منها فكانت هذه الحاميات في الابلة والخريبة(٣٣١). بناحية جسر البصرة بأسفل دجلة(٣٣٢). فخلف سويد بن قطبة الذهلي على ناحيته وقال له "قد عركنا هذه الاعاجم بناحيتك عركة اذاتهم لك"(٣٣٣) ، فكان سويد على منازل بني ذهل بالبصرة وكان قطبة بن قتادة(٣٣٤) على جبهته(٣٣٥) ، واستخلف بالخريبة شريح بن عامر من بني سعد بن بكر بن هوازن(٣٣٦).

---

(327) المذار: منطقة في ميسان بين واسط والبصرة بينها وبين البصرة اربعة ايام. الحموي ، معجم البلدان ، ج٧، ص٢٣٢.

(328) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٥١.

(329) المصدر نفسه ، ج٣، ص٣٥٢.

(330) ابن اعثم ، ابي محمد احمد الكوفي ، الفتوح ، تح: علي شيري ، دار الاضواء ، بيروت ، ١٩٩١، ج١، ص٧٥.

(331) الخريبة: موضع بالبصرة نزل فيها المسلمون وكان المثنى خربها بشن هجماته عليها. الحموي ، معجم البلدان ، ج٣، ص٢٢٨.

(332) كمال ، احمد عادل ، الطريق الى المدائن ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٧٢، ص٢٢٦.

(333) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٣٩.

(334) قطبة بن قتادة: بن جرير ، الذي استخلفه خالد بن الوليد سنة ١٢هـ / ٦٣٣م في البصرة عندما سار يريد السواد. ابن الاثير ، اسد الغابة ، ج٤، ص٤٠٧.

(335) كمال ، الطريق الى المدائن ، ص٢٢٦.

(336) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٣٩.

لقد كان لهذه الحاميات اثر في تقدم القوات الاسلامية الى امام حيث كانت اشبه بنقط الحدود التي تشرف على منافذ المنطقة وتقف عليها وينظر بعضها على بعض(٣٣٧) ، فجعل خالد على قيادة هذه الحاميات سويد بن مقرن المزني(٣٣٨) وامره بنزول الحفير وبث عماله ووضع يده على الجباية(٣٣٩) ، وهناك هدف لخالد عندما وضع القيادة في الحفير لانها ستكون في موضع خلفي للجيش وتتوسط اطراف الصحراء(٣٤٠).

وبوجود الحاميات الاسلامية وانهاء مسالح الفرس على الطريق عن الابلة الى الحيرة تكون خطة الخلافة في منتهى الدقة لانها اضعفت قوات الفرس المتحشدة بأعداد كبيرة فكان النصر او الخذلان يأتي بنتائجه على صاحبه وهذا مما جناه خالد في اثناء مسيره الى الحيرة(٣٤١).

لقد كان لوقعة المذار اثر سيء في نفوس الفرس الامر الذي دعا قائدهم العام اردشير الى ارسال قوات كبيرة بقيادة الاندرزغر وكان هذا من مولدّي السواد(٣٤٢) ، ويبدو انه اعرف بمسالك الطرق التي يسلكها العرب المسلمون ، فحشد له جيشاً من بين الحيرة وكسكر ومن عرب الضاحية والدهاقين(٣٤٣). فعسكروا بالوَلَجة(٣٤٤) وامده بجيش اخر بقيادة بهمن جاذويه واخذ هذا غير طريق الاندرزغر وسلك وسط السواد(٣٤٥) ، اما خالد فأنه لجأ في هذه المرة الى طريقة الكمائن في قتاله مع الفرس لان المعارك هنا بدأ يحمي وطيسها فلابد من خطة جديدة لمثل هذه الاعداد من جيوش الفرس.

استبشر الفرس خيراً بوصول بهمن جاذويه اليهم اما خالد فأنه كان يريد انهاك عدوه بتأخيره(٣٤٦). والحقيقة لاتخفى فأن الفريقين قد نفد صبرهما ، وكان كمين خالد في ناحيتين حيث جعل الفرس تماماً بين فكي كماشة فكان بسر بن ابي رهم من ناحية وسعيد

([337]) فيصل ، حركة الفتح الاسلامي ، ص٦٦.
([338]) سويد بن مقرن المزني: بن عائذ بن هجير ، ونسب مزينة الى امه ، ويكنى بأبي عدي وكان ممن سكن الكوفة. ابن الاثير ، اسد الغابة ، ج٢، ص٤٩٤.
([339]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٥٢؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٤٠.
([340]) كمال ، الطريق الى المدائن ، ص٢٢٧.
([341]) خطاب ، محمود شيت ، قادة فتح العراق والجزيرة ، ط٢، دار الفكر ، بيروت ، د.ت ، ص١٢١.
([342]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٥٣.
([343]) ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٤١.
([344]) ألولَجة: من ارض كسكر مما يلي البر. الحموي ، معجم البلدان ، ج٨، ص٤٦٢.
([345]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٥٣.
([346]) كمال ، الطريق الى المدائن ، ص٢٣٠.

بن مرو العجلي من ناحية اخرى اما خالد فأنه اخذهم من بين ايديهم وكان الكمين من خلفهم فلم يرَ احدهم مقتل صاحبه ومضى الاندرزغر ومات عطشا(٣٤٧).

وكان قتال الولجة شديداً جداً وفيها قال القعقاع بن عمرو:

ولم أرَ قوماً مـثل قوم رأيتهـم   على ولجات البر احمى وانجبـا

وأقتـل للرُّوّاس في كل مجمـع   اذا صعصع الدهُر الجموع وكبكبا(٣٤٨)

ثم فتح خالد كسكر سنة ١٢هـ/٦٣٣م فسبى ذراري المقاتلة(٣٤٩). وقتل فيها ابناء لزعماء بكر بن وائل(٣٥٠). فكان لقتلهم وقع سيء في نفوس قومهم الذين وجدوا ضالتهم في الفرس للاخذ بثأرهم فتآزروا مع الفرس وشد بعضهم عزم بعض وتكاتبوا مع الاعاجم(٣٥١).فاجتمعوا هذه المرة في ألّيس(٣٥٢) وكان غرض الفرس باجتماعهم في هذا المكان ابعاد الخطر عن عاصمتهم المدائن لما رأوا من هزائم متلاحقة من قبل خالد على دجلة فارادوا نقل ميدان القتال الى منطقة الفرات(٣٥٣). وكان قائد الفرس بهمن جاذويه الذي امده اردشير بقائد اخر هو بهمن جاذويه جابان فأصبحوا لحمة واحدة من نصارى بكر بن وائل وعرب الضاحية من اهل الحيرة(٣٥٤).

رأى خالد انه لابد من خطة لمعادلة كفة القتال فرأى ان المباغتة في الهجوم أسلم لجيشه وافنى لعدوه فأرسل اليهم المثنى بن حارثة فقاتلهم وهم يتناولون طعامهم وكان قتالاً عنيفاً(٣٥٥). حيث عدت معركة ألّيس من اعنف المعارك التي خاضها العرب المسلمون قبل القادسية(٣٥٦).

ولشـدة هول المعركة اقسم خالد بالله ان نصرهم ليجري من دمائهم نهراً حيث قال "اللهم ان هزمتهم فعليّ ان لا ابقي منهم من اقدر عليه حتى اجري من دمائهم نهرهم .."

(347) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٥٤.
(348) المصدر نفسه ، ج٣، ص٣٥٤.
(349) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢، ص٨٩.
(350) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٥٤.
(351) المصدر نفسه ، ج٣، ص٣٥٥.
(352) ألّيس: قرية من قرى الانبار في اول ارض العراق. الحموي ، معجم البلدان ، ج١، ص١٩٩.
(353) سعيد ، امين ، تاريخ الاسلام السياسي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر ، د.ت ، ص٢٦٢.
(354) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٥٥.
(355) ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٤.
(356) الحكيم ، جوانب تفصيلية ، ص٣١.

[٣٥٧] ، فلما هزم الفرس وفى خالد بقسمه الى الله حيث اقبلوا افواجاً من الاسرى فوكل بهم رجالاً يضربون اعناقهم في النهر واستمر هذا يوماً وليلة ، وكان خالد قد صد الماء عن النهر وبعد ان انتهى ضرب اعناقهم ففتح الماء فجرى دماً عبيطاً فسمي النهر بنهر الدم[٣٥٨] ، وظل هذا اسمه مدة قرون.

ان هذه الحادثة قد ذكرها اغلب المؤرخين وهي تتناقض مع تعاليم الاسلام ومبادئه ، ويبدو ان خالداً قد اتخذ هذا القرار بمفرده ، من دون ان يستند الى أي مشورة او اساس شرعي.

ويبدو ان قتال العرب المسلمين للفرس كان مفاجأة لهم وانهم أي الفرس لم يعووا بروح الاسلام الجهادية الامر الذي جعلهم يتخبطون من اجل تحقيق النصر فقد تركوا امغيشيا[٣٥٩] وهي حصن منيع وكبير لديهم كالحيرة[٣٦٠] ، وقاتلوا في ألّيس التي تعد مسلحة من مسالح أمغيشيا فكان الاجدر بهم القتال في مصرهم لانهم اعرف بمسالكه من غيرهم ، لكن شدة واندفاع العرب المسلمين في القتال افقدت الفرس صوابهم.

لقد كانت ألّيس من المعارك العنيفة جداً حيث بلغ قتلى الفرس سبعين الفاً[٣٦١]. كما كان لنتائج هذه الوقعة اثر سيئ في نفوس الفرس اذ تعرضت معنوياتهم لانهيار كبير الامر الذي ادى الى فرار العديد منهم فأصبحت امغيشيا مفتوحة امام المسلمين[٣٦٢] ، وأصابوا منها اموالاً عظيمة وكراعاً واثاثاً لان اهلها فروا هاربين من المسلمين فتعذر

عليهم نقلها[٣٦٣]. اذ دخلها المسلمون وغنموا منها ما غنموا ثم امر خالد بهدمها[٣٦٤].

ويبدو ان قرار خالد بهدمها كان قراراً صائباً لانها مصرٌ مهمٌ كما اسلفنا وتأوي المقاتلة وحتى يكون مطمئناً في اثناء توجهه الى الحيرة منها لذا امر بهدمها ، ثم ان خالداً كان ينوي تدمير الجيش لا احتلال المدن لان السيطرة على المدن تتطلب منه اقامة جيش

---

(357) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٥٦.
(358) ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٤٢.
(359) امغيشيا: مصر من امصار العراق كالحيرة. الحموي ، معجم البلدان ، ج١، ص٢٠٤.
(360) كمال ، الطريق الى المدائن ، ص٢٣٨.
(361) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٥٨.
(362) عبدالحميد ، صبحي ، معارك العرب الحاسمة ، ط٣، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٩٨٦، ص٨١.
(363) ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٤٢.
(364) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٥٨.

والتمركز بها في الوقت الذي كانت المدائن عاصمة الفرس تستعد وتتهيأ لحرب العرب المسلمين. لقد اكتفى خالد بوضع الحاميات على الطريق وسار ينوي السيطرة على الحيرة ، بعد ان سيطر على المنطقة الممتدة من جنوبي الانبار حتى شط العرب ومن جنوبي الولجة الى البصرة أي انهم امتلكوا السواد كله تقريباً[٣٦٥]. ويبدو ان السيطرة المقصودة هنا لاتعني السيطرة العسكرية بالمفهوم الحديث بقدر ما كانت تعني وجود حامية عسكرية صغيرة غرضها في معظم الاحيان التجسس على العدو ومتابعة حركاته وايصال الاخبار الى قائد الجيش ، والسبب معروف لان البلاد لم تستقم للفاتحين بعد ، وان الفرس مازالوا يمثلون قوة قاهرة فلايمكن ان يفرط قائد المسلمين بجيشه تجاه هذه القوة. ومهما يكن من امر فأن وصول الاخبار الى الخليفة كانت مدعاة لسروره حيث استبشر بها خيراً وقال "أعجزت النساء ان يلدن مثل خالد"[٣٦٦].

خالد يتجه نحو الحيرة

بعد ان قضى خالد على معظم مسالح الفرس وانهك قواهم اتجه نحو غرضه المنشود وهو الحيرة لان وجود هذه المسالح مع قوة الفرس وكثرتهم العددية تؤدي الى تطويق قوات المسلمين وتهدد سلامتهم[٣٦٧]. فخرج من امغيشيا بقوتين احدهما السفن المحملة بالاثقال والرجال والانفال وكانت هذه السفن من غنائم امغيشيا[٣٦٨] ، والثانية راجلة يقودها خالد على الخيل تسير بمحاذاة السفن[٣٦٩].

وما ان سمع مرزبان الحيرة بمسير خالد نحوه حتى جهز نفسه وايقن بخطر الموقف الذي ينتظره فكان اول ما قام به هو طلب الامداد من اردشير ولما كان خالد قد انهى مسالح الفرس فأن الامداد سيكون مباشرة من المدائن وهذا يعني تأخر وصول هذه الامدادات فعمد المرزبان الى تأخير وصول خالد الى الحيرة بسد مجرى الفرات لايقاف حركة السفن وجعل ابنه على رأس قوة عسكرية عند فم فرات بادقلي[٣٧٠]. وامره ان لايشتبك مع العرب المسلمين بقتال حقيقي لحين وصول الامدادات[٣٧١] ، ونتيجة لسد مجرى الفرات توقفت حركة السفن فسارع خالد وباغت ابن

([365]) سعيد ، تاريخ الاسلام السياسي ، ص٢٦٣.
([366]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٥٩؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٤٢.
([367]) خطاب ، قادة فتح العراق والجزيرة ، ص١٢١.
([368]) عبدالحميد ، معارك العرب الحاسمة ، ص٨١.
([369]) ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٤٢.
([370]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٥٩.
([371]) عبدالحميد ، معارك العرب الحاسمة ، ص٨١.

المرزبان وقاتله وقتل منهم ما قتل حتى انهاهم[٣٧٢] ، فسار الماء واتجه خالد لملاقاة المرزبان الذي عسكر عند الغريين[٣٧٣] والقصر الابيض اما خالد فكان نزوله بين النجف والخورنق[٣٧٤] ، ولكون الحيرة محصنة وفيها رجال ذوو خبرة بالحرب ووفرة بالسلاح فأراد خالد ان يتريث قليلاً في هذا المكان قبل دخوله الحيرة[٣٧٥]. وحدثت مناوشات بين اهل الحيرة وجيش المسلمين عندما كانوا في النجف قبل زحفهم الى الحيرة[٣٧٦]. وبهذا قال القعقاع بن عمرو وهو يذكر قتلى النجف[٣٧٧]:

سقى الله قتلى بالفرات مقيمة   واخرى بانباج النجاف الكوانف

فنحن وطئنا بالكواظم هرمزا   وبالثني قرني قارن بالجوارف

ويوم احطنا بالقصور تتابعت   على الحيرة الروحاء احدى المصارف

وما ان سمع المرزبان بمقتل ابنه وموت اردشير ونزول خالد هناك حتى فَرَّ هارباً فعبر الفرات من غير قتال واتجه الى المدائن[٣٧٨].

كان هناك فرق كبير بين مباديء القتال عند العرب المسلمين وقتال الفرس الذي يفتقد الى المبدأ ، فمرزبان الحيرة لم ينظر الى حربه مع خالد على انها معركة في حرب وحلقة في سلسلة وان واجبه تجاه وطنه يحتم عليه الاستمرار في الدفاع والمقاومة حتى لو كانت المعركة خاسرة ففي الحرب يلزم ان ينزل بعدوه اكبر خسارة[٣٧٩]. وهذا عكس ما كان يشعر به المسلمون لذلك توالت انتصاراتهم على الفرس ، وكما وصفهم ابن خلدون "ان الصبغة الدينية تذهب التنافس والتحاسد الذي في اهل العصبية ..... ، واهل الدولة التي هم طالبوها وان كانوا اضعافهم فأغراضهم متباينة بالباطل وتخاذلهم لتقية الموت حاصل فلا يقاومونهم وان كانوا اكثر منهم بل يغلبون عليهم ويعاجلهم الفناء بما فيهم من الترف والذل"[٣٨٠].

([372]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٥٩.
([373]) الغريان: بناء كالصومعتين بظاهر الكوفة. الحموي ، معجم البلدان ، ج٦، ص٣٨٥.
([374]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٦٠.
([375]) ابن اعثم ، الفتوح ، ج١، ص٧٦.
([376]) محبوبة ، جعفر بن باقر ، ماضي النجف وحاضرها ، مطبعة العرفان ، صيدا ، ١٩٣٤، ص١٥.
([377]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٦٥.
([378]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٦٠.
([379]) كمال ، الطريق الى المدائن ، ص٢٤٤.
([380]) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ص١١٠.

لقد ترك مرزبان الحيرة امرها لاهلها الذين تحصنوا في قصورها فشرع خالد الى جعل كل قائد من قواده يحاصر قصر من قصور الحيرة وعلى هذا النحو كان ضرار بن الازور الاسدي محاصراً للقصر الابيض وفيه اياس بن قبيصة الطائي ، وضرار بن الخطاب محاصراً لقصر الغريَّين وفيه عدي بن عدي المقتول ، وضرار بن مقرن المزني محاصراً قصر ابن مازن وفيه ابن أكال ، والمثنى بن حارثة محاصراً قصر ابن بقيلة وفيه عمرو بن عبدالمسيح بن بقيلة فدعوهم جميعاً وامهلوهم يوماً وليلة[٣٨١].

ويبدو ان خالداً كان ينوي من محاصرة القصور بهذه الطريقة فتحها في وقت واحد ان امكن وتقليل خسائر قواته.

وما ان انتهت المدة حتى كان ضرار بن الازور اول من قاتل عدوه من اهل القصور بناءً على توصية خالد "لاتمكنوا عدوكم من آذانكم فيتربصوا بكم الدوائر ولكن ناجزوهم ولاترددوا المسلمين عن قتال عدوهم"[٣٨٢].

واضطرمت نار الحرب بين الطرفين وحمي وطيسها ، وافتتح المسلمون الدور والديارات واكثروا من قتلهم[٣٨٣] ، فنادى القسيسون والرهبان بأهل القصور ان يكفوا عن قتال المسلمين لان المقاومة لاطائل لها انذاك فوافقوا على قبول واحدٍ من الشروط التي عرضها المسلمون عليهم ابان فترة المهلة الممنوحة لهم فكف المسلمون عنهم القتال[٣٨٤] ، اما ابن اعثم فأنه ينفرد بروايته بأن من كف القتال ودعا الى الصلح هم العرب المسلمون انفسهم عندما دعا ضرار بن الازور خالداً وهو يقاتل الى مفاوضة اهل القصور قائلاً له "ان هؤلاء قوم عقولهم ناقصة وهم اعداء انفسهم فأن رأى الامير ان يطلب منهم رجلاً لمفاوضته وبذل النصيحة له فعسى ان تنجح المفاوضة"[٣٨٥].

كان اول من طلب الصلح من خالد هو عمرو بن عبدالمسيح وكان من كبار اهل الحيرة وتبعه بعد ذلك اياس بن قبيصة وبقية رؤساء القصور فدعاهم خالد الى الاسلام وقال لهم "ان انتم فعلتم فلكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم وان ابيتم فأعطوا الجزية ، فقال له اياس ما لنا في حربك من حاجة ولا نريد ان ندخل معك في دينك نقيم على ديننا

---

(381) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٦٠؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٤٣.
(382) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٦٠.
(383) المصدر نفسه ، ج٣، ص٣٦١.
(384) ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٤٣.
(385) الفتوح ، ج١، ص٧٦.

ونعطيك الجزية .." [٣٨٦]. فقال لهم خالد تباً لكم "ان الكفر فلاة مضلة ، فأحمق العرب من سلكها"[٣٨٧] ، وهو بذلك اراد ان يبين لهم ان العرب المسلمون جاءوا من اجل نشر دينهم لا من اجل جمع المال ، ويقول لهم اني اتيتكم بقوم هم على الموت احرص منكم على الحياة[٣٨٨].

ودار حديث بين خالد وابن بقيلة وهو يصف له حال مملكتهم ايام آل المنذر وآل النعمان وما آل بهم الان "ان ها هنا مراع لم تصطد فيها الاسود ، وقد شربت النمور دواء التقوى ، والقطعان تستطيع ان ترعى في هذه المروج امنة مطمئنة والطيور تستطيع الطيران تحت سرير الخورنق والان قد تعطلت الامور نعم انه الدهر الدوار والدنيا ، لهذا سميت دنيا"[٣٨٩] ثم سأله خالد لما رأى من كبر سنه حتى قيل انه جاوز المئة سنة[٣٩٠] ، ماذا ادركت ، قال: "ادركت سفن البحر ترفأ الينا في هذا الجرف ورأيت المرأة من اهل الحيرة تأخذ مكتلها على رأسها ولاتتزود الا رغيفاً واحداً ، فلا تزال في قرى مخصبة متواترة حتى ترد الشام"[٣٩١].

ان هذا يدل على ان منطقة الحيرة كانت منطقة فيها من الخصب والزراعة وتنوع الحيوانات ما يندر وجوده في المنطقة ، وان هذا الخير ممتد حتى حدود الشام.

يبدو ان انتزاع الحيرة من ملك آل ساسان ودخولها في طاعة المسلمين لم يكن امراً هيناً على الفرس وعرب الحيرة ولم يكن هذا الحدث ليمر من دون ان تجري به السنة الشعراء وكان ابن بقيلة ابرزهم لما قال:

أبعد المنذرين ارى ســواماً تروح بالخورنـق والســدير
وبعد فوارس النعمــان ارعى قلوصاً بين مــرة والحفيـر
فصرنا بعد هُلك أبي قبيــس كجرب المعز في اليوم المطير
تقسمنا القبائل من معــــد علانية كأيســار الجـزور
وكنا لا يـرام لنا حـريــم فنحن كضرة الضرع الفخـور

---

(386) ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم ، الخراج ، ط٢، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٥٢هـ ، ص١٤٣.
(387) ابو الفدا ، المختصر في اخبار البشر ، ج٦، ص٣٤٣.
(388) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٦٢.
(389) ابن اعثم ، الفتوح ، ج١، ص٧٧.
(390) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٦٢.
(391) الجاحظ ، البيان والتبين ، ج٢، ص١٤٨.

نؤدي الخرج بعد خراج كسرى   وخرج من قريظة والنضيـر
كذاك الدهر دولته ســجالٌ   فيـومٌ من مساءة او ســرور[٣٩٢].

وكان ابن بقيلة قد جزع لبلاده ، وخشى ان يدخل على قومه شيء يكرهونه فحمل معه كيس فيه سم ساعة فأخذه خالد منه بعد ان اتفقا على الصلح وتناوله وقال "بسم الله خير الاسماء ، رب الارض ورب السماء الذي لايضر مع اسمه داء الرحمن الرحيم"[٣٩٣].

ويبدو ان هذه القصة هي للأسطورة اقرب منها للرواية التاريخية ، وبخاصة ان اهل الطب نفوا وبالقطع ان يكون هذا ممكناً ، لان سم الساعة هو سم الحية الهندية التي لا ينفع معها درياق ولا غيره[٣٩٤] ، كما انه ليس في الاسلام ما يتعارض مع سنن الكون التي وضعها الله لعباده ، ونحن لا ننكر ان اسم الله لا يضر معه شيء الا ان مثل هذا يحصل بأعجاز وبطبيعة الحال وكما هو معروف ان الأعجاز يحصل للانبياء والرسل فقط ، الا ان الممكن هو ان شخصية مثل خالد أثارت وأدهشت العرب وقتذاك لما قام به من فتوح تكاد تكون عظيمة وكونه شخصية مقاتلة شجاعة لذلك نسج الرواة حوله مثل هذه الأساطير[٣٩٥].

ومهما يكن من امر فان الحيرة فتحها خالد بن الوليد صلحاً في خلافة ابي بكر الصديق سنة ١٢هـ/٦٣٣م[٣٩٦] ، حيث كانت هذه المدينة ولعدة قرون من الزمان واحدة من اعظم حواجز الاقاليم التابعة للامبراطورية الساسانية ، ولعظم امرها وشدته فان خالداً عندما دخلها فاتحاً صلى صلاة الفتح بثماني ركعات[٣٩٧] ، وهو يقول" قاتلت يوم مؤتة فانقطع في يدي تسعة اسياف ، وما لقيت قوماً كقوم لقيتهم من اهل فارس وما لقيت من اهل فارس قوماً كاهل أليس"[٣٩٨].

ويبدو ان هول المعارك كان عنيفاً جداً وان الفرس كانوا يقاتلون قتالاً شديداً وبخاصة انهم يدركون ان وصول خالد الى الحيرة يعني سقوط درعهم الواقي لعاصمتهم المدائن ، كما ان انسلاخ هذه المدينة عن جسم العاصمة الام كان له تأثير كبير على بقية

([392]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٦٢.
([393]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٦٣؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ج١، ص٧٨.
([394]) الدميري ، حياة الحيوان ، ج١ ، ص٣٤٢.
([395]) كمال ، الطريق الى المدائن ، ص٣٥٩.
([396]) الطبـري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٦٤؛ مؤلف مجـهول ، نظم اللاليء في السلوك ، ترجمة: ابو السعود ، مطبعة بولاق ، ١٢٥٧هـ ، ص٢٢٤.
([397]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٦٦.
([398]) المصدر نفسه ، ج٣، ص٣٦٧.

القرى المحيطة بالحيرة والتي آثرت الصلح على الحرب منها بانقيا وباروسما وبسما وقس الناطف[٣٩٩] ، فقبلوا بالصلح ودفعوا مبلغ الجزية وبقوا على قراهم[٤٠٠].

اما البلاذري فينفرد بذكر وقوع قتال ، في هذه القرى وان خالداً ارسل حملة اليها بقيادة البشر بن سعد الانصاري فاصيب بسهم ، ثم ارسل من بعده جرير بن عبد الله البجلي فخرج له بصبهري بن صلوبا وكان هذا صاحبها فاعتذر اليه عن القتال الذي جرى مع البشر بن سعد وعرض الصلح فتصالحوا[٤٠١].

اما فيما يخص الدهاقين فانهم كانوا ينتظرون ما سيحل بالحيرة فلما فتحها الله للمسلمين واستقام امرها لخالد أتته دهاقين المطاطين[٤٠٢] فصالحوه[٤٠٣].

من هنا تظهر اهمية الحيرة للمنطقة وما حولها فان امر ما حولها كان متعلقاً بها كونها نواة المنطقة ونصل السهم لكل التحركات ، لذلك نجد ان اهل القرى شعروا بأن امر الفرس لا محال اخذ بالانحسار ومن ثم التلاشي نتيجة وقوع الحيرة بيد العرب الفاتحين.

الجبهة الشمالية

ما ان انتهى خالد من عملياته العسكرية واستقامت له الحيرة وما حولها حتى بدء بمتابعة امر عياض الذي استلم جبهة الشمال ، لان خالداً وان استقامت له الامور لكنه لا يستطيع مهاجمة المدائن لانه مقيدُ بوصية الخليفة اذ اوصاهم بوجوب اجتماع القيادتين الشمالية بقيادة عياض والجنوبية بقيادة خالد في الحيرة ومن ثم ابقاء احدى هذه القيادات في الحيرة والاخرى تتجه بالجيوش الى الفرس في المدائن[٤٠٤]. ولما كان عياض قد حوصر في دومة الجندل[٤٠٥] ، وجد خالد انه لابد من الخروج اليه اولاً لانقاذه ومن ثم الهجوم على المدائن[٤٠٦]. كان الطريق بين الحيرة الى دومة الجندل يتطلب من خالد المرور بالانبار

([399]) قس الناطف: موضع قريب من الكوفة على شاطيء الفرات. الحموي ، معجم البلدان ، ج٧، ص٥٠.

([400]) ابن اعثم ، الفتوح ، ج١، ص٧٨.

([401]) فتوح البلدان ، ص٢٤٢.

([402]) الملطاط: مما يلي الفرات من ظهر الكوفة. الحموي ، معجم البلدان ، ج٨، ص٣١٥.

([403]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ٣٦٨.

([404]) كمال ، الطريق الى المدائن ، ص٢٧٧.

([405]) دومة الجندل: موضع بين الكوفة والمدينة والشام. ابن خرداذبة ، ابي القاسم عبيدالله بن عبدالله ، المسالك والممالك ، وضع مقدمته: د. محمد المخزوم ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٨، ص١١٣.

([406]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٦٩.

وعين التمر[٤٠٧] والفراض[٤٠٨] ومن ثم الوصول الى دومة الجندل ، على الرغم من كون الطريق كان مستقيماً الى الهدف الذي ينشده خالد لكنه لم يسلكه لانه كان على علم بأن هذا الخط ليس اقصر الخطوط في الحرب ومعلوم ان المستقيم هو اقرب طريق نحو الهدف[٤٠٩]. الا ان خالداً اراد اخضاع وكما اشرنا سابقاً ما لم يخضع له في طريقه الى الحيرة. فجعل طريقه الى الانبار نتيجة لوجود الفرس فيها وحتى يؤمّنَ سلامة ظهر جيشه وهو متجه لعين التمر.

تحصن اهل الانبار حال وصول خالد اليهم[٤١٠]. الا انه امر جيشه ان يرموهم رشقاً واحداً باتجاه اعينهم فاصابوا عيونهم فسميّت هذه الوقعة بـ"ذات العيون"[٤١١]. ولما رأى اهل الانبار ما حل بهم وانهم غير قادرين على ملاقاة خالد صالحوه على شيء رضي به[٤١٢]. فخلف عليهم الزبرقان بن بدر[٤١٣] ، ثم اتجه خالد بعد ذلك الى عين التمر وكان فيها جمع من الفرس يقودهم مهران بن بهرام وجمع من العرب يتزعمهم عقة بن ابي عقة وهؤلاء نصارى اجتمعوا لقتال المسلمين فكانت خطتهم هي خروج عقة اولاً لقتال خالد وبقاء مهران مع الاعاجم في الحصن بعين التمر[٤١٤].

باغت خالد عقة وهو يقيم صفوفهم فأحتظنه واسره وكان معه عمرو بن الصعق[٤١٥] ، اما باقي فلوله فهربوا وتحصنوا بالحصن وطلبوا الامان فابى خالد اعطاءهم اياه فقاتلوا وفتح الحصن عنوة وقتل منهم مقتلة عظيمة واسر وسبى[٤١٦] ، وضرب عنق عقة وعمرو وكانوا كبار قومهم[٤١٧] ، اما مهران فانه ما ان سمع بأمر عقة حتى قفل هارباً وانسحب بجنوده نحو الشمال فعبر الفرات على اغلب الظن لانه لايمكن ان ينسحب الى

([407]) عين التمر: بلدة قريبة من الانبار غربي الكوفة. الحموي ، معجم البلدان ، ج٦، ص٣٦٩.
([408]) الفراض: من تخوم الشام والعراق شرقي الفرات. الحموي ، معجم البلدان ، ج٦، ص٤٢١.
([409]) كمال ، الطريق الى المدائن ، ص٢٧٩.
([410]) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٤٣.
([411]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٧٤؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٤٦.
([412]) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٤٧.
([413]) الزبرقان بن بدر: بن امرؤ القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف ولاه الرسول (ص) صدقات قومه بني عوف. ابن الاثير ، اسد الغابة ، ج٢، ص٢٤٧.
([414]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٧٦؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٤٦.
([415]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٧٦.
([416]) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٤٤.
([417]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٧٧.

الطرق التي جاء منها خالد ولا يتجه نحو كربلاء وفيها حامية للمسلمين بقيادة عاصم بن عمرو[٤١٨] كما لا يعلم له ولقواته أي خبر في المعارك التي وقعت بعد عين التمر[٤١٩].

ثم اتجه نحو دومة الجندل وكان فيها قبائل متعددة من نصارى العرب[٤٢٠] ، وكانت فيها قوتان الاولى بزعامة اكيدر بن عبد الملك والثانية بزعامة جودي بن ربيعة ، فاما اكيدر فانه اعرف بخالد من غيره لان خالداً اقتاده اسيراً في زمن النبي (ص) بعد غزوة تبوك ٩هـ/٦٣٠م واخذ منه الجزية واعاده الى قريته[٤٢١] ، ولما توفي

النبي (ص) نقض العهد وترك دومة الجندل ونزل الحيرة وابتنى له دوما[٤٢٢] هناك[٤٢٣]. ما ان سمع بخالد حتى خرج من الدوما[٤٢٤]، فعلم خالد بخروجه فارسل اليه عاصم بن عمرو الذي استطاع اسره فضرب خالد عنقه اما من بقي في الدومة فقد هزمهم الله على يد خالد وعياض وقتل منهم مقتلة عظيمة[٤٢٥].

كان لغياب خالد عن الحيرة تداعيات خطيرة ادت الى تكتل الفرس مع نصارى العرب الذين وجدوا فيهم – أي الفرس- ضآلتهم للاخذ بثأر عقة ومن قتل معه في عين التمر.

كون الفرس مع العرب جبهة بأربعة اتجاهات لاستعادة الحيرة فكان خروج زرمهر وروزبه من بغداد يريدان الانبار نحو الحصيد[٤٢٦] والخنافس[٤٢٧] ، وكان الهذيل بن

---

(418) عاصم بن عمرو التميمي اخو القعقاع ، احد الشعراء الفرسان الذين كانت له اشعار كثيرة في فتوح العراق. العسقلاني ، ابن حجر شهاب الدين ابو الفضل احمد ، الاصابة في تميز الصحابة ، تح: الشيخ عادل احمد عبدالموجود وعلي محمد معوض ، ط٣، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٥، ج٣، ص٤٦٥.

(419) كمال ، الطريق الى المدائن ، ص٢٩٠.

(420) دحلان ، الفتوحات الاسلامية ، ج١، ص٢٤.

(421) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص١٠٩.

(422) دوما: بالكوفة والنجف محلة منها ، وسميت دوما لان من بناها هو صاحب دومة الجندل. الحموي ، معجم البلدان ، ج٤، ص٣٢٤.

(423) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٦٩.

(424) كمال ، الطريق الى المدائن ، ص٢٩٣.

(425) ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٤٧.

(426) الحصيد: وادي بين الكوفة والشام. الحموي ، معجم البلدان ، ج٣، ص١٥٤.

(427) الخنافس: ارض للعرب في طرف العراق قرب الانبار. الحموي ، معجم البلدان ، ج٣، ص٢٤٩.

عمران[٤٢٨] معسكراً بالمصيخ[٤٢٩] ، فوصل الخبر الى القعقاع وكان خليفه خالد على الحيرة من الزبرقان ، فبعث القعقاع أعبد بن فدكي السعدي وامّره على الحصيد وعروة بن الجعد[٤٣٠] ، وامره على الخنافس[٤٣١].

وكان زرمهر وروزبه ينتظران وصول من اجتمع لهم من ربيعة[٤٣٢] ، وكان خالد قد امّر القعقاع على الحصيد وابو ليلى بن فدكي على الخنافس وقال لهم "زجياهم ليجتمعوا ومن استثأرهم والا فواقعاهم"[٤٣٣] ، فقاتل القعقاع في الحصيد قتالاً شديداً وقتل زرمهر وروزبه وعدداً من الفرس وانهزم الباقون وفيهم قال القعقاع[٤٣٤]:

الا ابلغا اسماء ان خليلها قضى وطراً من روزمهر الاعاجم

غداة صبحنا في حصيد جموعهم بهندية تغري فراخ الاعاجم

اجتمع من انهزم من الحصيد بالخنافس التي سار لها ابو ليلى وكان يقودهم المهبوذان ومن معهم فوصلوا الى المصيخ[٤٣٥] ، فلما وصل خبرهم خالد وهو بعين التمر واعد قواده يوماً وساعة معلومة لحين وصوله ، فما ان اتت تلك الساعة من ليلة الموعد اغار المسلمون عليهم واكثروا فيهم القتل وكان معظم القتلى من نصارى بني تغلب حتى قيل ان الارض امتلأت بالقتلى[٤٣٦] ، وعنها قال القعقاع بن عمرو[٤٣٧]:

سائل بنا يوم المصيخ تغلبا وهل عالم شيئاً وآخر جاهل

طرقناهم فيه طروقاً فاصبحوا احاديث في اقناء تلك القبائل.

([428]) الهذيل بن عمران: التغلبي من رؤوساء الجاهلية ، وقد عد من (الجرارين) والجرار من يرأس الفاً ، قتل على يد بني مازن في كاظمة. الزركلي ، خير الدين ، الاعلام ، ط٢، مطبعة كوستاتسوماس ، مصر ، ١٩٥٧، ج٩، ص٧٢.

([429]) المصيخ: موضع بين حوران والقلث. الحموي ، معجم البلدان ، ج٨، ص٢٧٨.

([430]) عروة بن الجعد: يقال له بن ابي الجعد البارقي ، وكان ممن حضر فتوح الشام ، ثم سيره الخليفة عثمان بن عفان الى الكوفة. العسقلاني ، الاصابة في تميز الصحابة ، ج٤، ص٤٠٤.

([431]) ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٤٨.

([432]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٧٩.

([433]) المصدر نفسه ، ج٣، ص٣٨٠.

([434]) الحموي ، معجم البلدان ، ج٣، ص١٥٤.

([435]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٨٠.

([436]) ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٤٩.

([437]) الحموي ، معجم البلدان ، ج٨، ص٢٧٨.

وبعد الانتهاء من المصيخ وجه خالد القعقاع وابا ليلى الى ربيعة بن بجير الذي خرج الى الثني[٤٣٨] غضباباً على عقة وامر خالد اصحابه ان يغيروا عليهم وهو معهم فكان هجومهم من ثلاثة اتجاهات فلم يبقَ لهم اثر[٤٣٩].

يبدو ان خالداً كان قد ضاق ذرعاً بنصارى بني تغلب نتيجة تحالفهم مع الفرس ضد المسلمين لذا اخذ على نفسه يميناً ضدهم فأعد لهم غارة شعواء في البشر[٤٤٠] وكان فيها معسكر كبير لعتاب بن فلان والذي انضم اليه الهذيل بعد انهزامه من المصيخ فقاتلهم خالد وقتل منهم مقتلة عظيمة حيث وفّى بيمينه الذي اخذه على نفسه ضدهم حيث قال "ليبغتن تغلب في دارها"[٤٤١].

بعد الثني والبشر توجه خالد الى الفراض وهذه الوقعة تختلف عما سبقها من وقعات فأول مرة في تاريخ الفرس والروم يتحالفون ويتفقون ضد العرب المسلمين وكان الحليف الثالث معهم نصارى العرب ، حيث كان المسلمين العدو المشترك للفرس والروم ، ومعلوم ان "عدو عدوي صديقي"[٤٤٢] فأصبح الفرس والروم في هذه الحالة اصدقاء متحالفون ضد العرب المسلمين ، فأجتمعوا في الفراض وكان بينهم وبين خالد نهر الفرات فعبروا له واقتتلوا قتالاً عظيماً انهزمت الروم ومن معها وخالد يأمر المسلمين ان لايرفعوا أيديهم عن قتلهم حتى بلغ قتلاهم مئة الف قتيل[٤٤٣] ، واقام خالد في الفراض عشرة ايام ثم انصرف بعد ذلك حاجاً وكان ذلك في ذي القعدة سنة ١٢هـ / ٦٣٣م[٤٤٤].

وقال القعقاع في ذكر الفراض[٤٤٥]:

لقينا بالفراض جموع روم ... وفرس غمها طول السلام

أبدنا جمعهم لما ألتقينــا ... وبيتنا بجمع بنـــي رزام

فما فتئت جنود السلم حتى ... رأينا القوم كالغنم السَّوام

---

(438) الثني: موقع بالجزيرة قرب شرقي الرصافة. الحموي ، معجم البلدان ، ج٣، ص١٧.
(439) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٨٢؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٥٠.
(440) البشر: جبل يمتد من عرض الفرات الى بلاد الشام من جهة البادية. الحموي ، معجم البلدان ، ج٢، ص٣٣٧.
(441) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٨٣؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٥٠.
(442) نهج البلاغة ، شرح الشيخ: محمد عبدة ، دار المعرفة ، بيروت ، د.ت ، ج٤، ص٧٢.
(443) ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٥٠.
(444) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٨٤.
(445) الحموي ، معجم البلدان ، ج٦، ص٤٢١.

وبعد هذا كله استقام من العراق للمسلمين من اسفل السواد وضفتيه الفرات والضفاف الغربية ، وخضعت الحيرة والانبار واتصل مابين الشام والعراق والجزيرة في الفراض على رضا من القبائل العربية او كره وعلى كره الفرس بلاشك وعلى رضا الفلاحين ولاشك في ذلك ايضاً[٤٤٦].

ويظهر – ممّا تقدم- ان هذه المرحلة تعد الاولى من مراحل تحرير العراق ، وغرضها الحيرة اولاً ومن ثم تكملة التحرير الا ان الخليفة اراد شيئاً والله سبحانه وتعالى اراد شيئاً اخر ادى الى تأجيل هذا الفتح وتغيير الاوضاع.

توجت هذه المرحلة بفتح الحيرة من نحو وكانت من عمل خالد من نحو اخر وفي خلافة ابي بكر الصديق من نحو ثالث وآمادها العراق العربي والقبائل الضاربة فيه وفيما حوله من نحو اخير[٤٤٧].

ويظهر – ايضاً- ان هناك عدة عوامل ساعدت المسلمين على تحقيق نصرهم في عملية الفتح الاول للحيرة منها عوامل مباشرة وغير مباشرة ومن هذه العوامل غير المباشرة: ضعف القوة الفارسية بعض الشيء اذا ما قورنت بسابق عهدها قبل الحروب التي خاضتها مع الروم ، اذ دخلت الفرس بحروب طاحنة مع الروم بين عامي (٦٠٢-٦٢٨م) أي (٢٠ق.هـ-٧هـ) وهذه الحروب انهكت الطرفين واستنفدت مواردهما فضلاً عن سوء الاوضاع داخل البيت الساساني الحاكم الامر الذي ساعد العرب المسلمين وزاد من همتهم في مهاجمة الحدود الفارسية بكثير من النجاح لتحقيق مثل هذه الانتصارات[٤٤٨].

وتأتي الخطة العسكرية في مقدمة العوامل المباشرة ، اذ كانت خطة محكمة جعلت الفرس بين فكي كماشة من خلال الحملتين من الشمال والجنوب.

لقد كان لهاتين الحملتين تأثير كبير في شحذ الهمهم والمنافسة والمفاضلة بين القائدين[٤٤٩]، أي بين خالد وعياض اذ منح الخليفة قيادة الجيشين لمن يدخل الحيرة اولاً.

وبقدر مامنحت هذه الخطة قوة للجيش الاسلامي فقد اضعفت في الوقت نفسه قوات الفرس من خلال مسير خالد من الابلة وصولاً الى الحيرة لانه قضى على العديد من

---

(446) فيصل ، حركة الفتح الاسلامي ، ص٦٨.
(447) المصدر نفسه ، ص٦٩.
(448) غلوب ، جون ، امبراطورية العرب ، تعريب وتعليق: خيري حماد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٦، ص٤٣.
(449) كمال ، الطريق الى المدائن ، ص٢٠٨.

مسالحهم وانهك قواهم وشتت فلوهم واربك البنى التحتية لهم كونهم يمثلون عدداً اكبر وعدة اقوى.

كما قامت القبائل العربية بدور مشرف في عمليات التحرير ولاسيما بنو شيبان والتي كان لها شأن كبير في العراق وكان زعيم هذه القبيلة المثنى بن حارثة ، وعلى الرغم من عدم توليته شأن فتح العراق[٤٥٠] ، الا انه وقف الى جانب المسلمين ضد الفرس واثبتت هذه القبيلة جدارتها في مقارعة الفرس.

ويبدو ان الخليفة كانت له اسبابه في عدم تولية المثنى وبخاصة ان المثنى كان حديث الاسلام فخاف الخليفة من ان يكون دافع القتال لمصلحة القبيلة لان النزعة القبلية وسيطرة القبيلة قائمة بعد وبذلك تبتعد روح الجهاد لدى المقاتلين ويكون القتال لمصلحة القبيلة دون الاسلام.

وبوجود قبائل دعمت الفتح الاسلامي كانت هناك قبائل تعد مصدر قلق لحركة الجيوش العربية الاسلامية وهذه القبائل هي التي تغير وتنسحب وتتفق مع من يوافق مصالحها[٤٥١] ، لذلك تعامل خالد بن الوليد مع هذه القبائل بحكمة بالغة فقد ابقاهم على قراهم وماهم عليه واخذ منهم الجزية وضمن منهم الولاء وعدم مساعدة الاعداء فوافقوا على ذلك. وبذلك يكون خالد قد امّنَ جانباً لايقل خطورة عن العدو نفسه لانه يعني احكام الجهتين على المسلمين في حال دخولهم ارض العراق حيث تكون القبائل من الخارج والعدو من الداخل.

بعد ان استقر خالد في الحيرة كان ينوي فتح المدائن واتمام المهمة التي جاء من اجلها وتخليص العراق من الفرس الا ان البلاد العربية المفتوحة تواً كانت هشة بسبب عدم اتخاذ معسكرات ثابتة للجيش فتعرضت جبهة الشام لحشد كبير من قبل قوات هرقل والتي ضغطت بشكل كبير على القوات العربية[٤٥٢]. واستطاعت ان تستعيد بلاد الشام ولم تكتفِ بذلك بل سعت الى نشر الفساد هنالك[٤٥٣] ، الامر الذي دعا الخليفة الى استدعاء خالد من العراق وتوجيهه الى الشام لمناصرة الجيش الاسلامي هناك.

---

(450) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص١٦٤.

(451) الشمخي ، منطقة الكوفة ، ص٣٨.

(452) الواقدي ، محمد بن عمر ، فتوح الشام ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٥٢هـ ، ج١، ص١٦؛ الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٩٣.

(453) ابن اعثم ، الفتوح ، ج١، ص٧٩.

ترك خالد قيادة الجيش في العراق للمثنى بن حارثة الشيباني[٤٥٤] ، والذي سيواجه الموقف الحاسم الذي ينتظره من قبل الفرس الذين ادركوا خطورة وحراجة موقف المسلمين لذلك اعّدوا العدة لاستعادة الحيرة ليتمكنوا من المحافظة على عاصمة ملكهم المدائن.

تسلم المثنى قيادة الجيش وما ان اصبح بموقعه حتى تصرف تصرفاً ينم عن خبرة عسكرية ثاقبة خصوصاً وانه شعر بحراجة موقفه بعد ان سحب خالد نصف الجيش العربي ومعه خيرة القادة العسكريين وجلهم من الصحابة عندها قال لخالد "وبالله ما ارجو النصر الا بهم ، فأنّى تعريني منهم"[٤٥٥] ، يبدو ان خالداً قد شعر بحال المثنى وبخاصة انه قد اطلع على وضع الفرس مع العرب لذلك ابقى بعض القادة مع المثنى.

اما الفرس فأن خبر خروج خالد من العراق قد زُفّ اليهم واستبشروا بهذا الخبر واستقام امرهم بعد ان ملّك شهر براز (شهريار) نفسه ملكاً على فارس وكان هذا قائداً عسكرياً لامعاً[٤٥٦]. بدء هذا الملك مشاوره العسكري مع العرب المسلمين بأرسال جيش عظيم بقيادة هرمز بن جاذويه حيث كتب له كتاباً ، ظن هرمز ان المثنى سوف يستسلم له لانه لا يمتلك العدة والعدد التي لديهم حيث وصف له قوة وصرامة جيشه وانهم "رعاة الدجاج والخنازير"[٤٥٧] لكن هذا لم يثن المثنى حيث اجابه "انما انت احد رجلين: اما باغٍ فذلك شرٌ لك وخيرٌ لنا ، واما كذاب فأعظم الكذابيين عقوبة وفضيحة عند الله في الناس الملوك فالحمد لله الذي ردّ كيدكم الى رعاة الدجاج والخنازير"[٤٥٨] ، وبهذا الرد دَبّ اليأس والتشاؤم في نفوس الفرس فأستعدوا للمعركة بينما خرج المثنى من الحيرة نحو مدينة بابل القديمة معسكراً هناك[٤٥٩].

ويبدو ان المثنى بخروجه الى بابل كان يبحث عن البدائل لتعويض كفة الجيشين من خلال الاستفادة من الطبيعة الجغرافية لتلك الارض. ومن هنا برزت الحنكة السياسية التي يتمتع بها المثنى فقاتل الفرس على الرغم من استخدامهم الفيل لارعاب العرب المسلمين

([454]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٨٥؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ج١، ص١٠٧.
([455]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٤١١.
([456]) باقر واخرون ، تاريخ ايران القديم ، ص١٦١.
([457]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٤١٢.
([458]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٤١٢.
([459]) ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٦٢.

حيث تمكنوا من التخلص من الفيل وقتل الفرس وهزيمتهم ومن ثم ملاحقتهم وهم يفرون الى المدائن[٤٦٠].

وفي هذا قال الفرزدق:

وبَيْت المثنى قاتِلِ الفيل عَنْوة ببابل اذ في فارسٍ مُلكُ بابلِ[٤٦١]

وبالحكمة الذي اتسم بها المثنى استطاع الانتصار على جيش الفرس المؤلف من عشرة الاف رجل اما الفرس فقد انصرفوا عن بذل جهود جديدة لاسترداد ما فتحه المسلمون[٤٦٢].

استطاع المثنى الوصول الى المدائن وهو يلاحق الفلول المنهزمة الا انه لم يدخلها حيث ادرك انه لايستطيع بهذا الجيش القليل العدد ان يدخل مقر حكمهم وعاصمة ملكهم أي انه سوف يرمي بنفسه وجيشه الى التهلكة ، على الرغم من سيطرته على المنطقة الى ما دون دجلة[٤٦٣] ، الا انه قفل راجعاً الى الحيرة ومنها الى المدينة لمشاورة الخليفة ، حول الوضع داخل العراق ولاسيما الوضع داخل البيت الساساني المضطرب بعد هزيمة بابل وموت شهربراز ولغياب الذكور من البيت الحاكم اعتلت آزرميدخت الحكم لكن الصراعات الداخلية ظلت مستمرة[٤٦٤] ، فطلب منه المدد والاستعانة بمن حسنت توبته من المرتدين[٤٦٥] ، ويبدو ان المثنى لم يقابل الخليفة الاول حيث كان في شدة مرضه الذي مات فيه الا انه اوصى بأمر العراق الى عمر بن الخطاب الذي ندب الناس بالمسير الى العراق حتى قبل مبايعته بالخلافة[٤٦٦].

توفي الخليفة ابو بكر سنة ١٣هـ/٦٣٤م واصبح عمر بن الخطاب خليفة للمسلمين (١٣-٢٣هـ)/(٦٣٤-٦٤٣م) واول عمل قام به الخليفة الثاني هو ندب الناس للعراق الا ان العرب المسلمين كانوا لايرغبون في الخروج الى العراق الامر الذي اضطر الخليفة للخروج بنفسه غازياً لولا منع بعض الصحابة له[٤٦٧].

---

(460) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٤١٢.
(461) المصدر نفسه ، ج٣، ص٤١٢
(462) سيديّو ، ل.أ ، تاريخ العرب العام ، نقله الى العربية: عادل زعيتر ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٤٨، ص١٥٨.
(463) ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٦٣.
(464) الاصفهاني ، تاريخ ملوك الارض ، ص٩٩؛ باقر واخرون ، تاريخ ايران القديم ، ص١٦٢.
(465) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٤١٣.
(466) المصدر نفسه ، ج٣، ص٤٤٤.
(467) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٤٩.

إن سبب تثاقل العرب عن الخروج الى العراق هو وجه فارس لانه كان اثقل الوجوه على العرب المسلمين لشدة سلطانهم وفتكهم وقهرهم للامم[٤٦٨] ، لذا اضطر الخليفة الى اغرائهم بغنائم كسرى حتى عدلوا عن الشام واتجهوا الى العراق[٤٦٩] ، ووصف الخليفة لهم ارض العراق بأنها كثيرة الزرع والضرع وما الى ذلك من الوصف[٤٧٠] ، كما ان جريراً بن عبدالله لم يوافق على المسير الى العراق حتى منحه الخليفة ربع الغنائم[٤٧١].

لم يكن دافع الجهاد نحو العراق دافعاً اقتصادياً خالصاً كما عده كاهن البعض ولكن يمكن ان نعده عاملاً مشجعاً لرفع همم المقاتلين.[٤٧٢].

وبين راغب في الغنائم ومجاهد في سبيل الاسلام بدأء العرب يفدون على الخليفة[٤٧٣] ، فكان اول منتدب هو ابا عبيد بن مسعود الثقفي فأمّره الخليفة وارسله الى العراق[٤٧٤]. واوصاه بوصية نصها "اسمع من اصحاب الرسول (ص) ، واشركهم في الامر ، ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين ، فأنها الحرب لايصلح لها الا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف"[٤٧٥].

استغل الفرس خروج المثنى الى المدينة لمشاورة الخليفة فأمر رستم جميع عماله بأن يثورا ضد المسلمين[٤٧٦] ، وما ان رأى المثنى هذه الاوضاع بعد عودته وما حكمت عليه عوامل اخرى ولاسيما الجغرافية منها وهي ان الفرس حاولوا استعادة معظم المناطق المحيطة بالحيرة الامر الذي دعا المثنى للانسحاب منها فأستولى عليها الفرس[٤٧٧].

([468]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٤٤٤.
([469]) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٤٩.
([470]) ابن اعثم ، الفتوح ، ج١، ص١٣٠.
([471]) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٤٩.
([472]) كلود ، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ، ترجمة: بدرالدين القاسم ، دار الحقيق، بيروت ، ١٩٧٢، ص٢٥.
([473]) العبيدي ، عبدالجبار منسي ، الفتوح العربية الاسلامي ودوافعها ،مجلة المؤرخ العربي ، لا.م ، بغداد ، ١٩٨٠، العدد الرابع عشر ،ص٢٩٠.
([474]) بن خياط ، خليفة ، تاريخ خليفة بن خياط ، تح: اكرم ضياء العمري ، مطبعة الاداب ، النجف ، ١٩٦٧، ج١، ص٩٢.
([475]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٤٤٥؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٨٣.
([476]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٤٤٩؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٨٤.
([477]) حسونة ، اثر العوامل الجغرافية ، ص٢٣.

نزل المثنى خُفّان[٤٧٨] ناطراً امدادات الخليفة فوافاه ابو عبيد بعد عدة ايام مع من جاء بهم من جند المسلمين من المدينة فعسكروا هناك بينما عسكر الفرس في النمارق[٤٧٩] فأقتتلوا قتالاً شديداً هزمهم فيه العرب فقتل منهم من قتل وانهزم الباقون[٤٨٠]. ثم تجمعت الفلول المنهزمة من الفرس قرب كسكر فقاتلهم العرب المسلمون فأظفرهم الله بهم ومنحهم اكتافهم فكانت هذه المناطق بمثابة مسالح للفرس[٤٨١] ، ويبدو ان ابا عبيد انتهج سياسة خالد بن الوليد من خلال تطهير المنطقة من المسالح الفارسية على الطرفين لكي يصل الى الحيرة وهو المكان المهم ومحط الصراع لدا الطرفين فتم له ما اراد.

بعد ان هزم ابو عبيدة كلاً من نرسي والجالينوس في الحيرة[٤٨٢] ، شعر الفرس بخطورة موقفهم فأستعدوا للمسلمين هذه المرة فعقدوا قيادة جيشهم الى بهمن جاذويه المعروف بذي الحاجب لكبر سنه اضافة الى الجالينوس كما استعملوا الفيلة المجلجلة بشكل لافت للنظر وحملوا راية كسرى "درفش كابيان" تيمناً بها وهدد رستم الجالينوس بضرب عنقه اذا انهزم هذه المرة[٤٨٣].

ويبدو ان رستم اراد بهذا الاستعداد والوعيد اثارة روح الحماس والتفاني في قتال المسلمين من قبل قواته ، اما من جهة العرب المسلمين فأراد ان يريهم قتالاً شديداً يجعلهم لايفكرون فيما بعد بأتمام مهمة فتوحاتهم.

عسكر الفرس عبر الفرات قرب قس الناطف داعين العرب للعبور اليهم وافق ابو عبيد فأصلح الجسر وعبر وكان الفرس كما سبق ذكره على استعداد لملاقاة العرب[٤٨٤]. الا ان المسلمين حاولوا منع واقناع ابي عبيد الا انه رفض واستبد برأيه متجاهلاً وصية الخليفة له فعبر اليهم ، واجه المسلمون صعوبات بالغة في معركة قس الناطف بسبب ضيق مكان القتال للجيش الاسلامي حيث حُصروا في مضيق واحكمت قبضة الفرس عليهم[٤٨٥] ، ثم ان العامل الجغرافي هذه المرة لعب دوراً خطيراً تجاه العرب فقد كان لعبور المسلمين نهر الفرات اثر سلبي على مجريات الحرب عليهم كونهم لايمتلكون اسطولاً بحرياً ولا

([478]) خفان: موضع قرب الكوفة فوق القادسية. الحموي ، معجم البلدان ، ج٣، ص٢٤٠.
([479]) النمارق: موضع قرب الكوفة. الحموي ، معجم البلدان ، ج٨، ص٤٠٢.
([480]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٤٤٩.
([481]) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢، ص٩٧.
([482]) ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٨٥.
([483]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٤٥٤؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٨٦.
([484]) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص١٦٦؛ الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٤٥٥.
([485]) بن خياط ، تاريخ ، ج١، ص٩٣.

امدادات تؤهلهم من ان يخوضوا معركة بينها وبين معسكرهم النهر وبخاصة انهم اعتادوا القتال على هامش الصحراء استعداداً لاي طاريء يدعو الى التقهقر لان العرب لهم علم بمسالك الصحراء وامواهها[٤٨٦]. كما استغل الفرس هذا العامل – أي عبور المسلمين النهر – لصالحهم فقد غدروا بالمسلمين ولم يمهلوهم لاتمام وصول الجيش كله فباشروا بالهجوم على قطعات المسلمين العابرة[٤٨٧]. هذا بالاضافة الى ماذكرناه من استعداد الفرس وتجهيزهم بالفيلة التي ارعبت المسلمين وجعلت خيولهم تنفر منها الامر الذي دعا ابا عبيد بالشروع للتخلص من الفيلة[٤٨٨] ، فضربه بالسيف الا ان الفيل خبط ابا عبيد وارداه قتيلاً[٤٨٩] ، ولاريب في ان ما يحصل في ساحة الحرب للقائد ينعكس على جيشه لذلك نرى الصحابة وخوفاً على الاسلام وجيش المسلمين منعوا الخليفة عمر عندما اراد الشخوض بنفسه الى العراق[٤٩٠] ، كونه القائد الروحي والعسكري للمسلمين ، ومهما يكن من امر فأن مقتل ابي عبيد ومن تتابع بعده على حمل الراية ادى الى ضعف المسلمين فدب الوهن في صفوفهم فأستغل الفرس هذا الموقف فأمطروا المسلمين بوابل من النبال والمسلمون يقاتلونهم بشدة من اجل عقيدتهم وغايتهم الكبرى النصر اوالشهادة[٤٩١]. كما ان المسلمين قد ارتكبوا خطأ بحق انفسهم عندما قدم عبدالله بن مرثد[٤٩٢] على قطع الجسر تحمساً منه لمقتل ابي عبيد حين قال "يا أيها الناس موتوا على ما مات عليه امراؤكم"[٤٩٣] ، فلحقت بالمسلمين من جراء ذلك خسائر كبيرة حيث بلغ عدد شهداءهم الفاً وثماني مئه وقيل اربعة الاف بين شهيد وغريق[٤٩٤].

(486) حسونة ، اثر العوامل الجغرافية ، ص٢٣.
(487) عماش ، من ذي قار الى القادسية ، ص١١١.
(488) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢، ص٩٧.
(489) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٤٥٥؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٨٧.
(490) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٤٩.
(491) الخضري ، محمد ، اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ، ط٩، مطبعة الاستقامة ، مصر ، ١٩٦٤، ص٦٩.
(492) عبدالله بن مرثد: بن بكر بن وائل من بين ابناء عشيرته الذين وفدوا على النبي (ص). ابن سعد ، محمد بن منيع ، الطبقات الكبرى ، تح: محمد عبدالقادر عطا ، ط٢، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧، ج١، ص٢٣٩.
(493) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٤٥٧.
(494) بن خياط ، تاريخ ، ج١، ص٩٣؛ الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٤٥٨.

استطاع المثنى بن حارثه بعد ان تسلم الراية انقاذ المسلمين فأصلح الجسر وقام بحماية المسلمين حتى ينهوا عبورهم على الرغم من اصابته بجروح في هذه الوقعة التي حدثت سنة ١٣هـ/٦٣٤م ومن اسمائها "الجسر" و "المروحة"[٤٩٥].

انسحب المثنى ببقية الجيش الى "أُلَّيس"[٤٩٦] ، ويبدو ان هذا الانسحاب كان ضمن خطة لحماية الجيش الاسلامي المتقهقر والفرس يتابعونهم من بعده الا ان جروح المثنى لم تثن عزيمته فأستمر دوره البطولي الرائع ، واستطاع ان يأسر كل من جابان ومردنشاه وهؤلاء هم امراء الفرس. وبقي هناك ينتظر امدادات الخليفة[٤٩٧] ، الذي ارسل اليه جرير بن عبدالله البجلي فنزل في دير هند[٤٩٨] ، لكن المثنى سرعان ما استدعاه الى العذيب[٤٩٩] ، ويبدو ان المثنى عسكر هناك لوصول اخبار اليه مفادها ان قائدا الفرس رستم والفيرزان وجها جيشا بأمرة مهران الى الحيرة[٥٠٠] ، وهكذا كانت الحيرة بين مد المسلمين وجزر الفرس فهي محط الصراع ونقطة المركز بالنسبة لهذه المعارك نتيجة لموقعها لذلك حاول الفرس الاسراع في السيطرة عليها خوفاً من المسلمين ، لذلك نرى ان مهران يسبق المسلمون للسيطرة على الحيرة[٥٠١].

استعد المثنى للفرس ودعا جريراً الى ان يوافيه في البويب[٥٠٢] ، ويبدو ان المثنى اراد هذه المرة سحب الفرس اليهم وقتالهم دون عبور المسلمين ويتضح هذا من خلال رفض المثنى لطلب مهران العبور فعبر الفرس اليهم وكان المثنى يحرض المسلمين لقتالهم واوعدهم بعد التكبيرة الرابعة ان يميلوا على الفرس فأعجلتهم الفرس[٥٠٣] ، الا ان المثنى برباطة جأشه استطاع ان يبث روح الطمأنينة والشجاعة في صفوف جيشه حتى انهم سرعان ما مالوا على الفرس كالاسود فردوهم على اعقابهم ، وقتل جرير مهران واحتز رأسه وابلى المسلمون بلاءً حسناً[٥٠٤] ، ويذكر الطبري ان مهران حين لقيَ جريراً قال:

([495]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٤٥٨؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٨٨.
([496]) ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٨٩.
([497]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٤٦٠؛ ابن العبري ، غريغوريوس الملطي ، تاريخ مختصر الدول ، ط٢، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٨٩٠، ص١٠٠.
([498]) ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٨٨؛ ابن العبري ، تاريخ ، ص١٠٠.
([499]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٤٦٠.
([500]) ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٨٩؛ الخضري ، اتمام الوفاء ، ص٧٠.
([501]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٤٦٥.
([502]) البويب: نهر بالعراق يأخذ ماءه من الفرات. الحموي ، معجم البلدان ، ج٢، ص٤٠٣.
([503]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٤٦٦؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٩٠.
([504]) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٥٠.

ان تسألوا عني فأني مهران   أنا لمِنَ انكرني ابـن باذان[٥٠٥]

وقد قدر عدد قتلى الفرس بمئة الف فكانت هذه الوقعة شديدة على الفرس حيث بقيت جثث قتلاهم فترة طويلة على الارض[٥٠٦].

لم يكتفِ المثنى بما حقق من نصر في البويب على الرغم من كونه منع المسلمين من تتبع الفرس وعبور الجسر الا انه ارسل السرايا لتعقب هؤلاء حتى وصلت الى ساباط قرب المدائن وقضت على جميع المسالح الفارسية من الحيرة الى كسكر[٥٠٧].

كانت بلاد فارس بالفترة الممتدة بين الجسر والبويب تعصف بها خلافات داخلية ذهبت بثمرة نصرهم في الجسر[٥٠٨] ، على عكس المسلمين الذين وحدتهم كلمة الله والاسلام وشد عضدهم الجهاد. وعلى الرغم من قلة العدد والعدة لديهم الا ان للحنكة السياسية دور في تحقيق النصر في البويب.

كان المثنى يحاول ان يجد بدائل تعوض عن عدد الجيش الاسلامي تجاه الفرس فوجد في اختيار ميدان المعركة ضالته لان اختيار الميدان الصحيح يعادل ربع القوة العسكرية[٥٠٩] ، كما انه اراد بالخروج الى هذا المكان كسب القبائل العربية ولاسيما النصرانية منها مثل بني تغلب وبني النمر فقاتلت هذه القبائل مع العرب[٥١٠].

ويبدو ان المثنى اراد بخروجه الى البويب وقتال الفرس هناك الابتعاد عن الحيرة لغرض حمايتها حتى لايخوض بالقرب منها معارك ربما تنهي الوجود الاسلامي هناك وبخاصةٍ ان جراحاتهم لما تندمل من الجسر بعدُ ، فجاء نصر البويب بمثابة استصلاح للاثر النفسي للمسلمين لا بل تعداه الى جعل المسلمين قادرين على السواد فكانوا من قبل يحاربون ولا يجتازون الفرات ، ثم حاربوا بين الفرات ودجلة وبعد البويب تمكنوا من كل هذه المناطق التي تمتد بين الفرات ودجلة وكانوا قابوا قوسين او ادنى من المدائن العاصمة[٥١١].

---

(505) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٤٢٧.
(506) ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٩١.
(507) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٥٠.
(508) كريستنسن ، ايران في عهد الساسانيين ، ص٤٧٩؛ بروكلمان ، العرب والامبراطورية العربية ، ص١١٤.
(509) عماش ، من ذي قار الى القادسية ، ص١٢٨.
(510) فيصل ، حركة الفتح الاسلامي ، ص٧٧.
(511) فيصل ، حركة الفتح الاسلامي ، ص٧٧.

وبذلك يكون المثنى قد حقق غرضه في تأمين الطريق من مسالح الفرس من الحيرة الى شواطيء دجلة أي ان سواد الفرات اصبح للمسلمين ولم تبق للفرس سلطة على غربي الفرات(٥١٢) ، وبهذه السيطرة على الحيرة وسواها استطاع المثنى ان يتحرك ويوجه الضربات لعدوه الذي لايعلم من اين ستوجه اليه الضربة(٥١٣) ، كما سعى من وراء ذلك الى تشتيت قوة القبائل العربية المتعاونة مع الفرس من جهة وكأجراء تأديبي لعدم تكرار نقض العهود المبرمة مع المسلمين من قبل هؤلاء من جهه اخرى(٥١٤).

ويبدو ان الجانب المادي وحاجة المقاتلين الى المؤنة دفعتهم ايضاً الى ان يكثروا من غاراتهم على اسواق ومقرات هؤلاء الاقوام ، فقصد المثنى سوق الخنافس بالقرب من الانبار وسوق بغداد وكان الذي دلهم على هذه الاسواق هو شخص من اهل الحيرة(٥١٥) ، ويبدو ان اهل الحيرة ارادوا ان يثبتوا للمثنى انهم على عهدهم السابق مع المسلمين على ان يعينوهم ويقفوا جنباً الى جنب ضد الفرس فغنم المسلمون ما غنموا من هذه الاسواق من الذهب والفضة والامتعة(٥١٦).

الفصل الثالث

(512) الخضري ، اتمام الوفاء ، ص٧١.
(513) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص١٧٠؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٩٢.
(514) الشمخي ، منطقة الكوفة ، ص٦٩.
(515) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٤٧٣.
(516) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص١٧٠؛ الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٤٧٣.

صلح الحيرة وفتحها الثاني

- **صلح الحيرة.**
- **معاملة المسلمين لأرض منطقة الحيرة بعد الفتح.**
- **دور العبادة لاهل الذمة ومعاملة المسلمين لهم على وفق الصلح.**
- **الفتح الثاني للحيرة.**
- **تمصير الكوفة.**

صلح الحيرة

بعد انتصار العرب المسلمين في القادسية دانت لهم بلاد العراق وبدأت مرحلة الاستقرار ، ولكن قبل إن نتكلم على هذه المرحلة وتمصير الأمصار لابد من الوقوف على جانب في غاية الأهمية حدث منذ الفتح الأول للحيرة على يد خالد بن الوليد سنة ١٢هـ/٦٣٣م واستمر حتى تحرير العراق بصورة كاملة ألا وهو الصلح[٥١٧] الذي جرى بين المسلمين وأهل الذمة من أهل الحيرة ، وكيف تعامل المسلمون معهم ومع أراضيهم وكنائسهم وتأثير هذا التعامل على هؤلاء فيما بعد.

---

(517) الصلح: هو اسم مشتق من المصالحة وشرعاً (عقد يرفع النزاع) ويقطع الخصومة. الحصكفي ، محمد علاء الدين ، شرح الدر المختار ، مطبعة الواعظ ، مصر ، د.ت ، ج٢، ص٤٣٦.

سكن العراق قبل الفتح الإسلامي ثلاث عناصر هم القبائل العربية والفرس وسكان البلاد الأصليين[٥١٨] ، ولما ظهر الإسلام بدأت حركة الفتوحات تجتاح كل مكان فأصبح العرب في العراق إمام القبائل العربية النصرانية والفرس[٥١٩] ، الذين شملت مناطق سكناهم الحدود التي نحن ألان بصددها فكان جزء من السواد ضمن حدود الحيرة[٥٢٠] ، لان الحيرة كانت تمتد من كسكر إلى الزاب ومن حلوان إلى القادسية وهو ما يعرف بسواد الكوفة[٥٢١] ، حتى أنها أيام جذيمة الابرش امتدت سلطة الحيرة إلى الانبار وبقة[٥٢٢] و هيت[٥٢٣] وعين تمر وأطراف البر إلى الغمير[٥٢٤] إلى القطقطانة[٥٢٥] وما وراء ذلك[٥٢٦].

وقد بقيت هذه الحدود على ماهي عليه في عهد من خلفه من بعده إن لم نقل توسعت أكثر، حتى فتح الله ارض العراق للمسلمين الذين عاملوا أهل الذمة معاملة تستند الى مباديء دينهم الجديد وبخاصة ان الرسول الكريم (ص) كان يوصي بهم خيراً ويقول "يعذب الله يوم القيامة الذين يعذبون الناس في الدنيا"[٥٢٧].

لقد وجد المسلمون أنفسهم محكومين بالقرآن والسنة في معاملة أهل الذمة لان القرآن أوجد لهم السبل في معاملة هؤلاء فضلاً عن سيرة الرسول الكريم (ص) مع هؤلاء وعدم اكراههم بالدخول في الدين الاسلامي تحقيقاً لقوله تعالى "لااكراه في الدين"[٥٢٨] ، بعد ان يعرضوا عليهم الاسلام وان ابوا الدخول في الاسلام عليهم ان يدفعوا الجزية[٥٢٩] ، والا فأن للمسلمين ان يعلنوا الحرب عليهم[٥٣٠].

---

(518) الخربوطلي ، علي حسين ، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٩، ص٢٣١.
(519) بابو اسحق ، تاريخ نصارى العراق ، ص٥٥.
(520) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢، ص٩٨.
(521) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٥٦٦.
(522) بقة: موضع قريب من الحيرة الحموي ، معجم البلدان ، ج٢، ص٣٧٢.
(523) هيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الانبار. الحموي ، معجم البلدان ، ج٩، ص٤٩٠.
(524) الغمير: موضع من ديار بني كلاب بقرب الغري. الحموي ، معجم البلدان ، ج٦، ص٣٩٧.
(525) القطقطانة: موضع قرب الكوفة من جهة البرية وقيل انها بالطف. الحموي ، معجم البلدان ، ج٧، ص٧٠.
(526) الحموي ، معجم البلدان ، ج٣، ص٢٠٣.
(527) ابن سلام ، أبي عبيد القاسم ، الأموال ، تح: محمد خليل هراس ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٨، ص٥٣.
(528) سورة البقرة ، آية ٢٥٥.
(529) الجزية: وهي من الجزاء لانها تجزي عن القتل وهي ضريبة عن الرأس تسقط بالاسلام. الماوردي ، ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت ، ص١٨١.
(530) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٨١.

وقد حدث هذا لخالد بن الوليد عندما دخل إلى بانيقيا وباروسما وألّيس اذ تصالح مع هؤلاء قبيل دخوله الحيرة وكان الذي عقد الصلح معه ابن صلوبا وكتب خالد له كتاباً بالصلح هذا نصه: "من خالد بن الوليد لابن صلوبا ألسوادي – ومنزله بشاطيء الفرات – انك آمن بأمان الله – إذ حقن دمه بإعطاء الجزية – وقد أعطيت عن نفسك وعن أهل خرجك وجزيرتك ومن كان في قريتك – بانيقيا باروسما – ألف درهم فقبلتها منك"[٥٣١].

ثم مضى حتى فتح الحيرة صلحاً أيضا وكان الذي صالحه عليها هو عبد المسيح بن بقيلة وكان كبير السن فدار بين خالد وبينه حديث ظريف عندما سأله خالد: من أين أقصى أثرك يا شيخ ، قال: من ظهر أبي ، قال: فمن أين خرجت ، قال: من بطن أمي ، قال: ويحك في أي شيء أنت ، قال: في ثيابي ، قال: ويحك على شيء أنت ، قال: على الأرض ، قال: أتعقل ، قال: نعم وأقيد ، قال: إنما أكلمك بكلام النـاس ، قال وأنا إنما أجيبك جواب الناس ، قال: اسلم أنت أم حرب؟ قال: بل سلم ، قال: فما هذه الحصون ، قال: بنيناها للسفينة حتى يجيء الحليم ثم تذكرا الصلح[٥٣٢]. وكان المستثنى من هذا الصلح هي ابنة بقيلة التي دفعت إلى خريم بن اوس بن حارثة بدعوى إن النبي الأكرم (ص) دفعها إليه ووعده إياها عند فتحهم للحيرة ، وشهد له بذلك بشير بن سعد ومحمد بن مسلمة الأنصاريان[٥٣٣].

لقد تميزت الكتب التي كُتبت بها العقود آنذاك بالبساطة الشديدة والاختصار البالغ حيث تحدد حق الدولة وحق البلد المفتوحة في غاية الإيجاز[٥٣٤]. فقد اخذ المسلمون من أهل الحيرة الجزية والتي كان مبلغها مئة ألف درهم وطيلسان شيرويه بن كسرى والتي بلغت قيمته ثلاثين ألف درهم[٥٣٥] ، وقد انفرد البلاذري بذكر الرواية التي تقول: إن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب دفعه الى الحسين بن علي (ع) [٥٣٦].

([531]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٤٤.
([532]) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٤٠؛ ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن محمد بن علي ، اخبار الظّراف والمتماجنين ، تقديم وتعليق: محمد بحر العلوم ، ط٢، مطبعة الغري ، النجف ، ١٩٦٧، ص٥٤.
([533]) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٤١؛ الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٤٦.
([534]) حبيب ، كمال السعيد ، الأقليات السياسية في الخبرة الإسلامية ، مطبعة عربية ، القاهرة ، ٢٠٠٢، ص١٣٠.
([535]) قدامة ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص٣٥٥؛ ابن اعثم ، ج١، الفتوح ، ص٧٨.
([536]) فتوح البلدان ، ص٢٤٢.

وبلغ عدد أهل الحيرة في ذلك الوقت حوالي ستة آلاف رجل فألزم كل رجل منهم بدفع أربعة عشر درهماً وبذلك يكون المبلغ الكلي أربعة وثمانين ألف درهماً[٥٣٧]. لقد اختلفت وتعددت الروايات حول المبلغ الحقيقي الذي اخذ من أهل الحيرة ولسنا بصدد معرفة الرقم النهائي بقدر مايعنينا هو عدد وكثرة أهل الذمة في الحيرة عند الفتح.

ثم صالح خالد أهل عين التمر ودفعوا اليه الجزية مثلما فعل أهل الحيرة[٥٣٨]. إذن ان أول شروط الصلح مع خالد هو ان يدفع أهل المناطق المفتوحة الجزية تطبيقاً لقوله تعالى "قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الأخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون"[٥٣٩] وتشمل الآية أهل الكتاب من اليهود والنصارى وغيرهم ولا تأخذ من مرتد ولا دهري ولا عابد وثن[٥٤٠] ، لان هؤلاء لا صلح معهم وليس من سبيل الى التفاهم معهم إلا الإسلام أو السيف.

وهنا تجدر الاشارة ، الى ان الاسلام اعفى النساء والصبيان والعجزة والشيوخ من الجزية[٥٤١] ، لأنهم لا يمثلون قوة تقف بوجه الدولة الإسلامية وتعرقل نشر الإسلام. فكانت جزية الحيرة أول مال يصل إلى المدينة المنورة من العراق[٥٤٢].

عامل المسلمون أهل الذمة عامة والحيرة خاصة بروح التسامح وان كان الامر معلقاً على افتداء الحرية الدينية بالجزية إلا انه يمثل ظاهرة جديدة في عصور اتسمت بالاضطهاد الديني وبذلك غزت الدولة الإسلامية بهذا التسامح قلوب الشعوب المفتوحة وان كانت هي الأقوى.

لقد قدمت الدولة الإسلامية إلى الشعوب المفتوحة التسامح والحرية وهذا ما لا تعرفه هذه الشعوب من قبل ولاسيما أهل الحيرة وما حولها من الذين كانوا على النصرانية فقد عانوا ما عانوا أبان فترة حكم الفرس لهم ، والثانية الضرائب المعتدلة التي فرضت ضمن أصول وحدود معينة[٥٤٣].

---

(537) المصدر نفسه ، ص٢٤١.
(538) أبو يوسف ، الخراج ، ص١٤٥.
(539) سورة التوبة ، آية ٢٩.
(540) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٣٨.
(541) أبو يوسف ، الخراج ، ص٢٧٨.
(542) أبو يوسف ، الخراج ، ص٢٨؛ الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٤٥.
(543) عنان ، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ، ص٢٢.

لقد نظر المسلمون الى اهل الحيرة على انهم أسياد وأصحاب جاه ونفوذ لذا ابقى الخلفاء الراشدون حكم الحيرة بيد قيادتهم السابقة "إياس بن قبيصة وعبد المسيح بن بقيلة" وعُدّ هذا الامر شكلاً من اشكال اللامركزية في الحكم(٥٤٤) ، كما أن جباية الجزية كانت تجمع من خلال أهل الحيرة انفسهم من دون ان يتدخل نفر من الدولة الإسلامية(٥٤٥) ، لذا عُدَّ ذلك تكريماً لهم.

لقد أمضى خالد شروط الصلح مع أهل أليس والحيرة منها - مع أليس- "إن يكونوا عيوناً وإدلاء وأعواناً للمسلمين"(٥٤٦). إما شروط أهل الحيرة فتتمثل في ان يكونوا عيوناً للمسلمين(٥٤٧) ، فضلاً عن دفع الجزية وان لايحالفوا او يعينوا كافراً على مسلم من العرب والعجم ولا يدلوهم على عورات المسلمين ، عليهم بذلك عهد الله وميثاقه فان هم خالفوه فلا ذمة لهم ولا أمان (٥٤٨) ، وكان هناك شرط أخر هو إن "لا يلبسوا زي الحرب كزي المسلمين ولهم ما دون ذلك ما شاءوا(٥٤٩). لقد كان لهذا الشرط في هذا ذلك الوقت ما يسوّغه لان لباس المسلمين آنذاك هو زي الحـرب "لا يتشبهوا بالمسلمين في لباسهم" ، أي لتمييز أهل الصلح والموادعة من أهل الحرب والقتال ، في وقت لم تكن هناك أداة أخرى للتمييز فضلاً عن كون البلاد لم تكن قد خلصت للمسلمين(٥٥٠).

وتطبيقاً لما عاهد به أهل الحيرة خالداً فإنهم كانوا له أعوانا عندما أراد فتح عين التمر وكانوا له أدلاء عندما سار يريد الشام لإمداد أبي عبيدة الجراح هناك(٥٥١) ، لذا استفاد المسلمون من وضع هذه الشروط لان أهل البلاد اعرف بمسالكها. وكان من إحسان المسلمين –ايضاً- انّ من ضعف منهم عن العمل أو الشيخ أو ممن إصابته آفة من الآفات أو كان غنيناً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين(٥٥٢).

---

(544) حبيب ، الأقليات السياسية ، ص١٣٠.
(545) بابو إسحاق ، تاريخ نصارى العراق ، ص٦٢.
(546) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٤٠.
(547) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٣٤٦.
(548) أبو يوسف ، الخراج ، ص١٤٤.
(549) للمزيد من التفاصيل ينظر: بن سلام ، الأموال ، ص٦٥- ٦٧.
(550) حبيب ، الأقليات السياسية ، ص١٣٠.
(551) أبو يوسف ، الخراج ، ص١٤٥.
(552) المصدر نفسه ، ص١٤٤.

يبدو إنّ هذه التشريعات كانت تراعي ظروف المسلمين هناك حيث كانوا أقلية في بادئ الأمر بالنسبة لأهل الأرض المفتوحة(٥٥٣) ، ومراعاةً لقول الرسول (ص) "احفظوني في ذمتي"(٥٥٤).

وعلى الرغم من ان المسلمين كانوا محتاجين الى المال لسد نفقات الجيوش إلا أنهم اثروا ان لايفارقوا مبادئهم وأخلاقهم على الرغم من إن جزية العراق بعد اكتمال تحريره كانت تسد رواتب المقاتلين الذين سكنوا مصر الكوفة ، ويبدو إن هذا المقدار من الجزية كان كبيراً جداً إذ بلغت رواتب الديلم الذين دخلوا الإسلام (١,٠٠٠,٠٠٠) درهم في الكوفة فكان سعد بن أبي وقاص يمنحها إياهم عن طريق رئيس قبيلتهم الذي يقوم بدوره بتوزيعها بين المقاتلة(٥٥٥). وعلى الرغم من هذا نجد الخليفة الثاني يأمر بإيقاف الفتوح ما لم يستتب أمر المسلمين تماماً في البلاد المفتوحة(٥٥٦).

ويبدو إن استقرار المسلمين في المنطقة كان قد دعا الخليفة الثاني الى نشر تعليمات جديدة مع هؤلاء للدخول في الإسلام لكنه عزم هذه المرة وبدون أكراه على إدخالهم عن طريق معاملة خاصة أتت أكلها بعد حين.

لقد انتهج الخليفة هذه المرة سياسة تنطبق مع متطلبات الموقف فقد شرع بتطبيق الشروط المستحبة في عقد الجزية وهي تغيير هيئتهم بلبس الغيار وشد الزنار وان لا يعلوا على المسلمين في الأبنية ولا يسمعونهم أصوات نواقيسهم ولا تلاوة كتبهم ولا يجاهروهم بشرب الخمر ولا إظهار خنازيرهم وصلبانهم وان يمنعوا من ركوب الخيل ولا يمنعوا من ركوب البغال والحمير(٥٥٧).

واضح إن الخليفة بسياسته هذه كان يسعى الى تحقيق عدة أغراض تعود بالنفع والمصلحة على الإسلام والمسلمين ، فهو طبق في بادئ الأمر صدر الآية في الجزية وما إن قوت شوكت المسلمين في البلاد وحل الظرف المناسب حتى طبق "وهم

---

(553) الخربوطلي ، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي ، ص٢٣٧.
(554) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٨٣؛ سابق ، سيد ، فقه السنة ، ط٣، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٧، ج٢، ص٦٦٨. .
(555) حسين ، الفتح الإسلامي ، ص١٧٧.
(556) جلوب ، إمبراطورية العرب ، ص٤٩.
(557) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٨٥.

صاغرون"[٥٥٨] ، الصاغر هو الراضي بالمنزلة الدنية والذي سوف يخضع لحكومة الإسلام فيما بعد[٥٥٩].

ويبدو إن الخليفة أراد ان يمنع أهل الذمة ولاسيما أهل الحيرة لما لهم من معرفة بالأمور الإدارية لأنهم ورثوا مؤسسات عريقة ، من تسلم المناصب العليا فكانت لا تناط بهم ولا يعهد أليهم بمهمة خطيرة ولا تأتمنهم الدولة على مصلحة ذات شأن[٥٦٠] ، مما يظهر إن الخليفة أراد بهذا تعويض المقاتلين المسلمين برواتب مجزية ومناصب عالية عن تركهم الديار وغربتهم لان "الغنى في الغربة وطن والفقر في الوطن غربة"[٥٦١]. ومهما تعددت السبل التي اتبعها الخليفة في هذا الشأن فأن الغرض واحد الا وهو الاسلام ، لذلك نرى بعد فترة ليست طويلة أصبحت الكوفة وريثة الحيرة وانتقل إليها النصارى بعد تمصيرها[٥٦٢] ، لذلك لم يجدوا بداً من الدخول في الإسلام لينعموا بما أنعم الله تعال به على المسلمين من المزايا الاجتماعية والاقتصادية[٥٦٣]، لذلك فقد دخل عدد غير قليل من اهل الذمة في الاسلام ، لذا اصبحوا اقلية فيما بعد[٥٦٤].

إن تشدد الخليفة في تعامله مع أهل الذمة لا يعني انه سلبهم حقهم أو حاد عن جادة الصواب معهم بل على العكس لان الأمة الإسلامية لم تفرط في مبادئ العدل من اجل تحقيق شيئ ما ، بل اعتبرت الدولة الإسلامية إنّ كل شيء فيه رخصة إلا العدل باعتباره قيمة لا يمكن التفريط بها في أي حال من الأحوال.

وعلى هذا الأساس سار خلفاء الرسول (ص) لذا نجد إن الخليفة عمر رغم إتباعه السياسة سابقة الذكر إلا انه إمام الحق عادل فعندما قتل مسلم رجلاً من نصارى بكر بن وائل من أهل الحيرة نجد إن الخليفة يأمر بتسليم الرجل إلى أولياء المقتول ، فسلم أليهم فقتلوه[٥٦٥] ، لان الذمي ما إن أعطى الجزية يكون دمه كدم المسلم حيث يذكر الإمام علي

---

(558) سورة التوبة ، آية ٢٩.

(559) الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ١٣٦٢هـ ، ج٩، ص٢٥٣.

(560) عنان ، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ، ص٢٢.

(561) نهج البلاغة ، ج٤، ص١٤.

(562) البراقي ، حسين بن السيد احمد ، تاريخ الكوفة ، حرره وأضاف إليه: محمد صادق بحر العلوم ، ط٣، منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف ، ١٣٥٦هـ ، ص١٢٧.

(563) عنان ، مواقف حاسمة ، ص٢٢.

(564) حبيب ، الاقليات والسياسة ، ص١٨.

(565) المودودي ، أبو الأعلى ، حقوق أهل الذمة في الدولة الإسلامية ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت ، ص١٤.

(ع) "من كانت له ذمتنا فدمه كدمنا وديته كديتنا"[٥٦٦] ، وقد تكرر هذا الحادث في خلافة الإمام علي (ع) (٣٥-٤٠هـ)/(٦٥٥-٦٦٠م) حيث أمر الإمام بالقصاص من القاتل فجاء اخو المقتول وقال: قد تركت القود ولكنه أي الإمام لم يرض بذلك وقال: لعلهم فزعوك أو هددوك ، فقال: لا بل قد أخذت الدية ولا أظن أخي يعود بقتل هذا الرجل[٥٦٧].

ولما قتل الخليفة الثاني اتهم عبيد الله بن عمر الهرمزان ورجلاً من أهل الحيرة يدعى جفينة بعثه سعد بن أبي وقاص إلى المدينة ليعلم ولده والناس الكتابة والحساب فاتهمهم ابن عمر بموالاتهم لأبي لؤلؤة قاتل أبيه فقتلهما وقتل ابنة أبي لؤلؤة ، فلما بويع الإمام علي للخلافة قال "لاقيدن منه من قتل ظلماً" فهرب من الكوفة إلى معاوية بالشام[٥٦٨]، وبخلافة الامام علي (ع) ايضاً شهد النصارى نوعاً من التسامح الديني والحرية الاجتماعية فعندما توفي احد نصارى بكر بن وائل خرج لتشيعه اشراف العرب والقسيسون وهم يقرأون الانجيل ، وكان في الكوفة عبدالرحمن بن ملجم ينظر اليهم فسأل عن المتوفي فقيل له "هذا ابجر بن جابر العجلي مات نصرانياً ، وابنه حجّار بن ابجر سيد بكر بن وائل ، فأتبعها اشراف الناس لسؤدد ابنه ، واتبعها النصارى لدينه" فقال "والله لولا اني ابقي نفسي لامر هو اعظم عند الله من هذا لاستعرضهم بسيفي"[٥٦٩].

وقد استمرت هذه السياسة من قبل الدولة الإسلامية تجاه أهل الذمة من نصارى الحيرة وكانت سياسة قائمة على أساس شرعي وتطبيقاً لأسس الشريعة السماوية حيث سمح المسلمون لنصارى الحيرة بتعريب الإنجيل في خلافة عثمان بن عفان (٢٣-٣٥هـ)/(٦٤٣-٦٥٥م) وتم لهم ذلك على يدبني عقيل وتنوخ[٥٧٠].

استمرت سياسة التسامح هذه حتى ولاية الحجاج (٧٥-٩٥هـ)/(٦٩٤-٧١٤م) في عهد الخلفاء الأمويين ، حيث عامل الحجاج أهل الذمة معاملة مجحفة وحاد عن جادة الصواب عندما أبقى الجزية على من اسلم في منطقة السواد[٥٧١] ، ومعلوم إنّ الجزية ترفع

---

(566) أبو يوسف ، الخراج ، ص١٥٦.
(567) المودودي ، حقوق أهل الذمة ، ص١٤.
(568) ابن سعد ، الطبقات ج٥، ص١٠؛ البلاذري ، انساب الإشراف ، تح: محمد باقر المحمودي ، ط٢، مطبعة باسدار ، قم ، ١٤٢٢هـ ، ص٢٠٤.
(569) الدينوري ، اخبار الطوال ، ص٣١٤.
(570) بابو إسحاق ، تاريخ نصارى العراق ، ص٩٩.
(571) الطبري ، تاريخ ، ج٥، ص٢٣٩.

بإسلام الفرد[٥٧٢] ، إلا إن معظم الخلفاء الامويين وولاتهم كانوا منغمسين بترف العيش وجمع الثروة والمال وتصريفها في ملذاتهم وانصرافهم عن الشرع تماماً أدى بهم إلى اقتراف هذا ، يستثنى منهم الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ)/(٧١٨-٧٢٠م) الذي انتهج سياسة تنم عن ورع وتدين وكونه مسلماً تقياً اثر نصرة الدين على أي شيء آخر الأمر الذي لم يرق لبني أمية حيث نعتوا إصلاحاته بالناقصة وانه بهذا أرهق بيت المال لأنه رفع الجزية عمن اسلم من النصارى[٥٧٣] ، فقد وجه إليه سؤال حول من اسلم من أهل الحيرة من النصارى واليهود والمجوس وكانت عليهم جزية عظيمة فأجابهم بأن من اسلم من أهل تلك الملل لا جزية عليه[٥٧٤].

ولا يفوتنا ذكر المجوس من سكنة الحيرة فقد سكنها عدد من المجوس[٥٧٥] ، تعامل المسلمون معهم على أنهم أهل كتاب ، معتمدين على سنة الرسول (ص) بقولـه

"سنوا بهم سنة أهل الكتاب"[٥٧٦] ، كما فعل (ص) معهم في هَجَر[٥٧٧] عندما اخذ منهم الجزية وعاملهم معاملة أصحاب الكتاب[٥٧٨].

إذن يمكن القول إن الجزية فرضها الإسلام على كل من يمثل قوة تناطح الدولة الإسلامية وتحول دون تحقيق أهدافها التي تتمثل في السعي الدائب لدعوة الناس إلى الإسلام ، لذلك نلاحظ إن الذين لا يمثلون قوة قد اعفاهم من هذه الضريبة. لا بل تعدى عطف المسلمين وفي مقدمتهم الرسول (ص) بأهل الذمة ، حيث أوصى بهم الخليفة ، مذكراً بقول الرسول (ص) "من ظلم معاهداً وكلفه فوق طاقته فانا حجيجه"[٥٧٩] كما تعد الجزية ضريبة حماية أيضا عن نفس الذمي في ماله ودينة ودمه ولا علاقة لهم بالحرب

([572]) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٨١.
([573]) الخربوطلي ، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي ، ص٤٠٤.
([574]) أبو يوسف ، الخراج ، ص١٣١.
([575]) أبو يوسف ، الخراج ، ص١٣١؛ بن سلام ، الأموال ، ص١٠٥؛ ماجد ، التاريخ السياسي ، ج١، ص١٧٢.
([576]) ابن سلام ، الأموال ، ص٤٠.
([577]) هجر: موضع بالبحرين فتحت في عهد الرسول (ص) على يد العلاء بن الحضرمي سنة ٨هـ/ ٦٢٩م. الحموي ، معجم البلدان ، ج٨، ص٤٦٩.
([578]) ابن سلام ، الأموال ، ص٣٩.
([579]) ابن قيم ، ابي عبدالله محمد بن ابي بكر ، إحكام أهل الذمة ، تح: صبحي الصالح ، مطبعة جامعة دمشق ، دمشق ، ١٣٨١هـ ، ج٢، ص١٧؛ المودودي ، حقوق أهل الذمة ، ص٣٠.

التي يخوضها المسلمون[٥٨٠] ، لكونهم ذميين لا تفرض عليهم واجبات حربية ما دام يحول الدين بينهم وبين الخدمة في الجيش الإسلامي فيعتبر هذا نوعا من الاستقلال الجزئي او الذاتي لهؤلاء النصارى[٥٨١].

معاملة المسلمين لأرض منطقة الحيرة بعد الفتح

كان هدف المسلمين عند شروعهم بالفتوحات الإسلامية هو ضم البلدان للدولة الإسلامية ونشر الإسلام فيها بأقل قدر من العنف أو المواجهات العسكرية -بالتعبير الحديث- أي تقليل إراقة الدماء بين الطرفين ما أمكن ، ومن ثم وضع خطط التنظيم السياسي والإداري على وفق التشريع الإسلامي ، إما ما يتعلق بمنطقة الحيرة وما حولها من القرى مثل أليس وبانقيا وباروسما ، فقد عدت أراضيهم أراضي صلح[٥٨٢] ، ان حكم ارض الحيرة وما حولها على أنها أراضٍ خاصة في الحكم فهم " يستبقوها على أملاكهم ولا ينزلوا على رقابها ويصالحوا عنها بخراج يوضع عليها ، فهذا الخراج جزية تؤخذ منهم ما أقاموا على شركهم وتسقط عنهم بإسلامهم تؤخذ منهم جزية رقابهم ، ويجوز لهم بيع هذه الأرض على من شاءوا"[٥٨٣].

فكان ما يؤخذ منهم هو بمثابة إتاوة عنهم فقط لا عن أراضيهم[٥٨٤] ، أي إن أرضهم ارض غير خراجية يمكن إن تباع وتشترى ، لذلك عد صلح هذه الأراضي – الحيرة وما حولها- حالة فريدة تاريخياً[٥٨٥] ، فقيل لا يمكن بيع أو شراء ارض دون الجبل إلا ارض بنى صلوباً وارض الحيرة[٥٨٦] ، كما ذكر عن نهي شراء ارض السواد "لا تشترين من السواد إلا من أهل الحيرة وبانقيا وأليس"[٥٨٧] ، وعلى هذا الأساس فقد اشترى الإمام علي (ع) منطقة مابين الخورنق إلى الحيرة إلى الكوفة من الدهاقين بأربعين ألف درهم[٥٨٨].

---

(580) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٨٥.
(581) حتي ، فيليب خوري ، تاريخ العرب ، نقله إلى العربية: محمد مبروك نافع ، ط٣، دار العالم العربي ، القاهرة ، ١٩٥٢، ج١، ص٢٠٨.
(582) ابن ادم ، يحيى ، الخراج ، ط٢، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ ، ص٥٠.
(583) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٨٨.
(584) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٤٥.
(585) ياسين ، تطور الأوضاع الاقتصادية ، ص١٩٤.
(586) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٤٢.
(587) ابن سلام ، الأموال ، ص١٠٥.
(588) ابن طاووس ، غياث الدين السيد عبدالكريم ، فرحة الغري ، ط٢، المطبعة الحيدرية ، النجف ، د.ت ، ص٢٩.

فلو كانت ارض خراج فلا يجوز تملكها حيث أنها تبقى ملكاً في تصرف الدولة الإسلامية[٥٨٩].

ويكون حكم ارض الحيرة عند إسلام أهلها عشرياً[٥٩٠]. لان ضريبة أرضهم هي ضريبة واحدة عن الرأس وعن الأرض.

إما منطقة الكوفة فعدت أرضا خراجية كونها فتحت عنوة[٥٩١] ، فقد طبق عليها أساس الأراضي الخراجية ، وكانت الكوفة تابعة للحيرة.

لذلك ان مايرد من هذه المنطقة ادى الى نمو في بيت مال المسلمين حيث عد سواد العراق من المناطق الخصبة كثيرة الخيرات لان الأراضي العامرة هناك أكثر من الغامرة وهذا يعني إن مبلغ الخراج والجزية كان له بعض الأثر في دعم ميزانية بيت المال ، وقد أوصى الخليفة عمر بن الخطاب في آخر ساعاته بأهل الذمة بقوله "أوصيكم بأهل الذمة فإنهم ذمة نبيكم وأرزاق عيالكم"[٥٩٢].

دور العبادة لأهل الذمة ومعاملة المسلمين لهم على وفق الصلح

تميزت الحيرة بكثرة أديرتها وكنائسها لانتشار الديانة النصرانية فيها ، وحين دخل الاسلام الى هذه المدينة ترتب على الفاتحين إيجاد حل لمسالة الكنائس والبيع فقد فرق الفقهاء في حل هذه المسالة بين البلدان التي لها عقد وعهد حكم معين ، والتي ليس لها عهد ، وعلى هذا الأساس جرى تنظيم الأوضاع الدينية لأهل البلدان المفتوحة ، ولما كان لأهل الحيرة من ضمن عقد الصلح اتفاق على إن لا تهدم لهم بيعة ولا قصرٌ [٥٩٣] ، لا بل يحق لهم بناء كنائس وبيع في مدينتهم[٥٩٤] ، ولا يجوز هدم أي منها بأي شكل من الإشكال وإن كان الأمر قد صدر من الخليفة نفسه ، فعندما أراد الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ)/(٧٨٧-٨٠٨م) هدم بيع وكنائس الحيرة رفض أبو يوسف ورد عليه "ولست أرى إن يهدم شيء مما جرى عليه الصلح ولا يحول ، وان يمضي الأمر فيها على ما امضاه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين فإنهم لم يهدموا شيئاً منها مما كان الصلح جرى عليه"[٥٩٥].

---

(589) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٨٨.
(590) المصدر نفسه ، ص١٨٧.
(591) البراقي ، تاريخ الكوفة ، ص١٢٦.
(592) ابن سعد ، الطبقات ، ج٣، ص٢٥٦.
(593) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٤٠؛ حبيب ، الأقليات والسياسة ، ص١٢٩.
(594) بابو إسحاق ، تاريخ نصارى العراق ، ص٢٢.
(595) أبو يوسف ، الخراج ، ص٢٨٢.

إن الإسلام رفض بأي صورة كانت بناء بيع أو كنائس في أمصار المسلمين التي فتحت عنوة[٥٩٦] ، امتثالاً لأمر النبي (ص) اذ نهى عن ذلك بقوله "لا تجتمع قبلتان بأرض"[٥٩٧] .

إلا إن هناك استثناء لأهل الصلح وبحسب عقد الصلح فكانت الحيرة من الأمصار التي من ضمن شرط الصلح فيها إبقاءكنائسها وممارسة الشعائر الدينية فيها ، وعلى الرغم من كون الخليفة الثاني عمر قد كره هذا الشرط إلا انه اقره[٥٩٨] ، وبقيت الحيرة ردحاً من الزمن يقيم بها أهل الذمة شعائرهم ويبنون فيها أديرتهم ، وبخاصة في فترة الخلفاء الراشدين وما بعدهم من الخلافة الأموية ، ففي ظهر الحيرة خرج شيخ من النصارى ليختط ديراً له فكان موضع حفره هو قبر ابن بقيلة[٥٩٩] ، وفي خلافة الإمام علي (ع) حيث كان بالحيرة مع نفر من أصحابه فسمعوا صوت الناقوس يضرب من أحدى الكنائس فاستاء صاحب الإمام من أمر الكنائس وصوت الناقوس فرد عليه الإمام بان هذا الناقوس يتكلم ، فقال والذي خلق الحبة وبرأ النسمة ما من ضربة تقع على ضربة ولا نقرة على نقرة إلا وهي تحكي مثلاً وتودي علماً ، فهذا الناقوس يقول "سبحان الله حقاً حقا ، إن المولى فرد يبقى يحكم فينا رفقاً رفقا ، لولا حكمه كنا نشقى ، أنا بعنا داراً تبقى ، واستوطنا داراً تفنى ، ما من حي فيها يبقى إلا أدنى منه موتا...." [٦٠٠].

وهذا يدل على حرية ممارسة شعائر أهل الحيرة حيث كانت تضرب نواقيسهم في الوقت الذي لم يسمح للنصارى وغيرهم من أهل الذمة بممارسة شعائرهم في أمصار المسلمين ، لا بل ذهب المسلمون إلى أكثر من هذا حيث أنهم لم ينكروا الصلاة في أديرة النصارى فحينما سُئِلَ الشعبي عن الصلاة في البيعة اجاب بنعم[٦٠١].

---

(596) ابن قيم ، إحكام أهل الذمة ، ج٢، ص٦٨٦.
(597) ابن حنبل ، احمد بن محمد ، المسند ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٩٨هـ ، ج١، ص٢٨٥؛ الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٦٨٦.
(598) ابن سلام ، الأموال ، ص٢٠٠.
(599) شيخو ، لويس ، شعراء النصرانية بعد الاسلام ، ط٢، دار المشرق ، بيروت ، د.ت ، ص٢٠.
(600) غنيمة ، الحيرة ، ص٣٩.
(601) ابو حيان التوحيدي ، علي بن محمد ، الامتاع والمؤانسة ، صححه: احمد امين وامين الزين ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت ، ج٢، ص٥٨.

إما في العهد الأموي فقد استمر بناء الكنائس في الحيرة فقد بنى خالد بن عبد الله القسري في فترة ولايته (١٠٥-١٢٠هـ)/(٧٢٤-٧٣٩م) بيعة في الحيرة لأمه التي كانت نصرانية[٦٠٢].

لقد بقي أهل الكنائس في كنائسهم عند الفتح الإسلامي فيذكروا إن خالداً عندما دخل على هند الصغرى وهي في ديرها أراد إن يزوجها رجلاً مسلماً فأبت إن تترك دين آبائها فتركها دون إجبار ثم قال لها سليني حاجة فطلبت منه حماية النصارى فقال لها هذا ما أوصانا به نبينا محمد (ص)[٦٠٣]. كذلك فقد راعى المسلمون العديد من الجوانب الأخرى لأهل الذمة ومنهم أهل الحيرة على وفق صلحهم ومنها أكلهم الخنزير وشربهم الخمر وهنا كانت عليهم شروط وهي إن لا يأكلوا ويشربوا ما حرم على المسلمين في أمصار المسلمين[٦٠٤]. وكذلك إن لا يتاجروا بها فكانت جماعة من أهل الحيرة يشربون الخمر ثم بدءوا بحملها بالسفن لغرض الاتجار بها فكتب عندها عمر بن عبد العزيز إلى عامله على الكوفة بان يصير الخمر خلاً[٦٠٥]. لكن ذلك مباح لهم في دارهم فلا يجوز لمسلم إن يتلف خمر الذمي أو خنزيره وان أتلفه "يضمن المسلم قيمة خمره وخنزيره إذا أتلفه"[٦٠٦].

فقد أصبحت الحيرة نتيجة لهذا الأمر متنفساً لأهل الكوفة فقصدها العديد لأجل اللهو وحتى بعض الخلفاء الأمويين ومنهم الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦هـ)/(٧٤٤-٧٤٥م) عندما وصفت له الحيرة بجودها وجمال أديرتها ونظافة خمرها فقصدها من دمشق[٦٠٧].

تمتع أهل الحيرة طوال فترة الخلفاء الراشدين ومن بعدهم بنوع من التسامح الديني لا بل تعدى ذلك الى ان بعض الخلفاء الأمويين اصبح لهم ندماء من نصارى الحيرة فقد كان الأخطل ألتغلبي (ت٩٠هـ/٧٠٩م) نديماً لعبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ)/(٦٨٥-٧٠٥م)[٦٠٨] ، إلا إن هذا التسامح والتعامل مع هؤلاء بدأ بالتفاوت بين فترة وأخرى ، فيذكر الجهشياري إن الخليفة المنصور (١٣٦-١٥٨هـ)/(٧٥٥-٧٧٥م) بعث احد عماله إلى هذه المنطقة وأمره إن يقطع يد كل من كان ذمياً يكتب للمسلمين ففعل وقطع يد حماد

(602) الطبري ، تاريخ ، ج٧، ص١٣١؛ بابو اسحق ، تاريخ نصارى العراق ، ص٢٢.
(603) البكري ، معجم ما استعجم ، ص٣٦٢؛ الاعظمي ، تاريخ ملوك الحيرة ، ص١١٠.
(604) المودودي ، حقوق أهل الذمة ، ص٢٠.
(605) ابن سلاّم ، الأموال ، ص١٣٤.
(606) الحصكفي ، الدر المختار ، ج٣، ص٢٧٣.
(607) العمري ، مسالك الإبصار ، ج١، ص٣٢٢.
(608) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ج١، ص٤٨٣.

ماهويه ، جد سليمان بن وهب[٦٠٩]. إلا إن هذا لم يدم طويلاً ففي عهد المأمون (١٩٨-٢١٨هـ)/(٨١٣-٨٣٣م) ازداد عدد الكنائس بشكل ملفت للنظر في الحيرة وغيرها من أماكن الصلح التي يمكن لاهل الذمة بناء كنائسهم فيها وهذا دليل على عودة الحرية والتسامح مع هذه الفئة في المجتمع[٦١٠].

ومهما يكن من أمر فان علماء المسلمين كانوا دائماً العون الأول لأهل الذمة وبخاصة مع الخليفة بعد عصر الراشدين فكان الفقهاء يقفون إمام أي أمر يصدره الخليفة ضدهم ويتعارض مع صلحهم ، وكما مر سابقاً عن موقف أبي يوسف إمام الرشيد ضد هدم كنائس أهل الحيرة[٦١١]. لذلك كان العلماء درعاً لهؤلاء يحمون حقوقهم في جميع الأزمان ، فكلما عاملهم أمير أو ملك من ملوك المسلمين بقسوة وظلم لم يكف عن لومه وتأنيبه على ذلك من كان في عصره من حراس القانون الإسلامي[٦١٢].

الفتح الثاني للحيرة

الاستعداد للمعركة الفاصلة:

استطاع المثنى بن حارثة إن يسيطر على السواد وان يصل إلى ساباط قرب المدائن كان ذلك بعد البويب والأسواق ، فقد أدرك الفرس أي نذر مبيتة تهدد دولتهم الواسعة ، وإنهم والخطر سواء ، ولم يعد الأمر أمر غارات قريبة ولا أفواج عربية صغيرة تفنى أو تستقر وإنما هي أمواج تنذر وتغير وتدعوا وتفتح ولا هي من الجماعات التي عهدوها

([609]) الجهشياري ، أبي عبدالله محمد بن عبدوس ، الوزراء والكتاب ، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الابياري وعبدالحفيظ شلبي ، لا.م ، القاهرة ، ١٩٣٨، ص١٧٩.
([610]) بابو اسحاق ، تاريخ نصارى العراق ، ص٦٢.
([611]) أبو يوسف ، الخراج ، ص٢٨٢.
([612]) المودودي ، حقوق أهل الذمة ، ص٣٠.

تمتاز في أيام الجدب وتتجر في أيام التجارة بل هي جماعات من نوع جديد تدعو إلى الإسلام أو الجزية أو الحرب[٦١٣].

شعر الفرس إن ما يحل بهم نتيجة للتفكك الذي هم عليه فوجدوا انه لا بد من لملمة شتاتهم ، الأمر الذي دعا كبار فارس للاجتماع ونبذ الخلافات والبحث عن وريث للعرش الساساني[٦١٤] ، كما هددوا الأمراء الكبار وهما رستم والفيرزان بالقتل إن لم ينبذوا خلافاتهم وبعد هذا الجهد وجدوا وريثاً للعرش ونصبوه ملكاً عليهم ولقب بيزدجرد الثالث[٦١٥] ، استطاع هذا الملك الشاب القضاء على سلطة الأمراء وأعاد لفارس وحدتها في ظل قائد واحد[٦١٦] ، وتمكن من تجنيد الكفاءات وجمع القوى تحت لوائه وتوحيد وتنظيم الجيش الفارسي ، فدانت له البلاد والأمراء كافة واستفحل أمر الفرس في البلاد وقويت شوكتهم[٦١٧].

شعر أهل السواد وغيرهم بقوة العرش الساساني الجديد ولاسيما المتنفذين منهم والذين ارتبطت مصالحهم بالفرس ، فكفروا بعهدهم سواء المعاهد منهم أم غير المعاهد[٦١٨].

إمّا حال العرب فان المثنى ما إن رأى ما حصل من أهل السواد من إنكار للعهود والالتفاف حول الفرس حتى انسحب من الحيرة وما حولها ونزل في ذي قار لأنهم وجدوا إن الاوضاع لم تكن لصالحهم وان الارض تكاد ان تميد بهم [٦١٩]. وكان غرض المثنى من نزوله ذي قار هو تخليص المسلمين من الطوق الذي أحيط بهم من قبل الفرس وأخذهم منطقة حدودية هناك[٦٢٠] ، يبدو إن الاختيار هذا جاء لوقاية المسلمين من أي هجوم سريع ومباغت من قبل الفرس وحتى يكونوا في اقرب نقطة من المدد القادم من المدينة المنورة.

وصل خبر تحركات الفرس وسيطرتهم على معظم الأراضي المحررة في الفتح الأول حتى استعد الخليفة عمر بن الخطاب لإرسال جيش لتحرير العراق بالكامل ، فقد

---

(613) فيصل ، حركة الفتح الإسلامي ، ص٧٩.
(614) كريستنسن ، إيران في عهد الساسانيين ، ص٤٨٠.
(615) الاصفهاني ، تاريخ ملوك الأرض ، ص٩٩؛ الاعظمي ، تاريخ الدول الفارسية ، ص٤٧.
(616) جلوب ، إمبراطورية العرب ، ص٤٨.
(617) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٧، ص٣٠؛ فيصل ، الفتح الإسلامي ، ص٧٦.
(618) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٤٧٨.
(619) فيصل ، حركة الفتح الاسلامي ، ص٧٩.
(620) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٤٧٨.

قرر الخليفة إن يرسل إلى العراق كل من يستطيع حمل السلاح وتم اختيار قائد لهذا الجيش ، وهو سعد بن أبي وقاص وهو من الصحابة والسابقين(٦٢١).

سرح الخليفة مع سعد من اجتمع من المسلمين ويقدر عددهم بأربعة آلاف ومعهم النساء(٦٢٢) ، فسار بالجيش حتى نزل شراف(٦٢٣) فوافاه جند المثنى وانضمت اليه القبائل القاطنة هناك كما إن الخليفة كان يرسل إليه كلما اجتمعت إليه جماعة من المسلمين فبلغ عدد جيشه بضعة وثلاثين ألفاً(٦٢٤).

أوصى الخليفة قائده باختيار موقع ارض المعركة حتى يكون المكان عوناً له لا عليه لان الموقف يتطلب ذلك من خلال إطلاع الخليفة على استعداد الفرس للعرب المسلمين وقوة عدتهم من خلال الرسالة التي كتبها له قائلاً فيها "فسر من شراف ، نحو فارس بمن معك من المسلمين وتوكل على الله واعلم فيما لديك انك تقدم على امة عددهم كثير وعدتهم فاضلة وباسهم شديد وعلى بلد منيع...... وإذا انتهيت إلى القادسية(٦٢٥) – والقادسية باب فارس في الجاهلية وهو منزل رغيب خصيب حصين دونه قناطر ، وانهار ممتنعة – فتكون مسالحك على إنقابها ويكون الناس بين الحجر والمدر على حافات الحجر وحافات المدر"(٦٢٦). يبدو ان الخليفة كان دقيقاً في اختيار موقع القادسية حيث كانت القادسية يوم ذاك يحف بها من ناحية الشرق خورمن الفرات ويطوف من ناحية الغرب خندق سابور(٦٢٧) وهو اذ ذاك غدير ، وكان يحمي ميمنة المسلمين مستنقع لا يمكن اجتيازه بجيش كبير كجيش الفرس بينما كانت الصحراء تحمي ظهر المسلمين(٦٢٨).

كما اوصى المثنى وصية لسعد يحثه بعدم قتال العدو في عقر دارهم وان يقاتلهم على حدود ارضهم على ادنى حجر من ارض العرب وادنى مدرة من ارض العجم(٦٢٩).

---

(621) ابن سعد ، الطبقات ، ج٣، ص١٠١؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ج١، ص١٣٧.

(622) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٤٨٧؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٣٠٠.

(623) شراف: منطقة بين واقصة والقرعاع على ثمانية اميال من الاحساء. الحموي ، معجم البلدان ، ج٥، ص١٣١.

(624) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٤٨٧؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ج١، ص١٣٨.

(625) القادسية: موضع قريب من الحيرة بينه وبينه خمسة عشر ميل. الحموي ، معجم البلدان ، ج٧، ص٧.

(626) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٤٩١.

(627) خندق سابور: خندق حفره سابور خوفاً من العرب ليكون حاجزاً بينه وبينهم ويقع في برية الكوفة. الحموي ، معجم البلدان ، ج٤، ص٢٥٠.

(628) حسونة ، اثر العوامل الجغرافية ، ص٢٥.

(629) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٤٩٠؛ غلوب ، جون باجوت ، الفتوحات العربية الكبرى ، تعريب

ومن خلال وصية المثنى ورسالة الخليفة وهما يؤكدان لسعد اهمية الموقع الجغرافي لانه منسجم مع التاريخ فالطبيعة الجغرافية قد ترسم احياناً صورة للتاريخ. اذن لا بد من اعطاء اهمية خاصة للموقع الجغرافي ولا سيما لقادة مثل قادة الفتوح لانهم سيخوضون معارك تحتاج الى طبيعة خاصة يتم تحديدها من قبل القادة. كما حسبوا للفرس حساباً في اختيار الموقع فكانت المنطقة غرب الفرات صحراوية لا تساعد على تحرك قوات المشاة والخيالة لقلة مائها وخاصة لقوات لم تألف ضراوة الصحراء كقوات الفرس فهاجم العرب الفرس باتجاه القوات العربية بسبب جغرافية الارض لان ارض السواد انقسمت الى ساحتين شمالية وجنوبية بفعل البطائح التي صعبت على قوات الفرس ايضاً التعاون فيما بينها ، اما في شرق السواد فقد كان نهر دجلة يجري الى البصرة (الابلة) ولما كان اتجاه دجلة يعقب اتجاه الفرات فقد زاد انقسام السواد الى ساحتين فتحدد السوق الفارسي باتجاه الحيرة فقط فاصبح محور التحرك الرئيسي للجيش العربي هو الحيرة – المدائن- جلولاء[٦٣٠] لذلك نرى ان الامتين قد ارسلتا قواتهما باتجاه الحيرة ، اضافة الى كون الحيرة تحتوي ينابيع مياه تكفي للجيش العربي وكونها على حدود البادية التي لا يقاتل العرب الا على اقرب حجر منها ليسهل عليهم الانسحاب الى داخلها لتحميهم من عدوهم ان كان النصر له[٦٣١].

ويتضح مما تقدم ان الخليفة بعد ان ارسل الى سعد يامره بالنزول في القادسية واتخاذها معسكراً ، كان قد درس المنطقة دراسة جيدة من خلال مراعاته لجوانب متعددة منها ما يتعلق بطبيعة الجندي العربي وما يحتاج اليه من الكلأ والماء له ولحيواناته كما ان اسس الفتح الثاني لا يختلف عن الاول فان الغرض هو الحيرة ، لذلك كانت القادسية المكان الامثل للعرب حيث استفادوا منها من خلال قربها من حدود الجزيرة حيث سرعة وصول الامدادات وغيرها من الامور التي حسمت الصراع لصالح العرب المسلمين من حسن اختيار الموقع.

خطى الخليفة خطوة في غاية الاهمية دعمت عملية الفتح واثرت بشكل او بآخر على مجريات الاحداث ولاسيما تمصير البصرة ، فبالرغم من وجود الاختلاف فيما رواه المؤرخون حول سنة تمصير البصرة فيذهب الطبري الى انها مصرت بعد القادسية أي في

وتعليق: خيري حماد ، منشورات مكتبة المثنى ، بغداد ، د.ت ، ص٣٢٩.

(630) جلولاء: من طساسيج السواد في طريق خراسان. الحموي ، معجم البلدان ، ج٣، ص٧١.

(631) حسين ، الفتح الاسلامي ، ص٩.

سنة١٤هـ/٦٣٦م[٦٣٢] ، اما القسم الثاني فيرى انها مصرت قبيل القادسية أي في الفترة الزمنية المحصورة بين البويب والقادسية تحديداً وقد مصرها عتبة بن غزوان[٦٣٣] ، ويبد ان هذا هو الاقرب للواقع لان الحاجة كانت ملحة جداً لتمصيرها في تلك الفترة ، حيث عمد الخليفة الثاني الى منع ايصال امدادات الفرس من مقاطعاتهم والاراضي التابعة لهم والتي تمر بالبصرة وتصل الى الحيرة حيث مكان قتال العرب مع الفرس[٦٣٤].

كما ان السيطرة على هذه المنطقة يعني تامين الجناح الايمن للقوات الاسلامية في منطقة الكوفة ويجعل الجيش الفارسي بين طوقين من الشمال الى الجنوب[٦٣٥].

كما استفاد المسلمون من تمصير البصرة فقد وصلت لسعد في القادسية امدادات من البصرة بقيادة المغيرة بن شعبة[٦٣٦] ، حيث ادى دوراً بارزاً في احداث الفتح الاسلامي وخاصة في القادسية.

شعر الفرس بحراجة موقفهم هذه المرة بعد ان سيطر العرب على ضفة الفرات قرب الحيرة[٦٣٧] ، فانتهجوا سياسة جديدة الا وهي اغراء عرب الحيرة باعادة امجادهم من خلال تمليكهم الحيرة اذا ما وقفوا بوجه العرب الفاتحين.

يبدو ان الفرس قد لمسوا من العرب من خلال الفتح الاول للحيرة ظهور النزعة القومية لديهم لذلك حاولوا جاهدين اغراءهم بالملك ، فوعد بن الآزاذبه قابوس بن قابوس بن المنذر وهو احد ابناء ملوك الحيرة بجعله ملكاً كما كان آباؤه من قبل مقابل اثارة العرب ووقوفهم ضد المسلمين فحدث هذا وثارت بكر بن وائل وتعرقلت مسيرة المسلمين بعض الشيء الامر الذي دعا المعنى اخو المثنى بن حارثة بالمسير الى بيت قابوس بن قابوس وقتله هو ومن معه[٦٣٨].

بالرغم من زعزعة الامور هناك الا ان العرب المسلمين لم تنفع معهم مثل هذه المحاولات كونهم مدفوعين بدافع ديني ولديهم وجوب طاعة ولي الامر وهو الخليفة حيث

---

(632) تاريخ ، ج٣، ص٥٩٠.
(633) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٥٢؛ الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص١٧٥.
(634) العسقلاني ، الاصابة في تميز الصحابة ، ج٣، ص٤٧٣.
(635) العلي ، خطط البصرة ومنطقتها ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٦، ص٤١.
(636) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص١٧٥.
(637) حسونة ، اثر العوامل الجغرافية ، ص٢٦.
(638) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٤٨٩.

ينفذ قائد الجيش جميع الاوامر[٦٣٩] ، فكان جيش المسلمين تحت امرة قيادة حكيمة متمثلة بقيادة الخليفة في المدينة على عكس القبائل العربية من قبل والتي تقاتل بصورة عشوائية دون اهداف سامية تدفعها ومفتقرة كل الافتقار الى الانضباط[٦٤٠].

لذلك عد هذا امراً جديداً على الفرس على الرغم من كون هذه الامور اتبعها خالد ايضاً في الفتح الاول. لكن الذي اختلف هنا هو نوع الحماس وقيادة الجيوش وكثرة المدد واختلاف الخليفة حيث تميز الخليفة الثاني بنوع من الروح العسكرية انعكست على قادة جيشه ، لذلك نجد الفرس يعدون جيشاً يتكافأ مع هذه المستجدات وقد حسب الفرس ان نصر المعركة يتوقف على العدة والعدد هاملين الجوانب الروحية والتي تعد بمنتهى الاهمية لذلك حشدوا قدراتهم العسكرية لملاقاة العرب المسلمين [٦٤١].

طلب الخليفة من سعد وبما يفرضه عليه الدين ارسال وفود من المسلمين الى يزدجرد وقائده رستم في المدائن بعد ان استقر سعد في القادسية[٦٤٢]. فأرسل العديد من كبار العرب واسيادهم ممن كان معه وكان منهم المغيرة بن شعبة والنعمان بن مقرن المزني وبسر بن ابي رهم وغيرهم ممن لهم هيبة ووقار[٦٤٣]. فلم يجد نفعاً مع الفرس بل تحرك رستم ونزل حيال دير الاعور مما يلي الفرات بحيال اهل النجف بحيال الخورنق الى الغريين[٦٤٤] ، واجرى سعد معه مباحثات اخرى وكان غرض المسلمين هو عدم اراقة الدماء ودخول من يرغب الى الاسلام دون حرب ثم دفع الجزية او الحرب اذا امتنعوا من ذلك وكثرة المباحثات ولاتمثل ضعفاً في الجانب الاسلامي[٦٤٥].

شعر الفرس وبوهم دار في هواجسهم بان العرب المسلمين قد ارهبتهم جيوش الفرس وفيلهم وعدتهم لذلك حاول رستم جاهداً ان يطيل من حالة اللاحرب حتى يحقق اهدافه وظنا منه ان المسلمين سوف يضجرون ويتفرقون فيوجه اليهم ضربة قوية يطردهم من العراق[٦٤٦].

([639]) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص٦٧.
([640]) غلوب ، الفتوحات العربية الكبرى ، ص٣٢٩.
([641]) فياض ، عبدالله ، محاضرات في تاريخ صدر الاسلام والدولة الاموية ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٦٧، ص٣٨.
([642]) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٤٩٢.
([643]) المصدر نفسه ، ج٣، ص٤٩٦.
([644]) ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٣٠٨؛ الحكيم ، جوانب تفصيلية ، ص٣٧.
([645]) الخضري ، اتمام الوفاء ، ص٧٩.
([646]) الشمخي ، منطقة الكوفة ، ص٨٨.

ولما كان القرآن قد هذب المسلمين ووجههم واعلمهم بما يحيط بهم من خلال اياته الكريمة حيث ذكر لهم ان العدو "يتربص بكم الدوائر أي انهم ينتظرون تنزل بكم الحوادث السوء للتخلص من سلطتكم والرجوع الى ما كان عليه حالهم ويخلوا الارض منكم"[٦٤٧].

شعر المسلمون بغاية الفرس وكان اخر من تفاوض معهم هو المغيرة بن شعبة الذي رفض منح رستم أي فترة اضافية سوى ثلاثة ايام مبيناً له ان بيننا وبينكم السيف وبهذا وجد الفرس انهم لابد لهم من خوض الحرب مع المسلمين[٦٤٨].

استغل سعد هذه المدة بارسال السرايا في المنطقة ولاسيما حول الحيرة التي كانت تحت سيطرة الفرس وتحتوي مسالح لهم فكانت تصل هذه السرايا الى اهدافها وتعود محملة بالانفال فكان من ضمن ما حصلوا عليه في انفالهم هي ابنة مرزبان الحيرة وثلاثين امرأة وهي تزف الى صاحب الصنّين[٦٤٩] وهو احد كبار قومها[٦٥٠].

هذا هو الواقع الحقيقي على الارض قبل وقوع المعركة الفاصلة التي تحتم مصير كل من الفرس وبقائهم بالعراق والاسلام وانتشاره فيه ومن ثم الى اصقاع الارض النائية.

ادى اهل الحيرة دوراً اثر في الحالة النفسية للفرس قبل المعركة حيث شعروا بالهزيمة قبل حلولها بهم من خلال حديث جرى بين رستم وابن بقيلة عندما قال له "يا اعداء الله ، فرحتم بدخول العرب علينا وكنتم عيونا لهم علينا ، وقويتموهم بالاموال"[٦٥١]. فأجابه ابن بقيلة "ما انت وقولك انا فرحنا بمجيئهم فماذا فعلوا؟ وباي ذلك من امورهم نفرح انهم ليزعمون انا عبيد لهم ، وما هم على ديننا ، وانهم ليشهدون علينا انا من اهل النار واما قولك "انا كنا عيوناً لهم" فما الذي يحوجهم الى ان نكون عيوناً لهم وقد هرب اصحابكم منهم ، وخلو لهم القرى فليس يمنعهم احد من وجه ارادوه ، ان شاءوا اخذوا يميناً وشمالاً ، واما قولك "انا قويناهم بالاموال" فانا صانعناهم بالاموال عن انفسنا ، واذ لم تمنعونا مخافة ان نسبى وان نحرب وتقتل مقاتلتنا – وقد عجز منهم من لقيهم منكم- فكنا نحن اعجز ، فقال رستم: صدقكم الرجل"[٦٥٢].

---

(647) الطباطبائي ، الميزان ، ج٩، ص٣٩٠.
(648) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٥٢٣.
(649) الصنّين: بلد بظاهر الكوفة كان من منازل المنذر. الحموي ، معجم البلدان ، ج٥، ص٢٠٨.
(650) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٤٩٤.
(651) المصدر نفسه ، ج٣، ص٥٠٨.
(652) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٥٠٩.

اثر هذا الرد على نفس رستم كثيراً وبخاصة وانه اعتمد في حروبه على التنجيم فكان طالعه سيء بالنسبة لحربه هذه ويظهر ذلك جلياً من خلال حديثه مع جنده " اني لأرى لله فيكم نقمة لا تستطيعون ردها عن انفسكم"[٦٥٣].

على الرغم من هذه النفسية المحطمة الا ان الفرس قاتلوا قتالاً شديداً دفاعاً عن مملكتهم تحت قيادة رستم الذي ادرك الخطر الذي يهدد بلاده من العرب في ابعد مداه[٦٥٤]. دارت المعركة بين الطرفين وكان حدوثها محط اختلاف بين المؤرخين حيث يذهب الطبري ويتبعه ابن الاثير بالقول من انها احداث سنة١٤هـ/٦٣٥م[٦٥٥] ، اما غيرهم من المؤرخين فيقول انها من احداث سنة١٥هـ/٦٣٦م[٦٥٦] ، ويبدو انها كذلك لان هذا التاريخ هو اقرب للواقع من غيره اذا ما قيست مع الاحداث الاخرى فان البويب كانت سنة١٣هـ/٦٣٤م بعدها غزوات الاسواق ومن ثم ارسال المثنى الرسل الى الخليفة ثم استعداد الخليفة لتجهيز الجيش وهذا لا يتم بسرعة ونزول سعد بشراف واقامته هناك عدة اشهر وبعدها رحيله الى القادسية ، ولما كانت القادسية بعد فتوح الشام بشهر[٦٥٧] ، وان فتح الشام حدث سنة١٥هـ/ ٦٣٦م[٦٥٨] لذلك فان القادسية كانت سنة١٥هـ/ ٦٣٦م لان المسلمين اتموا فتح الشام واتجهوا نحو العراق.

استمرت معركة القادسية اياماً معدودات فكان اليوم الاول يسمى:

يوم أرماث

لم يمهل المسلمون الفرس اكثر من الفترة التي قرروها لهم ، لئلا يتربصوا بهم الدوائر فقد واعد سعد جيشه بالهجوم بعد التكبيرة الرابعة ، وكان لذوي العلم والشعراء والقراء دورٌ كبير في رفع همم المقاتلين فالعلماء يحثون المسلمين على الجهاد وكانوا يشجعون التحاسد على ذلك لان الحسد لا يحل الا على الجهاد في امر الله[٦٥٩] ، اما في

---

(653) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٥٢٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٧، ص٣٨.
(654) كريستنسن ، ايران في عهد الساسانيين ، ص٤٨٣.
(655) تاريخ ، ج٣، ص٤٨٠؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٢٩٩.
(656) ابن خياط ، تاريخ ، ج١، ص١٠١؛ قدامة ، الخراج ، ص٣٥٩؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٧، ص٣٩.
(657) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢، ص٩٩.
(658) الواقدي ، فتوح الشام ، ج١، ص٢٣.
(659) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٥٣٠.

معسكر الفرس فكان تحاسدهم من نوع اخر تُعصف به روح العصبية التي ادت بهم في نهاية المطاف الى الفناء على الرغم من كثرة عددهم تجاه المسلمين(٦٦٠).

التحم الفريقان وكان سلاح الفرس في هذه المرة الفيلة التي زجت بارض المعركة ، ولما كانت قبيلة بجيلة تقاتل بروح التفاني في سبيل الاسلام فقد وصلت اخبارهم الى الفرس من خلال احد المرتدين من ثقيف الامر الذي دعا الفرس لتوجيه ثلاثة عشر فيلاً اليهم لسحقهم وكسر شوكة هذه القبيلة(٦٦١).

استطاع سعد ان ينقذ الموقف من خلال ارسال النجدات من بني اسد حيث واجهتم الفرس بالفيلة ايضاً الامر الذي دعا سعد لايجاد حل للفيلة فوجدوا ان قطع اذنابها وتوابيتها تؤدي الى سقوطها وسقوط من عليها(٦٦٢).

لولا هذا الحل السريع لاوشكت الفيلة ان تفتك بالمسلمين وكادت الكتائب ان تفترق. استمر القتال في يوم ارماث من الصباح حتى مغيب الشمس وقتل من الفرس احد امرائهم ويدعى هرمز وهو صاحب اذربيخان(٦٦٣) ، توقف القتال لما ذهب من الليل هداة لذلك سميت هذه الليلة بـ(الهداة) (٦٦٤). وقد قدر عدد شهداء المسلمين بخمس مئة شهيد(٦٦٥).

يبدو ان كفة القتال رجحت للفرس بسبب استخدامهم سلاح الفيلة. الا ان النصر لم يكن حليفاً لاحد(٦٦٦).

وبالرغم من قساوة المعركة الا ان هناك لحظات من خلو البال استغلها الشعراء لاثارة روح الحماس والفداء والتضحية فينشدون قصائدهم التي كانت سبباً في رفع الهمم(٦٦٧) ، فهذا عاصم بن عمرو التميمي يقول في هذا اليوم:

قد علمت واردة المسالح   ذات البنان واللبَّان الواضح

---

(660) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ص١١٠.

(661) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٥٣٨؛ كمال ، احمد عادل ، القادسية ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٧٣، ص١٣٥.

(662) ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٣٢٠.

(663) ابن اعثم ، الفتوح ، ج١، ص١٥٩.

(664) الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٩، ص١٠؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٣٢٠.

(665) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢، ص٣١٣؛ حسين ، جهاد عبد ، معركة القادسية من خلال توجيهات الخليفة عمر ورسائله ، مجلة الرسالة الاسلامية ، العددان ١٩٠- ١٩١، السنة التاسعة عشر ، شباط – اذار ، ١٩٨٦، ص٧٠.

(666) سيديّو ، تاريخ العرب العام ، ص١٥٩.

(667) القاضي ، النعمان عبدالمتعال ، شعر الفتوح الاسلامية في صدر الاسلام ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥، ص١٣٨.

أي سمام البطل المشايح   وخارج الامر المهم القادح[٦٦٨].

وهكذا انتهى اليوم الاول من المعركة الفاصلة والمسلمون يشدهم العزم وتعتريهم روح الجهاد والحماس لليوم القادم وهو يوم اغواث.

استهل المسلمون صباح يوم اغواث بمواراة قتلاهم الثرى في العذيب[٦٦٩] ، وكانوا يحسبون للغد حساباً لما شاهدوه من اهوال اليوم الاول الا ان الله قد ازال كربهم بإيصال طلائع قوات الشام الى العراق بامرة هاشم بن عتبة بن ابي وقاص والقعقاع بن عمرو التميمي[٦٧٠] ، وكان لهذه الامدادات اثر في رفع معنويات الجيش الاسلامي هو عكس ما كان يجري في الجانب الفارسي حيث كانت طريقة الامدادات تهدف الى زعزعة الروح المعنوية للعدو اذ قسم المدد الى اعشار ما ان تصل الجماعة الاولى حتى تلحق بهم الثانية وتباعاً حتى العشرة الاخيرة فكان العدد الفاً ومن هذا التكتيك وغيره نجد ان كفة المسلمين هي الراجحة في يوم اغواث[٦٧١] ، كما عمد المسلمون الى اتقاء خطر الفيلة من خلال اعداد الخيول المبرقعة والتي اذهلت الفرس ولاقوا من جرائها هولاً اشد من هول المسلمين من الفيلة يوم ارماث[٦٧٢].

استبسل المسلمون في قتالهم بهذا اليوم فحملوا حملة واحدة على الفرس حتى صاروا الى قصر القادسية الذي كان بحوزة الفرس وكان اشبه بالمعسكر بالنسبة لهم لما فيه من الاسلحة والاموال التي غنمها المسلمون[٦٧٣] ، فشد ذلك من عزمهم ونشاطهم واحسوا وايقنوا بقرب النصر والظفر[٦٧٤] ، بالرغم من تقدم المسلمين في هذا اليوم بعض الشيء الا ان المعركة كانت ضارية ويتضح هذا من خلال الشعر الذي اطلقه ابو محجن وهو في محبسه لدى سعد[٦٧٥] ، فانشد يقول:

كفى حزناً ان تردي الخيل بالقنا   واترك مشـدوداً علي وثاقيـا[٦٧٦].

---

(668) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢، ص٣١٢.
(669) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٥٤٢.
(670) المصدر نفسه ، ج٣، ص٥٥٢.
(671) ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٣٢٢.
(672) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٥٤٥؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٣٢٣.
(673) ابن اعثم ، الفتوح ، ج١، ص١٦٠.
(674) سعيد ، تاريخ الاسلام السياسي ، ص٣١١.
(675) ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٣٢٤.
(676) الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٩، ص٨؛ القاضي ، شعر الفتوح ، ص١٣٣.

ظل القتال دائراً حتى حال الليل بين الفريقين وتوقف القتال الا ان اراجيز الشعراء كانت تغذي المعركة بلهيب لا ينفذ فهذا اخو احد قتلى يوم اغواث يصف حلاة تقدم المسلمين في هذا اليوم ومرارة قتل اخيه بعد ان قتل احد امراء الفرس فيقول:

لم ار يومـاً كان احلى وامر   من يوم اغواث اذا افتر الثـغر[٦٧٧].

فكان للشعر وقع في القادسية من خلال اثارة روح الحماس لدى المقاتلين المسلمين لذلك استبسلوا وكان قتالهم رائعاً في ذلك اليوم.

وقد سمي هذا اليوم اغواث لان الغوث جاء للمسلمين من قبل الشام[٦٧٨] ، كما ان لهذا اليوم تسميات اخرى منها السواد لكثرة قتالهم بسواد الليل[٦٧٩].

اما ثالث ايام القادسية فكان عماس ومثلما كان صبح يوم اغواث كذلك يوم عماس فقد باشر العرب والفرس عند الصباح بمواراة قتلاهم ، اما الجرحى فقد كانوا من نصيب النساء اللواتي اخذن على عاتقهن معالجة الجرحى في القادسية[٦٨٠].

اراد المسلمون حسم الموقف لصالحهم فقد اوعز القعقاع الى جيشه في الشام للالتحاق بالعراق واوصاهم بالمسير على شكل سرايا[٦٨١] ، ويبدو ان هذه الطريقة من الامدادات كان لها اثر سيء على حالة الفرس حيث عدت حرباً نفسية بالنسبة لهم وفي المقابل فانها ترفع معنويات المقاتلين المسلمين.

اما يزدجرد فأنه ما ان وصلت اليه اخبار الايام السابقة حتى ارسل اهل النجدات من المدائن الى جيش رستم وكان مدداً عظيماً ، واجهه المسلمون بفرسانهم وكان من هؤلاء الفرسان القعقاع وهاشم ابن اخ سعد ولولاهم لهُزم المسلمون[٦٨٢] ، حيث قاتلا قتالاً لم يعهداهُ من قبل.

شعر الفرس بأن هذه المعركة هي الفاصلة وادركوا ان الخسارة فيها تعني انهاء ملكهم وسيطرتهم على ما هم عليه ، ومن ثم انذاراً لهم بفنائهم لذلك كان قتالهم شرساً

---

(677) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢، ص٣١٤.
(678) سعيد ، تاريخ الاسلام السياسي ، ص٣١١
(679) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٥٤٧.
(680) المصدر نفسه ، ج٣، ص٥٥١.
(681) عبدالحميد ، معارك العرب الحاسمة ، ص١٠٩.
(682) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٥٥٢.

جداً[٦٨٣] ، فاعادوا الفيلة مرة اخرى بعدما اصلحوا صناديقها وتجهيزاتها فلما نظرت اليها الكتائب العربية كادت ان تفترق[٦٨٤] ، فبادر سعد للاستفادة من الاسرى الذين وقعوا بين يديه في الايام السابقة عن الوسيلة التي يمكن للمسلمين التخلص بها من الفيلة فاشاروا عليه بفقع اعينها وقطع مشافرها فاوصى سعد القعقاع بذلك وتم للعرب المسلمين ما ارادوا فكانت الفيلة ما ان ترمى حتى تهيج وترمي كل ما تحمل من على ظهرها[٦٨٥].

احس الفرس بحراجة موقفهم فاراد رستم ان يعبر العتيق لينقذ الموقف حتى يجعله حاجزاً بينه وبين المسلمين[٦٨٦] ، فخشي سعد ان يستغل الفرس ظلام الليل ويلتفوا حول جيشه من الجنوب مستخدمين مخاضة نهر العتيق في ذلك الاتجاه فارسل سرية من الجيش رغم ضراوة الموقف لحمايتها ولمنع الفرس من مباغتة الجيش العربي الا ان الطرفين ظنا ان عملية مباغتة حصلت لهم وعلى هذا الاثر التحم الجيشان بمعركة ضارية وظلوا يقاتلون حتى الصباح وقد اعياهم التعب والاجهاد لطول ساعات القتال[٦٨٧] ، وكان همّ الطرفين القتال وكانوا يقاتلون بدون كلام لهول المعركة وضراوتها فسميت هذه الليلة بالهرير لتركهم الكلام حيث كانوا يهرون هريراً[٦٨٨].

حمى وطيس المعركة على الطرفين وقام القعقاع في صباح يوم القادسية بتشجيع المقاتلين ووعدهم بالنصر بعد الصبر[٦٨٩] ، فقد رفع بذلك عزم المسلمين وشد ازرهم فهجموا هجمة واحدة على الفرس بامر من سعد حتى انتهت ميمنة رستم وميسرته وبقي القلب فتقدم القعقاع الى رستم بعد ان هبت ريح دبور اطارت مظلة رستم عن سريره وهدت بالعتيق فزحف اليه القعقاع فهرب الا ان هلال بن عُلّفه[٦٩٠] ، لحق به وحمل عليه فقتله ونادى "قتلت رستم ورب الكعبة" ، وقيل في مقتل رستم ان الذي قتله هو وقوع العدل عليه وان هلال هو الذي اوقع عليه العدل[٦٩١] ، ومهما تعددت الروايات فان قائد قوات

---

(683) سعيد ، تاريخ الاسلام السياسي ، ص٣١١.
(684) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢، ص٩٩.
(685) الطبري ، تاريخ ، ج٢، ص٥٥٥؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ج١، ص١٦١.
(686) الشمخي ، منطقة الكوفة ، ص٩٥.
(687) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٥٦١؛ عبدالحميد ، معارك العرب الحاسمة ، ص١١١.
(688) ابي الفدا ، المختصر في اخبار البشر ، ج٢، ص٦٩.
(689) ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٣٢٩.
(690) هلال بن عُلّفه: هو احد شهداء القادسية واول من عبر دجلة. ابن الاثير ، اسد الغابة ، ج٥، ص٤١٢.
(691) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٥٦٤.

الفرس قتل في القادسية وبمقتله وهنت قوة الفرس وخارت عزيمتهم وتحطمت معنوياتهم وهذا امر لابد منه فان مصير الجند في اغلب الاحيان ان لم نقل كلها مرتبط ارتباطاً مباشراً بقائدهم لذلك ترسم نتائج نهاية المعركة بشخص قائدها.

تولى قيادة جيش الفرس بعد مقتل رستم الجالينوس ، وهو ايضاً من كبار قادة الفرس ، حيث امر القلب بالانسحاب خلف نهر العتيق معقباً الميمنة والميسرة التي سبق لها الانسحاب الا ان سعداً امر القعقاع بتتبعهم فلحق زهرة بن الحوية(٦٩٢) الجالينوس فقتله واستولى ضرار بن الخطاب على راية كسرى (درفش كابيان)(٦٩٣) ، وبمقتل الجالينوس وسقوط راية كسرى استسلمت اعداد كبيرة من الجيش الفارسي للعرب المسلمين ، وكانت اعداد شهداء المسلمين في ايام القادسية حوالي٨٥٠٠ شهيد اما قتلى الفرس فزدادوا على الاربعين الف عدا الاسرى الذين لا يحصى لهم عدد(٦٩٤) ، كانت القادسية المعركة الفاصلة في الفتوح الشرقية ولم ير المسلمون ولا الفرس وقعة اشد منها هولاً فقد ابلى ابطال المسلمين فيها بلاءاً فخروا به وسجلوه على الدهر في شعرهم(٦٩٥) ، فهذا عمرو بن معد يكرب كان يصيح طرباً كانه غلام مفتون وهو يرى صفوف الفرس تميل تحت وقع ضرباته فانشد يقول(٦٩٦):

انا أبو ثورٍ وسيفي ذو النون   اضربْهُم ضرب غُلام مجنون

يالُ زبيدٍ إنَّهم يموتون

وكان لاستبسال العرب في القادسية عدة اسباب ويظهر ذلك من خلال اشعارهم فهذا الاشعث بن عبد الحجر بن سراقة يخاف ان يعير اذا لم يقاتل ببطولة فيقول:

وما عقرت بالسيلحين مطيتي   وبالقصر الا خيفة ان اعيرا

فبئس امرؤ يبأى على نرهطه   وقد ساد اشياخى معدا وحميرا(٦٩٧).

---

(692) زهرة بن الحوية: ابن عبدالله بن قتدادة بن مرثد بن معاوية بن تميم. ابن الاثير ، اسد الغابة ، ج٢، ص٢٦٠.

(693) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٥٦٤.

(694) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢، ص١٠٠؛ عبدالحميد ، معارك العرب الحاسمة ، ص١١٢.

(695) القاضي ، شعر الفتوح الاسلامية ، ص١٣٤.

(696) الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٥، ص١٥٨.

(697) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٥٦.

استمرت انتصارات سعد وهو يتتبع الفرس بعد القادسية فاستولى على الحيرة واتخذها مقراً له(٦٩٨) ، قبل مسيره الى المدائن وبينما هو بالحيرة فقد توافد اهلها عليه معلنين له استمرار العهد المبرم بينهم وبين المسلمين من قبل(٦٩٩) ، لا بل اسلم هناك العديد من الدهاقين(٧٠٠).

ويبدو ان الحيرة كانت مسرحاً للوقائع الحربية والفتوحات الاسلامية التي دارت رحاها في العراق فبالقرب منها دارت المعركة الاكثر ضرارة في تاريخ المسلمين وكان الفتح الثاني للحيرة هو غاية الفتح لان السيطرة على الحيرة تعني السيطرة على منطقة السواد بالكامل وهذا بلا شك يعني انهاء الوجود الفارسي في العراق تماماً وهو هدف القيادة في المدينة من خلال التاكيد على القادة من ان يجعلوا الحيرة نصب اعينهم في اثناء فتوحهم.

وما ان تحقق الغرض الاول حتى كتب الخليفة الى سعد يامره بالمسير الى المدائن مقر الحكم الفارسي في العراق(٧٠١) ، فاتجه المسلمون نحوها حتى وصلوا الى البرس(٧٠٢) وهناك قابلهم فيها بعض عساكر الفرس فقاتلهم المسلمون وهزموهم الى بابل(٧٠٣) ، التي اقام سعد معسكره على خرائبها القديمة حيث شرع العرب في الاغارة على المنطقة الواقعة بين النهرين(٧٠٤).

استمر سعد في مسيره الى المدائن فلم يلاقِ صعوبات غير التي ذكرت من قبل دهاقين السواد ، اما عامة اهل السواد بما فيهم الفرس فانهم لم يقفوا بوجه الفاتحين لا بل يمكن القول بانهم رحبوا بهم وكان لهذا الترحيب ما يبرره فهناك اسباب قومية ودينية واقتصادية جاءت مجتمعة جعلت هذه الطبقة من المجتمع ترحب بالفاتحين الجدد.

فعرب العراق وجدوا في الفاتحين قرابة تربط بعضهم ببعض على عكس تبعيتهم للفرس حيث كانوا بالنسبة لهم اجانب ممقوتين(٧٠٥) ، كما انهم أي اهل العراق عانوا ما

---

(698) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٦١؛ فيصل ، حركة الفتح ، ص٩٤؛ سيديو ، تاريخ العرب العام ، ص١٦٠.
(699) ابن خياط ، تاريخ ، ج١، ص١٠٣.
(700) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٦١.
(701) ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٣٥٣.
(702) البرس: موضع لارض بابل مفرط العلو. الحموي ، معجم البلدان ، ج٢، ص٣٠٤.
(703) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٦٢٠؛ الخضري ، اتمام الوفاء ، ص٨٧.
(704) غلوب ، الفتوحات العربية الكبرى ، ص٣٥٠.
(705) حتي واخرون ، تاريخ العرب مطول ، ج١، ص٢١٠.

عانوا من سوء الاوضاع الاقتصادية ولما كان اهل السواد يعتمدون على الزراعة بصورة رئيسة فلم يجدوا أي اهتمام من قبل الفرس بهذا الجانب بل على العكس فقد اهمل الفرس السدود والبثوق فكثرت الفيضانات وخربت الاراضي(٧٠٦) بالاضافة الى كثرة الضرائب التي فرضت عليهم وكانت هذه الضرائب مجحفة بحق العرب والنبط وفقراء الفرس حيث عمد الفرس الى فرض الضرائب على هؤلاء واعفاء العظماء واهل البيوتات والجند والكتاب والمرازبه ومن هو في خدمة الملك عن هذه الضرائب(٧٠٧).

لذلك فقد وجد العرب ضآلتهم بالفاتحين للتخلص من الفرس والدهاقين(٧٠٨) ، وما ان رؤوا اعظم الفارق بين العرب المسلمين وحكامهم السابقين حتى اعلنوا ولاءهم للفاتحين الجدد حيث شعروا بتطبيق المساواة اضافة الى انهم قد اطمأنوا لحكمهم(٧٠٩) ، وان لم يكن في بادئ الامر حكماً بالمعنى الحالي للحكم فكان لهذه الظروف نتائج هي عدم عرقلة سير الفاتحين الى المدائن ، التي لم يبقَ فيها احد من اوليائها لان حاميتها وملك الفرس يزدجرد فروا منها فدخلها سعد سنة١٦هـ/٦٣٧م(٧١٠) ، ورأى الفرس انهم لا قبل لهم بالمدافعة فترك يزدجرد المدينة وهرب الى حلوان اما فلول الفرس المنهزمة فقد وصلوا الى جلولاء(٧١١).

استعد الفرس لهذه المعركة أي استعداد فحفروا الخندق وكان قائدهم هذه المرة مهران الرازي(٧١٢) ، اما العرب فكانوا بقيادة القعقاع وكانت هذه المعركة قاسية جداً على العرب لان الظروف الجغرافية كانت مغايرة لرغبة العرب المسلمين اضافة الى انهم قد ابتعدوا كثيراً عن نقطة تمركزهم في الحيرة كما ان الفرس انسحبوا الى الجبال الوعرة التي لم يألف العرب القتال فيها وتحصنوا هناك(٧١٣) ، فكان الفرس يرون انهم اذا ما انهزموا في هذه المعركة لن يجتمع امرهم بعدها(٧١٤).

---

(706) حسين ، الفتح الاسلامي ، ص٧.
(707) الاعظمي ، تاريخ الدول الفارسية في العراق ، ص٥١ ؛ الخربوطلي ، تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي ، ص٤٠٢.
(708) حسين ، الفتح الاسلامي ، ص٨.
(709) الراوي ، ثابت اسماعيل ،العراق في العصر الاموي ، ط٢، مطبعة النعمان ، النجف ، ١٩٧٠ ، ص١١٤.
(710) الطبري ، تاريخ ، ج٤، ص ١٦؛ الخضري ، اتمام الوفاء ، ص٩٠.
(711) ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٣٦٤.
(712) الخضري ، اتمام الوفاء ، ص٩٢؛ فيليب حتي واخرون ، تاريخ العرب المطول ، ج٣، ص٢١٢.
(713) حسونة ، اثر العوامل الجغرافية ، ٢٦.
(714) الطبري ، تاريخ ، ج٤، ص٢٤؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٣٦٤.

استمر الفرس بإيصال الامدادات من داخل ايران فوجد المسلمون ان كسب المعركة يستدعي الشروع بالهجوم عليهم من قبل ان تكتمل الامدادات فاقتتلوا قتالاً شديداً فحملة المسلمون عليهم حملة واحدة[٧١٥] ، وحاصروهم حتى انهم اصبحوا لا يجدون طعاماً الا كلابهم وسنانيرهم[٧١٦] ، فانهزموا من هناك واستقروا في نهاوند[٧١٧].

وهكذا تم الفتح الثاني للحيرة وقد تكلل بالظفر والنصر وتمت خطة الخلافة بنجاح حيث تمت السيطرة على المنطقة ومن بعدها التوجه الى مقرات الفرس الرئيسة وانهاء الحكم الفارسي من العراق.

اذن ادت الحيرة دوراً كبيراً وبارزاً في احداث بدايات القرن الاول الهجري سواءاً قبل دخول الاسلام والمسلمين اليها او بعد ذلك ، اذ مهدت الفكرة لفتح العراق بالكامل.

تمصير الكوفة

ترتب على المسلمين بعد ان تحقق لهم النصر واستطاعوا انهاء الوجود الفارسي في العراق بعد القادسية ، اتخاذ مقر او معسكر للجيش الاسلامي وان يكون هذا الجيش مستعداً لمواجهة الاخطار ومتواصلاً بمهمته التي خرج من الحجاز بهدف تحقيقها ، فلا بد من ان يكون هناك مصر خاص لهم يتلاءم مع طبيعة الجندي العربي لذلك نجد الخليفة عمر قد امر سعداً ان يتخذ للمسلمين "دار هجرة وقيرواناً"[٧١٨] فاتخذ سعد في بداية الامر المدائن معسكراً له الا ان العرب المسلمين وعلى ما يصفهم الطبري "قد اترفت بطونها وخفت اعضادها وتغيرت الوانها نتيجة وخومة المدائن"[٧١٩] ، اضافة الى غياب مراعي الخيل وهذا امر في غاية الاهمية لان الابل هي واسطتهم الوحيدة ويظهر ذلك من خلال ما كتبه الخليفة لسعد "ان العرب بمنزلة الابل لا يصلحها الا ما يصلح الابل فارتد لهم موضعاً عدناً ولا تجعل بيني وبينهم بحراً"[٧٢٠] ، ثم ان الخليفة قد وصفت اليه الكوفة فبلغه عنها بانها ارض خصبة وقيل له ان "الضب والحوت يجمع في سفود"[٧٢١] فعرف الخليفة ان الموقع هذا يجمع بين البيئتين البرية والبحرية فأعجبه ، لذلك نرى الخليفة هنا ايضاً يراعي

([715]) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٦٠؛ الخضري ، اتمام الوفاء ، ص٩٣.
([716]) ابو يوسف ، الخراج ، ص٣٠.
([717]) نهاوند: مدينة عظيمة في قبلة همذان بينهما ثلاثة ايام وهي اعتق مدينة في الجبل. الحموي ، معجم البلدان ، ج٨، ص٤٠٩.
([718]) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٧٠.
([719]) تاريخ ، ج٤، ص٤٠.
([720]) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٧١؛ الطبري ، تاريخ ، ج٤، ص٤١.
([721]) ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص١٧٢.

الفاصل الجغرافي لتداخله مع بقية العوامل التي لها تماس مباشر مع الجند وبخاصة فيما يتعلق بنشاطهم وحيويتهم وقوتهم وكذلك رأى ان العرب لا تصلح لهم بيئة الا بيئة جغرافية تشبه البيئة التي خرجوا منها كما حرص الخليفة على اختيار الموقع بعدم وجود الموانع الطبيعية بين جيش المسلمين وبين القيادة العليا في المدينة[٧٢٢] ، وان الغرض من هذا كله هو تسهيل وصول الامدادات.

اما تأكيد الخليفة على عدم وجود فاصل نهري يفصله عن جنده يرجع الى عدم وجود الاسطول البحري لدى المسلمين على عكس اعدائهم من الفرس والروم لذلك كان الخليفة يتخير المناطق الصحراوية لقتال العرب المسلمين لان الاسطول البحري الاسلامي تم بناؤه في زمن الخليفة الثالث عثمان بن عفان نتيجة لفتحهم في عهده العديد من المناطق الساحلية مثل الاسكندرية ومناطق من المغرب العربي[٧٢٣]. كل هذا جعل سعداً يتخذ من الكوفة مقراً له ولجنده وكان ذلك سنة ١٧هـ ٦٣٨م[٧٢٤] ، والكوفة منزلاً بين الحيرة والفرات[٧٢٥] ، وهي لفظ عربي جاء من التكوف أي التجمع والكوفة بالضم معناها الرمال المجتمعة[٧٢٦] ، لان كل رمل يخالطه الحصى فهو كوفة[٧٢٧] ، وقد تكون تسميتها جاءت من اجتماع الناس فيها ومهما يكن فان المسلمين اتخذوا منها دار هجرة ومستقراً لهم ولجندهم كونها مدينة ازلية صحيح هوائها عذب مائها[٧٢٨] ، كثيرة الخيرات حسنة البناء[٧٢٩].

وبالرغم من توافر هذه الشروط في الحيرة الا ان العرب المسلمين لم يتخذوها قاعدة لهم مراعاةً لشروط الصلح التي ينص احدها على ابقاء بيعهم وصلواتهم واقامة طقوسهم وشعائرهم بالكامل وهذا ما لا يلائم العرب المسلمين ، فضلاً عن ان اهل الحيرة حاولوا جاهدين صرف العرب المسلمين من بلدتهم عندما اراد المسلمون اقامة معسكرهم

---

(722) الموسوي ، مصطفى عباس ، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٢، ص٨٤.
(723) الطبري ، تاريخ ، ج٤، ص٢٥٠.
(724) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢، ص١٠٣؛ الطبري ، تاريخ ، ج٤، ص٤٠.
(725) ابن الاثير ، الكامل ، ج٢، ص٣٧٣.
(726) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٩، ص٣١١.
(727) المقدسي ، ابو عبدالله محمد بن احمد ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ط٢، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٠٦، ص١١٦.
(728) ابن حوقل ، ابي القاسم النصيبي ، صورة الارض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت ، ص٢١٥.
(729) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص١١٦.

فيها[٧٣٠] ، فوصف عبد المسيح بن بقيلة ارض الكوفة لسعد بانها "ارض ارتفعت عن البقة وتطأطأت عن السبخة وتوسطت الريف وظعنت في انف البرية فقال له سعد هات ، فقال هي ارض بين الحيرة والفرات"[٧٣١] ، وكان يريد بها الكوفة.

كما ان هناك ميزات اخرى دفعت المسلمين باتخاذها دون الحيرة فالكوفة تقع امام الحيرة حيث يوجد لسان من الرمل الذي يقترب عمودياً الى الفرات لذا انها متقدمة نحو النهر اكثر من الحيرة وكانت تسيطر على الجسر الذي يربط الطريق التجاري الكبير بين اعالي آسيا وأقصى اليمن[٧٣٢]. كما انها تقع على سيف الريف المزروع من جهة وعلى سيف البادية من جهة اخرى وبهذا فهي تتوخى بموقعها جانب الحذر ولم تتوغل في الاراضي الزراعية الا بعد حين[٧٣٣].

ومثلما كانت الحيرة تمثل حامية للفرس في المنطقة اصبحت قبالها الكوفة بالنسبة للمسلمين والتي ادت دوراً كبيراً في الفتوحات القادمة حيث شارك جند الكوفة بعد تمصيرها بقليل بفتح الجزيرة الفراتية واخضاعها للمسلمين وفي السنة نفسها اي١٧هـ/٦٣٨م فتحت تستر[٧٣٤] بمشاركة جند الكوفة ايضاً[٧٣٥].

لذلك استحقت الكوفة وصف الامام علي (ع) بأنها "كنز الايمان وجمجمة الاسلام وسيف الله ورمحه"[٧٣٦] ، كما ان الخليفة عمر كان عندما يريد ان يكتب لوالي الكوفة يقول "الى سيد الامصار وجمجمة العرب"[٧٣٧].

استحسن الخليفة عمر موقع الكوفة وكانت له اسبابه في ذلك فهو يهدف الى اسكان الجند بمكان منفرد بعيد عن المدن والاختلاط بأهلها لان حياة المدن حافلة بالترف والرفاهية والتي تصطبغ بصبغة غريبة عن الحياة الاسلامية[٧٣٨] ، كما ان السكنى في

([730]) ابن خياط ، تاريخ ، ج١، ص١٠٩.
([731]) ابو يوسف ، الخراج ، ص٣٠.
([732]) ماسنيون ، لويس ، خطط الكوفة وشرح خريطتها ، ترجمة: تقي محمد المصعبي ، تح: كامل سلمان الجبوري ، مطبعة الغري ، النجف ، ١٩٧٩، ص٢٩.
([733]) مصطفى ، شاكر ، المدن في الاسلام حتى العصر العثماني ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٨٨، ج١، ص٣٢٠.
([734]) تستر: اعظم مدينة في خوزستان. الحموي ، معجم البلدان ، ج٢، ص٤٤٣.
([735]) الطبري ، تاريخ ، ج٤، ص٨٤.
([736]) ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص١٥٤.
([737]) المصدر نفسه ، ص١٥٥.
([738]) الخربوطلي ، تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي ، ص٢٣٢.

المدن وبحسب رؤية الخليفة تؤدي الى اختلاط النسب مع العجم لان هؤلاء لا يهتمون بالانساب وهذا من اختصاص العرب[٧٣٩].

كان الجيش الاسلامي يقارب الاربعين الفاً لذلك لابد من ان يستقر بمساكن وهذا يعني شراء الاراضي لغرض السكنى وبالتالي الانصهار مع السكان الاصليين وهذا ما يخشاه الخليفة لذلك قرر تمصير الكوفة حتى تظل الجيوش العربية الاسلامية متمركزة في هذه القواعد ولا يشغلها شاغل عن الحرب[٧٤٠].

لقد اثرت الكوفة بتمصيرها تأثيراً بالغاً على المنطقة عامةً والحيرة على وجه الخصوص ، وكما يصف الحال ابن خلدون "ان احوال المصر اذا ضعف او اخذ منه الهرم ماخذاً فسوف يقل عمرانه وساكنه ويصبح اقتصارهم على الضروري من احوالهم لتناقص الترف وبذلك يفر اهل المصر منه الى غيره"[٧٤١] ، وهذا ما حدث للحيرة بعد تمصير الكوفة.

يبدو ان هذا الامر طبيعي وانه لا يعني انهاء دور الحيرة مقابل الكوفة بل بقيت الحيرة تغذي الكوفة وبالعكس من جوانب متعددة وهذا ما سيتضح في الفصل الرابع.

الفصل الرابع

(739) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ص٩٠.
(740) جلوب ، امبراطورية العرب ، ص٤٩.
(741) العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ص٢٥٧.

الأثر السياسي للحيرة في الكوفة

- اثر الحيرة على الكوفة سياسياً.
- الحيرة والحركات المناوئة للسلطة في الكوفة.
- الخوارج في الحيرة.
- الصراع القبلي واثره في الحيرة.
- الحيرة والخلافة العباسية.

اثر الحيرة على الكوفة سياسياً

استقر العرب المسلمين في الكوفة بعد تمصيرها. ولم يتخذوا الحيرة مصراً لهم بالرغم من توفر شروط المدينة فيها ألا أن المسلمين الزمهم الصلح مع أهل الحيرة من خلال أبقاء الكنائس والبيع على حالها واستمرار أقامة طقوسهم بكل حرية[٧٤٢] ، وهذا ما لا يتلائم مع شروط أقامة المدن في الإسلام.

فبعد ان استقر المسلمون في الكوفة بدأ نجم الحيرة بالأفول ، ولم يعد الاهتمام بها مثلما كان ألا أن هذا لا يعني أن إهمالها كان متعمداً ، فقد ينطبق عليها وصف ابن خلدون

(742) المودودي ، حقوق أهل الذمة ، ص٢٠.

اذ يقول: "أن أحوال المصر إذا ضعفت أو اخذت منه الهرم مأخذاً فسوف يقل عمرانه وساكنه على عكس المصر الجديد الذي يحتاج إلى الصنائع فيكثر طلبهم ويصبح اقتصارهم على الضروري من أحوالهم لتناقص الترف وبذلك لا يصح له بها العيش فيفر إلى أهلها"[٧٤٣].

لقد حصل ما وصفه ابن خلدون للحيرة لكن بعد حين ، اذ ان الحيرة كانت ذات موروث حضاري عريق ، كما أنها مثلت دولة حملت كل مقومات المدنية لذلك لم تكتس ثوب الخراب كما وصفها بعض الدارسين بتمصير الكوفة مباشرة بل ظلت تؤثر على الكوفة بل تعدى تأثيرها حتى وصل بغداد فيما بعد.

يمكن اعتبار الخراب الذي يصفه بعض الدارسين بأنه خراب سياسي وأنها كانت تمثل أمارة عربية تابعة لسلطة الفرس ، لان عمران الحيرة ظل قائماً قروناً بعد تمصير الكوفة ومما يؤكد ذلك الرواية التي تذكر أن الوليد بن عقبة والي عثمان على الكوفة (٢٥-٣٠هـ)/(٦٤٥-٦٥٠م) اقطع أقطاعاً إلى أبي زيد الطائي وكان ما بين القصور الحمر من الشام إلى القصور الحمر من الحيرة[٧٤٤] ، وهذا ما يدل على أن العمران مستمر بها لان هذه القصور لم يرد ذكرها ألا في العصر الإسلامي فقط[٧٤٥] ، كما أن عدداً من الولاة قد بنوا وأضافوا وأصلحوا قصورها في عهد ولايتهم[٧٤٦].

ويذكر كذلك أن الواثق العباسي (٢٢٧ -٢٣٢هـ)/(٨٤١ -٨٤٦م) قد نزل بها عندما كان يريد الديار المقدسة وكان بصحبة أمه التي توفيت في الحيرة ودفنت في الكوفة وكان ذلك في أول سنة من خلافته[٧٤٧]، ومر بها ثانية وأعجب بما فيها من الأديرة وحسن البناء ومر بدير مريم وابى ألا أن ينزل بها ليلة حتى ينصرف[٧٤٨].

وذكر المسعودي أن الحيرة ظلت تقاوم وتصارع الزمن حتى عهد الخليفة المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ)/(٨٩٢-٩٠١م)[٧٤٩] ، ألا أن خرابها لم يكن بالصورة التي رسمها الشريف

([743]) العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ص٢٥٧.
([744]) الاصفهاني ، الأغاني ، ج٥ ،ص٩٨.
([745]) الخليلي ، جعفر ، موسوعة العتبات المقدسة ، دار التعارف ، بغداد ،١٩٦٥ ، ج١ ، ص٦٠.
([746]) ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص١٦٦ ؛ الحموي ، معجم البلـدان ، ج٣ ، ص٢٥٨ ؛ غنيمة ، الحيرة ، ص٢٣.
([747]) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٣٩٣ ؛ الطبري ، تاريخ ، ج٩ ، ص١٢٣.
([748]) الاصفهاني ، الأغاني ، ج٥ ، ص٣٠٩.
([749]) مروج الذهب ، ج٢ ، ص٨١.

الرضي عندما دخلها سنة٣٩٢هـ/١٠٠١م فطاف بها ونظر عظيم آثارها فوصف حال بنائها وان الضباء ترتع في عراصها فانشد يقول(٧٥٠):

ما زالت اطرق المنازل بالنوى حتى نزلت منازل النعمـان
بالحيرة البيضاء حيث تقابلـت شمم العباد عريضة الاعطان
شهدت بفضل الرافعين قبابهـا وتبين بالبنيان فضل البانـي
ما ينفع الماضين أن بقيت لهم خطط معمرة بعمر فـــان.

يبدو أن خراباً كبيراً قد حل بها من خلال وصف الشريف لها حيث بدت خرائب لا تستهوي احدا أن يقيم بها ، فلو لم تكن ذات موروث حضاري ضخم لما أخذت حيزاً في العديد من الجوانب بل تعدى ذلك حتى باتت تصدر العديد من العلماء والأدباء والشعراء في العهدين الأموي والعباسي(٧٥١).

ألا أن الخراب الفعلي قد حلّ بها عندما حلت مدينة النجف محل الكوفة في نهايات القرن الثالث ومطلع القرن الرابع الهجريين حيث شهدت الكوفة في فترة غياب السلطة المركزية للخلافة العباسية عمليات سلب ونهب وقتل أدى إلى انتقال السكان إلى النجف كونها محاطة بسور يحميهم من الأعداء(٧٥٢). وعلى الرغم من انتقال السيادة السياسية من الحيرة ألا أنها اثرت في مجريات الأحداث السياسية للكوفة بحكم موقعها الجغرافي وتنوع سكانها وقربها من الكوفة كما أثرت فيها اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً.

كان للحيرة دور في غاية الأهمية في مطلع القرن الأول الهجري ، فقد كانت بمنزلة القطب من الرحى في عملية تحرير العراق منها انطلقت فكرة الفتح ومنها تم إنهاء الوجود الفارسي في العراق.

أن دور الحيرة لم ينتهِ بانتهاء فتحها وتحرير العراق بل ظلت على تماس مباشر مع الأحداث ولاسيما السياسية منها ولما كان العامل الاقتصادي مقترناً بالجانب السياسي لذا كان للحيرة حظٌ وافرٌ في هذا المجال(٧٥٣).

---

(750) الرضي ، محمد بن الحسين الشريف ، ديوان الشريف الرضي ، المطبعة الأدبية ، بيروت ، ١٣٠٧هـ ، ج٢ ، ص٨٨٥.

(751) الأعظمي ، تاريخ ملوك الحيرة ، ص١٤١.

(752) فخر الدين ، محمد جواد ، تاريخ النجف حتى نهاية العصر العباسي ، معهد العلمين ، النجف ، ٢٠٠٥، ص٣٠١.

(753) خليف ، يوسف ، حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني الهجري ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ،١٩٦٨، ١١٣.

اذ شهدت الحيرة عسكرة العديد من الجيوش بدءاً بعهد الخليفة عمر بن الخطاب اذ عسكر بها سلمة بن قيس الاشجعي سنة٢٣هـ/٦٤٣م[٧٥٤].

كما كان للحيرة ذكر في خلافة عثمان بن عفان الذي اقطع الأشعث بن قيس الكندي طيزناباذ[٧٥٥] ، وهي تابعة للحيرة وبقيت لهم حتى بنى فيها محمد بن الأشعث قصراً له هناك وخرج أليه بعدما انفصل عن المختار الثقفي فأمر المختار بهدمه[٧٥٦].

أما في خلافة الأمام علي (ع) فقد اختلف الامر ، اذ اصبحت الكوفة عاصمة للخلافة الإسلامية بدلاً من المدينة وبطبيعة الحال ستكون الحيرة مأوى للمناوئين وأعداء الخلافة والخليفة على حدٍ سواء ، الأمر الذي جعلها تحظى بقسط وافر من هذا الصراع وبخاصة مع الأمويين في الشام فقد وجه معاوية ضرباته للخليفة ومركز الخلافة لجعل المنطقة في حالة عدم استقرار مستمر وصراع دائم فقد أرسل الضحاك بن قيس للإغارة على المنطقة فوصل الحيرة وأغار على الحجاج فسلب ونهب أموالهم وأمتعتهم[٧٥٧] ، كون الحيرة كانت على طريق الحج قبل الإسلام وبعده لعدة سنين[٧٥٨]. لذلك نرى أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب جعل داراً للضيافة في الحيرة لأنها في مفترق الطرق لمن يريد الخروج إلى الجزيرة العربية والدخول إلى العراق[٧٥٩].

ولم يكتفِ الضحاك بذلك فقد أغار على الحيرة ويتضح ذلك من خلال رسالة عقيل بن أبي طالب إلى أخيه علي (ع) التي يقول فيها "قدمت مكة وأهلها يتحدثون أن الضحاك بن قيس أغار على الحيرة ، فاحتمل من أموال أهلها ما شاء ، ثم انكفأ راجعاً ، فأفاً لحياة في دهرٍ جرّأ عليك الضحاك"[٧٦٠]. فرد الأمام عليه "أما ما ذكرت من غارة الضحاك بن قيس على الحيرة ، فهو أقل وأذل من أن يقرب الحيرة ، ولكنه جاء في خيل جريدة ، فلزم الظهر ، فسرحت أليه جيشاً كثيفاً من المسلمين فلما بلغه ذلك جاز هارباً"[٧٦١].

([754]) الطبري ، تاريخ ، ج٤ ، ص١٩٠.

([755]) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٧٨ ؛ الطبري ،تاريخ ، ج٤ ، ص٢٨٠ ؛ الحموي ، معجم البلدان ، ج٦ ، ص٢٧٦.

([756]) الطبري ، تاريخ ، ج٦ ، ص٩٤ ؛ العلي ، معالم العراق العمرانية ، ص١٨.

([757]) البلاذري ، انساب الأشراف ، ص٣٣٨.

([758]) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٣٧٧؛ دخيل ، حسن كاظم ، طريق الحج البري من الحيرة إلى مكة قبل الإسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٥، ص١٢٣.

([759]) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٧٣.

([760]) البلاذري ، انساب الأشراف ، ص٣٣٨؛ الاصفهاني ، الأغاني ، ج١٦، ص٢٠٦.

([761]) البلاذري ، انساب الأشراف ، ص٣٣٨؛ الاصفهاني ، الأغاني ، ج١٦، ص٢٠٧؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٣، ص٢٣٠.

يتضح – مما تقدم- أهمية الحيرة عند الأمام كونه ملزما بعهود مع أهلها لحمايتهم وحماية أموالهم استناداً الى الصلح ومن جانب آخر يبدو أن الضحاك قد هاجم الظهر والمقصود به هو ظهر الكوفة بين الحيرة والكوفة وهي الجرعة[٧٦٢] ، وكيفما كان الأمر فان الغاية من الهجوم من قبل معاوية إرباك المنطقة وأن الضحاك قد قَدِمَ بقوة حيث أرسل أليه الأمام علي(ع) جيشاً كثيفاً لمقابلته.

ونتيجة لكثرة الصراعات والفتن في فترة خلافة الأمام كان إذا ما أراد أن يختلي بنفسه بعيداً عن أجواء الكوفة فانه يقصد الحيرة فينزل الخورنق ويذكر هارون بن عنترة عن أبيه قال "دخلت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخورنق وعليه قطيفة وهو يرعد من البرد فقلت: يا أمير المؤمنين أن الله قد جعل لك ولأهل بيتك من هذا لمال نصيباً وأنت تفعل بنفسك هذا؟ فقال: أني والله لا ارزأكم شيئاً ماهي الا قطيفتي التي أخرجتها من المدينة"[٧٦٣].

كما قصدها الأمام عندما عسكر هناك لغرض أمداد محمد بن أبي بكر والي مصر من قبل الأمام ، عندما أرسل معاوية عمرو بن العاص مع جيش من الشام لضم مصر إلى الشام فقصد الأمام الحيرة واتخذ من الجرعة معسكراً له وطلب الالتحاق به هناك[٧٦٤] ، يبدو أن هدف الأمام من العسكرة هناك هو الاحتراز العسكري والسياسي اذ أراد تسريح الجيش كون المنطقة على حافة الصحراء أو انه قد يخشى من وصول خبر الإمداد إلى معاوية من خلال استخباراته في الكوفة ، لذلك كان لعزلة الحيرة وما هو تابع لها اثر مهم في أحداث الكوفة السياسية.

كان لنتيجة الصراع المستمر بين معاوية والإمام علي (ع) خروج فرقة الخوارج[٧٦٥] الذين قاتلهم الأمام في النهروان[٧٦٦] سنة٣٧هـ/٦٥٧م[٧٦٧] ، فقد كانت هذه

---

(762) الحموي ، معجم البلدان ، ج٣، ص٤٩؛ العلي ، معالم العراق العمرانية ، ص٢٣.
(763) ابن الأثير ، الكامل ، ج٣، ص٢٦٤؛ ماهر ، سعاد ، مشهد الإمام علي وما فيه من الهدايا والتحف ، دار المعارف ، مصر ، د.ت ، ص٩٤.
(764) الطبري ، تاريخ ، ج٥، ص١٠٧.
(765) الخوارج: فرقة ظهرت إلى الوجود بعد قضية التحكيم الذي جرى بين الإمام علي (ع) ومعاوية في صفين ، فبعودة الأمام من صفين خرجوا عليه بعد إن كانوا ضمن عسكره. لمزيد من التفاصيل ينظر: الشهرستاني ، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم ، الملل والنحل ، علق عليه الدكتور صلاح الدين الهّواري ، دار الهلال ، بيروت ، ١٩٨٨، ج١، ص١٢٩؛ مشكور ، محمد جواد ، موسوعة الفرق الإسلامية ، تقديم كاظم مدير ، مجمع البحوث الإسلامية ، بيروت ، ١٩٩٥، ص٢٣٨.
(766) النهروان: أكثر ما يجري على الالسنة بكسر النون ، وهي ثلاث نهروانات: الأعلى والأوسط

الفرقة مصدر قلق لا بسبب مقتل الأمام علي (ع) على أيديهم فحسب بل استمر خطرهم يهدد كيان الدولة الإسلامية على مر السنين.

الحيرة والحركات المناوئة للسلطة في الكوفة

شهد العصر الأموي العديد من الصراعات المناوئة للسلطة وكان سبب ذلك واضحاً وبخاصة بعد مقتل الحسين بن علي (ع) ، كما إن تعسف الحكومة الأموية مع الموالي جعلهم يتحولون إلى قوة كامنة لم تفصح عن طاقتها الا بقدوم المختار الثقفي إلى العراق عندما أراد الوثوب على السلطة الأموية معلناً شعاره الأخذ بثأر الحسين (ع)(٧٦٨). كما انضم الموالي أيضا لثورة عبد الرحمن بن محمد الأشعث ضد الحجاج وقد عدهم الأخير المسؤولين عن هذه الثورة(٧٦٩) ، ولعل هذا يفسر معاملته السيئة معهم ، اذ اعادهم الى اراضيهم فرض عليهم الضريبتين الجزية والخراج على الرغم من إسلام قسم منهم(٧٧٠).

قدم المختار إلى العراق وكانت محطته الأولى الحيرة وهذا أمر طبيعي لأنه كان يقصد الكوفة ، وحتى يستقرىء أوضاع المنطقة عن بعد بعض الشيء فانه نزل الحيرة سنة٦٦هـ/٦٨٦م واغتسل في نهرها وصلى هناك(٧٧١).

مكث المختار في الحيرة مدة طويلة نسبياً ، فقد رسم من هناك خطة للإطاحة بالوالي الأموي ابن مطيع تكون الحيرة احد جوانب هذه الخطة(٧٧٢) ، ونتيجة لبقائه هناك فقد التف حوله الموالي بعد إن اطلعوا على أفكاره وتأثروا به حيث تحولت هذه الطبقة إلى قوة فاعلة أثرت في الوضع السياسي العام حتى قيام الخلافة العباسية(٧٧٣).

ويمكن إن نعلل كثرة الموالي في الحيرة بالجانب الاقتصادي الذي اجبرهم على ترك أراضيهم نتيجة سوء أوضاعهم المعاشية واللجوء إليها كون أرضها لم تكن

والأسفل ، وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي. الحموي ، معجم البلدان ، ج٨، ص٤١٨.

(767) الطبري ، تاريخ ، ج٥، ص٧٢.

(768) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢، ص١٨٠.

(769) الطبري ، تاريخ ، ج٦، ص٣٤٧.

(770) الطريحي ، محمد سعيد ، التأثيرات النصرانية في المجتمع الكوفي ، مجلة آفاق عربية ، العدد السادس ، السنة التاسعة ، بغداد ، ١٩٨١، ص٥١.

(771) ابن اعثم ، الفتوح ، ج٦، ص٢٠٧.

(772) الخوارزمي ، أبي المؤيد الموفق بن احمد ، مقتل الحسين ، تح: الشيخ محمد السماوي ، مطبعة الزهراء ، النجف ، ١٣٦٧هـ ، ج٢، ص٢٣٩.

(773) بيضون ، إبراهيم ، الدولة الأموية والمعارضة ، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٥، ص٢٩.

خراجية[٧٧٤] ، أي إن الذمي فيها يدفع ضريبة واحدة على خلاف ارض السواد التي يدفع ضريبتين كونها خراجية ، لذلك لم يجد الموالي من أهل الذمة بداً من ترك ارض السواد والتوجه إلى الحيرة سواء من اسلم منهم فان الجزية تسقط عنه[٧٧٥] ، ام من لم يسلم فأنه يكون متمتعاً بالحرية الدينية لوجود الكنائس والبيع وحرية إقامة الطقوس والشعائر الخاصة بهم.

استطاع المختار إن يحاكي عقول هؤلاء الموالي من خلال إغرائهم بالمال ، أو من خلال بث أفكاره التي لاقت رواجاً عند البعض منهم ، حتى إن خداش المسيحي الذي كان يعمل الفخار في الحيرة كان احد المتأثرين بهذه الأفكار ولما أرسل إلى خراسان لبث الدعوة العباسية هناك اخذ يبث أفكاراً معادية للإسلام وانحرف عن سير الدعوة[٧٧٦].

كما عمد المختار إلى منح هؤلاء الموالي المال حتى انه خصص لهم نصيباً من الفيء وفي الواقع إن هذا الأمر لم يشهده هؤلاء من قبل أي أنهم قد تساووا مع أسيادهم[٧٧٧]. وبهذا يكون قد جمع جيشاً ضم عدداً كبيراً منهم يضاف إليه عدد من أشراف الكوفة حيث استطاع إن يدخلها رغم مقاومة الوالي الأموي له ، إلا إن خطة المختار كانت محكمة ضدهم فقد اشرنا إلى انه دخل الحيرة وعرف مسالكهافجعل معسكر محمد بن الأشعث فيها بحيث أطبق على الكوفة من جميع جهاتها ، فلما فر أهل الكوفة من الأمويين بدخول المختار واتجهوا نحو الحيرة قتلهم محمد بن الأشعث بناء على وصية المختار إليه بقوله "ومن هرب منهم إلى الحيرة فاقتلهم أنت يا محمد"[٧٧٨].

ومثلما كانت الحيرة عوناً للمختار في قدومه إلى الكوفة كانت عليه عندما اقبل مصعب بن الزبير لإنهاء حركته فقد التف حوله محمد بن الأشعث ونصارى بكر بن وائل بتأثير من ابن الأشعث الذي سكن الحيرة فترة وثوب المختار على الكوفة[٧٧٩] ، يبدو إن سياسة المختار تجاه الموالي هي السبب الرئيس لانسحاب ابن الأشعث من جيش المختار والانضمام إلى جيش مصعب بن الزبير ويظهر ذلك من خلال الرسالة التي وجهها إلى

([774]) ابن ادم ، الخراج ، ص٥٠.
([775]) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٨١.
([776]) الطبري ، تاريخ ، ج٧، ص١٠٩؛ بيضون ، الدولة الأموية والمعارضة ، ص١٤٤.
([777]) فلوتن ، فان ، السيادة العربية والشيعة والاسرائليات في عهد بني أمية ، ترجمة: حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٣٤، ص٤٠.
([778]) الخوارزمي ، مقتل الحسين ، ج٢، ص٢٣٩.
([779]) الطبري ، تاريخ ، ج٦، ص٩٤.

المهلب بن أبي صفرة يحثه فيها على المسير من فارس إلى العراق لقتال المختار بقوله "إن نساءنا وأبناءنا وحرمنا غلبنا عليهم عبدائُنا وموالينا"(٧٨٠) ونتيجة لهذا عمد المختار إلى هدم دار ابن الأشعث في الحيرة.

إما مصعب فبعد انتصاره على المختار عمد إلى قتل زوجته في الحيرة(٧٨١) ، ومن هذا يظهر إن مصعباً كان ينوي تأديب أهلها وإظهار جانب البطش والقسوة وبخاصة إن العرب لم تألف بعد قتل النساء.

وبهذا قال عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

إن من أعظم المصائب عندي ... قتل حوراء غادة عطبــول

قتلت باطلاً على غير ذنـب ... إن لله درهــا من قتيــل

كُتِبَ القتل والقتـال علينــا ... وعلى الغانيات جر الذيول(٧٨٢).

وفي سنة١٠١هـ/٧٢٠م اتخذ مسلمة بن عبد الملك الحيرة مقراً له عندما قدم من الشام لقتال يزيد بن المهلب عندما خلع الطاعة ليزيد بن عبد الملك(١٠١ـ١٠٥هـ)/(٧٢٠ـ٧٢٤م) واستولى على البصرة وبعث عماله إلى فارس والأهواز واستفحل أمره فلم يجد يزيد بن عبد الملك إلا إرسال مسلمة إليه ، وإمداده بالجيوش فيما بعد(٧٨٣).

بقي مسلمة في الحيرة مدة طويلة حتى أنهى تمرد ابن المهلب بقتله وجلب الأسرى إلى الحيرة ، وكذلك فقد جهز جيشاً انطلق به لإنهاء آل المهلب الذين فروا إلى كرمان(٧٨٤) وكانوا بقيادة المفضل بن المهلب ومعه عثمان بن اسحق بن محمد بن الأشعث حيث قتل وأرسل رأسه إلى مسلمة في الحيرة مع باقي القتلى والأسرى وسبوا النساء والأولاد حيث باعهم مسلمة هناك(٧٨٥).

إن حراجة موقف الأمويين من حركة يزيد بن المهلب جعلت مسلمة يتخذ من الحيرة مقراً له ، فالكوفة المناهضة دائماً للحكم الأموي والمؤيدة في معظم الأحيان لكل

---

(780) المصدر نفسه ، ج٦، ص٩٤.
(781) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤، ص٧٠.
(782) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤، ص١٨٥.
(783) ابن اعثم ، الفتوح ، ج٨، ص٢٢٣؛ النويري ، نهاية الارب ، ج٢١، ص٣٩٨.
(784) كرمان: ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات قرى ومدن واسعة بين فارس وسجستان وخراسان. الحموي ، معجم البلدان ، ج٧، ص١٣٢.
(785) الطبري ، تاريخ ، ج٦، ص٦٠٣؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٤، ص٣٣٩.

حركة أو ثورة ضدهم تجعل الولاة والقادة الأمويين يخشون الكوفة في حالة قدومهم لإخماد مثل هذه الحركات ، وهذا طبيعي لان وجوده في الكوفة سوف يجعل قتالهم بعدة اتجاهات ، لذلك خشي مسلمة من أهل الكوفة وبخاصة ان عدداً كثيراً من أهلها التفوا حول يزيد بن المهلب(٧٨٦) ، ولما أراد مسلمة تخفيف شدة التوتر بينه وبين أهل الكوفة عندما أمر بإيقاف قتل الأسرى إلا أنهم كانوا قد قُتِلو فكان ذلك سبباً في زيادة التوتر وبالتالي تحتم عليهم الابتعاد نوعاً ما عن الكوفة وكما سبق ذكره فان موقع الحيرة في طرف الصحراء جعلها تستقبل إمدادات الشام بسهولة وكذلك قرب الفرات منها ووجود الأسطول لدى الأمويين حيث أنتقل مسلمة من الشام إلى العراق عن طريق الفرات(٧٨٧) ، كل هذه العوامل أدت بالنتيجة إلى اتخاذ بعض الولاة والقادة الحيرة مقراً لهم.

إما يوسف بن عمر فانه هو أيضا اتخذ من الحيرة مقراً له في فترة ولايته (١٢٦هـ/٧٤٥م)(٧٨٨) ، يبدو إن السبب مشترك بينه وبين مسلمة حيث قدم يوسف لإنهاء ولاية خالد القسري الذي قرب أهل الذمة ، وكان ذلك سنة١٢٠هـ/٧٢٩م ، ويصور ابن الأثير حال العراق في ولاية خالد بقوله "لما ولي يوسف العراق كان الإسلام ذليلاً والحكم فيه لأهل الذمة"(٧٨٩) ، فربما يكون الغرض من اتخاذ يوسف الحيرة مقراً هو إصلاح مايمكن إصلاحه من أوضاع المنطقة والسيطرة عليها بصورة مباشرة كما انه حبس خالد وقتله في الحيرة(٧٩٠).

شهدت الحيرة في ولاية يوسف الثقفي اهتماماً إدارياً فقد عين فيها على شرطته العباس بن سعد إما البصرة والكوفة فقد جعل عمالها يولوّن عليها من شاءؤوا(٧٩١) ، كما جعل فيها بيت المال(٧٩٢) ، وهذا يدل على وجود الوالي فيها.

(786) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤، ص٣٣٩.
(787) المصدر نفسه ، ج٤، ص٣٣٩.
(788) البلاذري ، انساب الإشراف ، ص٢٥٩.
(789) الكامل ، ج٤، ص٤٣٩.
(790) الطبري ، تاريخ ، ج٧، ص١٤٥؛ وينفرد المسعودي بذكر مقتل وحبس خالد في الكوفة دون الحيرة. التنبيه والإشراف ، عني بتصحيحه: عبد الله إسماعيل الصاوي ، دار الصاوي ، القاهرة ، ١٩٣٨، ص٢٨٠؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٤، ص٤٣٨؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤، ص٢١٥؛ الحنبلي ، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن احمد ، شذرات الذهب في إخبار من ذهب ، تح: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨، ج١، ص٢٩٣.
(791) ابن خياط ، تاريخ ، ج٢، ص٣٨٦؛ ابن اعثم ، الفتوح ، ج٨، ص٢٨٣.
(792) الطبري ، تاريخ ، ج٣، ص٢٧٠.

وفي ولاية يوسف شهدت الكوفة ثورة زيد بن علي (ع) (ت١٢٢هـ/٧٤١م) الذي نزل الحيرة وتزوج فيها وولد له ولدهناك[٧٩٣]، وقد جاء إلى الحيرة بدعوى من خالد القسري ، ومهما يكن من أمر فان زيداً وصل الحيرة وانتقل متخفياً إلى الكوفة فدخلها بطلب من أهلها ، وقد عدهُ يوسف انه قد خرج إلى المدينة إلا إن هشام بن عبد الملك اخبره بان زيداً في الكوفة وينوي الثورة وأمره باستدعائه وألا قتله ، فكتب يوسف إلى عامله بالكوفة يطالبه بتسليم زيد إلا انه أنكر علمه به ، مما اضطر يوسف إلى استخدام أسلوب المكر والدهاء فاستدعى احد الأعاجم من الحيرة وكان ألكن فأغدق عليه المال وأوصاه بان يتظاهر بأنه قادم من خراسان ومحبّاً لأهل البيت وان هذا المال هو أليهم ليقوي ثورتهم ، فلم يزل يلتقي بالشيعة حتى توثقوا به وادخلوه على زيد ، فخرج إلى يوسف ودله عليه[٧٩٤].

كما استفاد يوسف من مكان أقامته في الحيرة حيث كان يرسل إتباعه إلى الكوفة في النهار ليكونوا عيوناً له فيعودون إليه في الحيرة مساءً محملين بإخبار ثورة زيد[٧٩٥].

جرت المعركة الفاصلة بين جيش يوسف وزيد بن علي قرب دار الرزق في الكوفة[٧٩٦] ، قتل فيها زيد وصلب وفر منه معظم أصحابه[٧٩٧] ، واحتز رأسه وأرسل إلى دار يوسف في الحيرة[٧٩٨]. وقتل يوسف امرأة زيد في الحيرة[٧٩٩] ، ثم دخل الكوفة وقصد المسجد الأعظم فصعد المنبر وشتم علي (ع) وولده شتماً قبيحاً[٨٠٠] ، وكان يقصد من وراء ذلك تأديب أهل الكوفة ومنعهم من المشاركة في أي ثورة أو حركة مناهضة للحكم الأموي. كما إن بعض أهل الكوفة ممن رفضوا المشاركة بثورة زيد قصدوا الحيرة ونزلوا فيها حتى انتهاء الثورة ومن ثم عادوا الى الكوفة[٨٠١].

---

(793) البلاذري ، انساب الإشراف ، ص٢٤٣.
(794) الطبري ، تاريخ ، ج٧، ص١٨٨.
(795) الطبري ، تاريخ ، ج٧، ص١٨٣.
(796) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤، ص٤٥٥.
(797) ابن سعد ، الطبقات ، ج٥، ص٢٥٠.
(798) البلاذري ، انساب الإشراف ، ص٢٦١.
(799) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣، ص٢٤٧.
(800) ابن اعثم ، الفتوح ، ج٨، ص٢٩٣.
(801) مؤلف مجهول ، إخبار الدولة العباسية وفيه إخبار العباس وولده ، تح: عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي ، دار الطليعة ، بغداد ، ١٩٧١، ص٢٣١.

وبقدر الأهمية السياسية بالنسبة ليوسف بن عمر من اتخاذه الحيرة مقراً له ، فانه اتخذها مقراً له أيضا بسبب كثرة شربه للخمر حيث يصفه البلاذري بأنه "أقضى دهره سكران"(٨٠٢).

ومن هذا وذاك فان الأمويين قد اجمعوا على إن الكوفة لم تغير ولاءها لعلي وولده لذلك وجدوا من الأسلم لهم اتخاذ الحيرة دون الكوفة مع إبقاء الكوفة تحت المراقبة الشديدة من قبل إتباعهم.

اما الخوارج فقد افردنا لهم جانباً خاصاً لكثرة حوادثهم التاريخية في المنطقة وقتذاك.

الخوارج في الحيرة

بعد أن قاتل الأمام علي (ع) الخوارج في النهروان عاد إلى الكوفة التي كانت تعج بهم أيضاً اذ بلغ عددهم حوالي ثلاثة آلاف معظمهم من الموالي والفرس(٨٠٣) ، وبطبيعة الحال فان هؤلاء لم يبقوا في الكوفة بعد عودة الأمام أليها بل تفرقوا هنا وهناك ، فكان للحيرة نصيب منهم(٨٠٤) ، وبعد مقتل الأمام علي على يد عبد الرحمن بن ملجم سنة٤٠هـ/٦٦٠م(٨٠٥) ، استمرت الخوارج بنشاطها السياسي ضد الحكم الأموي ، فكانوا يتحينون الفرص ويتخيرون المواقع للإطاحة بالولاة الأمويين ، ففي سنة٤٣هـ/٦٦٣م خرج المستورد بن عُلَّفة الخارجي والذي اتخذ من الحيرة مقراً له ولأتباعه الذين بدءوا يتوافدون عليه تباعاً بفرسانهم وكانوا يتجهزون هناك(٨٠٦) ، فبلغ بذلك المغيرة بن شعبة والي الكوفة من قبل الأمويين حتى قام في الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال "إما بعد فاني والله قد خشيت إن يكون ذلك أدب سوء لسفهاءكم فإما الحلماء الأتقياء فلا ، فكفوا أيها الناس سفهائكم من قبل ان يشمل البلاء عوامّكم وقد ذكر لي إن رجالاً منكم يريدون إن يظهروا في المصر بالشقاق والخلاف"(٨٠٧) ونتيجة قرب الحيرة من الكوفة فان إخبار استعداد المغيرة قد وصلت أليهم حتى خرجوا من الحيرة متفرقين(٨٠٨) ، إلا إن أهل الكوفة كانوا

---

(802) انساب الإشراف ، ص٢٥٧.
(803) البلاذري ، انساب الإشراف ، ص٣٨٧.
(804) ابن الأثير ، الكامل ، ج٣، ص٢٨٧.
(805) ابن سعد ، الطبقات ، ج٣، ص٢٣٠.
(806) الطبري ، تاريخ ، ج٥، ص١٨٢؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٣، ص٢٨٧.
(807) الطبري ، تاريخ ، ج٥، ص١٨٢.
(808) المصدر نفسه ، ج٥، ص١٨٤.

لهم بالمرصاد من خلال جواب معقل بن قيس للمغيرة عندما كان يحثهم على القتال "انك لا تبعث أليهم أحداً ممن ترى حولك إلا رأيته سامعاً مطيعاً ولهم مفارقاً ولهلاكهم محباً ، ولا أرى إن تبعث أليهم أحدا من الناس أعدى لهم مني"(٨٠٩) فقاتلهم معقل وقتل المستورد وأصيب هو في المعركة وقتل بعد ، وقد قُتِلَ جماعة المستورد كلهم إلا خمسة أو ستة منهم(٨١٠) ، أودعهم المغيرة السجن إلا أنهم خرجوا من محبسهم بعد وفاته سنة٥١هـ/٦٧١م(٨١١).

كما كانت لهم نشاطات في منطقة الجزيرة الفراتية فخرجوا هناك فتصدى لهم بنو عنزة حتى اوقفوا حركتهم وقتلوا معظمهم وبعثوا برؤوسهم إلى عبد الملك بن مروان الذي كافأهم بمنحهم أقطاعات في منطقة بانقيا التابعة لأرض الحيرة ، كان من بين قتلى الخوارج هناك فضالة بن سيار ، ولما ظهر شبيب الخارجي في الجزيرة الفراتية أيضا رفض اخو فضالة الانضمام إليه إلا بشرط الوصول إلى الحيرة للأخذ بثأر أخيه ، فتم له ما أراد ووصلوا إلى بني عنزة وجعل يقتل منهم جماعة تلو ألاخرى(٨١٢).

استمر شبيب الخارجي بنشاطه المعارض في الجزيرة الفراتية فخرج في ولاية الحجاج الثقفي يريد الكوفة سنة٧٦هـ/٦٩٥م فنزل قرب دير هند بالحيرة وبنى هناك مسجداً(٨١٣) ، ووصل إلى الحيرة وقطع قنطرتها(٨١٤) ، ونزل بعدها قصر ابن هبيرة فهال ذلك الحجاج ، فأرسل إليه قائده سويد بن عبد الرحمن السعدي.

ويبدو إن سويداً هذا أراد التفاوض معه إلا انه لم يجد به نفعاً وأسرع فنزل القادسية الأمر الذي دعا الحجاج الى تجهيز جيش بقيادة زحر بن قيس ومعه حوالي ألف وثمان مئة فارس ، التقيا بالسيلحين واقتتلا هناك فقتل زحر وانهزم إتباعه ، بيد إن الحجاج وجد نفسه مضطراً للخروج بنفسه نظراً لحراجة الموقف فقد هددت الخوارج الكوفة بجدية هذه المرة ، فخرج الحجاج وقاتل شبيب فقتل زوجته وآخاً لشبيب وهرب هو إلى الانبار(٨١٥) ، ويذكر النويري إن شبيباً دخل الكوفة وانشد فيها يصف الحجاج:

---

(809) الطبري ، تاريخ ، ج٥، ص١٨٤؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٣، ص٢٩٠.
(810) ابن الأثير ، الكامل ، ج٣، ص٢٩٥.
(811) الطبري ، تاريخ ، ج٥، ص٣٠٩.
(812) المصدر نفسه ، ج٦، ص٤٢٥.
(813) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤، ص١٧٣.
(814) الطبري ، تاريخ ، ج٦، ص٢٤٩.
(815) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤، ص١٧٥.

عبد دَعِيّ من ثمود أصله   لا بل يُقال أبو أبيهم يُقْدمُ[٨١٦].

وفي ولاية خالد القسري على العراق شهدت الحيرة اهتماماً بالغاً من لدنه ويمكن إن نرجع ذلك إلى نصرانية أمه ، حيث بنى لها كنيسة في ظهر قبلة المسجد الجامع بالكوفة ، فكان إذا أراد المؤذّن في المسجد إن يؤذن ضُرِبَ لها بالناقوس ، وإذا قام الخطيب على المنبر رفع النصارى أصواتهم بقراءتهم[٨١٧] ، وتقرب من النصارى والمجوس من سكنة الحيرة وولاهم المناصب الإدارية في الدولة ، الأمر الذي جعل بهلول الخارجي يخرج من منطقة الجزيرة الفراتية ويقصد الحيرة لغرض قتله ويظهر ذلك بوصفهم إياه بأنه "يهدم المساجد ويبني البيع والكنائس ويولي المجوس على المسلمين ويَنكحْ أهل الذمة المسلمات"[٨١٨] وكان خالد وقتذاك في واسط ، حيث عاد منها إلى الحيرة وكان عامل الأمويين في الهند قد طلب مدداً فوصل هذا المدد إلى الحيرة فطلب خالد من هذا الجيش مقاتلة هؤلاء الشراة بعد إن دخلوا الكوفة وقتلوا فيها من قتلوا ، فتقاتلوا وهزم جيش خالد على الرغم من الاستعداد الكبير الذي أعده لهم هذا الجيش لان خالداً أغراهم بعدم الخروج إلى الهند إذا ما انتصروا على بهلول وإتباعه ، ولما كانوا كارهين التوجه إلى الهند لذلك استبسلوا بقتالهم ، إلا أنهم هزموا أمام بهلول[٨١٩].

ويتضح – مما تقدم- أن بهلول وإتباعه كانوا يتمتعون بقوة لا يستهان بها فقد أصاب بهلول الغرور عندما وجد نفسه قد دخل الكوفة وبذلك رأى أن لا طائل من قتل خالد القسري قبل هشام فتوجه إلى الموصل يريد الشام لقتل هشام[٨٢٠].

أن هذه الأوضاع عدت مشجعة للخوارج أينما كانوا فقد ظهر وزير السختياني الخارجي ضد خالد في الحيرة التي يقيم بها آنذاك سنة١١٩هـ/٧٣٨م[٨٢١] ، فقتل وسلب واحرق عدداً من القرى ونهب بيت المال فيها فوجه إليه خالد جيشاً استطاع تفريقهم وسجن

---

(816) شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ، نهاية الإرب في فنون العرب ، تح: علي محمد البجاوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٦، ج٢١، ص١٧٢.
(817) الاصفهاني ، ألاغاني ، ج٢٢، ص١٥؛ الطريحي ، التأثيرات النصرانية ، ص٥١.
(818) الطبري ، تاريخ ، ج٧، ص١٣١؛ النويري ، نهاية الإرب ، ج٢١، ص٤٤٧؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٤، ص٤٣.
(819) الطبري ، تاريخ ، ج٧، ص١٣١؛ النويري ، نهاية الإرب ، ج٢١، ص٤٤٧.
(820) النويري ، نهاية الارب ، ج٢١، ص٤٤٨.
(821) ابن الأثير ، الكامل ، ج٤، ص٤٣١.

السختياني ومن ثم قتله[٨٢٢]. كما أن للصراع القبلي الذي كان قائماً بين الحيرة والكوفة في ولاية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز (١٢٦-١٢٧هـ)/(٧٤٥-٧٤٦م) حيث اتخذ من الحيرة مقراً له[٨٢٣] ، والذي سنأتي على ذكره أثراً في أضعاف المنطقة سياسياً فنشجع ذلك الخوارج بالجزيرة الفراتية على التوجه نحو الكوفة وكان ذلك سنة١٢٧هـ/٧٤٦م بزعامة الضحاك بن قيس الخارجي الأمر الذي دعا أطراف النزاع إلى نبذ خلافاتهم واتحادهم ووقوفهم صفاً واحداً بوجه الضحاك ، إلا أن هذا لم يجد نفعاً بعد لأن الحروب العصبية قد أخذت مأخذها بين الطرفين فقد استطاع الضحاك إن يهزمهم ويسيطر على الكوفة فلجأ عبد الله بن عمر إلى واسط بعد أن كان في الحيرة[٨٢٤].

ونتيجة لاضطراب الأوضاع في العراق قرر ابن عمر اللجوء إلى الخليفة مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ)/(٧٤٦-٧٥١م) بالشام وفي طريقه إليه مر بالمنطقة أي الكوفة والحيرة وفي السيلحين نشبت معركة بينه وبين احد قواد الضحاك التي قتل على إثرها ولما وصلت إليه أخبار لجوء كل من إسماعيل بن عبد الله القسري وسعيدالحرشي إلى مروان بن محمد قرر العودة إلى واسط حيث كان الضحاك مسيطراً على الكوفة والحيرة[٨٢٥].

أحس ابن عمر بانه لا جدوى من قتال الضحاك ومال إلى فكرة الدخول معه كونه يريد قتال مروان بن محمد[٨٢٦] ، إلا أن الأخير كان ينوي تثبيت حكمه بأي شكل كان ، حتى أرسل يزيد بن عمر ابن هبيرة (١٢٧-١٣٢هـ) / (٧٤٦-٧٥١م) والياً على العراق حيث قاتل الخوارج وممن اتفق معهم وهزمهم ، ودخل يزيد بن عمر الكوفة ، ثم اجتمعت الخوارج وكان ذلك آخر من اجتمع منهم في الحيرة في العصر الأموي حيث كان فلول الضحاك وبعض قادته فقاتلهم ابن هبيرة هناك وكان ذلك سنة١٢٧هـ/٧٤٦م[٨٢٧].

نلاحظ مما تقدم أن الخوارج تعددت هجماتهم على تلك المنطقة كما تعددت أهدافهم فتارة اتخذوا الحيرة مقراً لهم عندما كانوا يريدون الكوفة لقربها منها ووقوعها على حافة الصحراء التي تحميهم في حالة هروبهم ، ولعل قلة المسلمين في الحيرة كان عاملاً مشجعاً لهؤلاء الخوارج فتنوع الأديان والأجناس جعلهم مختلفي الولاء والانتماء ، وتارة كانوا

---

(822) الطبري ، تاريخ ، ج٧، ص١٣٧.
(823) المصدر نفسه ، ج٧، ص٢٨٤.
(824) المصدر نفسه ، ج٧، ص٣١٨- ٣٢١.
(825) المصدرنفسه ، ج٧، ص٣٢١.
(826) المصدر نفسه ، ج٧، ص٣٢٣.
(827) الطبري ، تاريخ ، ج٧، ص٣٥١.

يطالبون بالثأر فيقصدون الحيرة ، وادعاء منهم بحماية الدين والتخلص من الولاة الأمويين فإنهم يوجهون جيوشهم لها. ومهما تعددت الأسباب يمكن القول إن الدولة الأموية سواء في فترة قوتها أم ضعفها فأنها شهدت صراعاً مع الخوارج أو غيرهم من المناوئين لسلطة الكوفة الأموية وبحكم قرب الحيرة من الكوفة أصبحت مسرحاً لهذه العمليات.

الصراع القبلي واثره في الحيرة

كثرت الصراعات القبلية داخل العاصمة الأموية والأقاليم التابعة لها ، ويمكن عد هذا الصراع من اخطر الصراعات على الدولة ، ولما كانت الكوفة قد نزلت بها القبائل منذ تأسيسها وتوزعوا على أرضها وفق قبائلهم ، ولما كانت الدولة الأموية هي راعية العصبية القبلية إذن لابد من إن تقوى هذه الظاهرة في عهد دولتهم ونتيجة لهذا الصراع بدأ يلوح في الأفق إدبار هذه الدولة[٨٢٨].

لقد حظيت كل من الكوفة والحيرة بنصيب من هذا الصراع ، وان قمة هذا الصراع نشأ عند مقتل خالد القسري على يد يوسف بن عمر ، لكن المحرك الفعلي هو مقتل الخليفة الوليد بن يزيد[٨٢٩] ، ولما كان يوسف بن عمر من المؤيدين له فأنه ما أن سمع بمقتله حتى عمد إلى سجن اليمانية وهم أتباع الخليفة الجديد وتقرباً منه إلى المضرية حتى يصبحوا بجانبه عمد إلى إطلاق سراح من كان منهم في سجونه ، وكان يخلو بهم رجلاً رجلاً ليتعرف على رأيهم بالخليفة الجديد فكان رد كل منهم "أنا رجل من أهل الشام أبايع من بايعوا وافعل ما فعلوا فلم ير عندهم ما يحب"[٨٣٠].

أحس يوسف بحراجة موقفه وقد علم إن الخليفة يزيد بن الوليد قد أرسل منصور بن جمهور ليحل محله في ولاية الكوفة فأسرع إلى إرسال كبار قادة جيش الشام ممن كان معه في الحيرة لمنع وصول منصور إليها إلا أن الأخير وصل إلى عين التمر فهرب يوسف من الحيرة إلى البلقاء[٨٣١] حيث قبض عليه وضرب عنقه هناك[٨٣٢].

وبعد منصور بن جمهور جعل يزيد بن الوليد عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والياً على العراق حيث اتخذ عبد الله الحيرة مقراً له[٨٣٣] ، لكي يكون في موضع شبه مستقر ،

([828]) خليف ، حياة الشعر ، ص٤٥١.
([829]) الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج١، ص٢٩٣.
([830]) المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ص٢٨٠؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٤، ص٤٨٩.
([831]) البلقاء: كورة من إعمال دمشق بين الشام ووادي القرى. الحموي ، معجم البلدان ، ج٢، ص٣٨٥.
([832]) الطبري ، تاريخ ، ج٧، ص٢٧٤.

وقد يكون هذا الأمر طبيعياً لأن الكوفة ونتيجة لتغير الولاة وكثرة عزلهم وتولية غيرهم وقتلهم أحياناً فأن أبناء هؤلاء الولاة اجتمعوا في الكوفة.

وإذا كانت العصبيات قد أثرت في الحياة السياسية العامة للدولة كل هذا التأثير ، فأن هذه العصبيات لم تنفصل عن الحياة السياسية الخاصة بالكوفة ، وإنما كانت عنصراً أساساً من العناصر المؤثرة في هذه السياسة وعلى طول "خط النار" الذي كان مشتعلاً في الكوفة طوال العصر الأموي لم تهدأ نيران العصبيات ، ولم يخمد اوارها(٨٣٤) ، ولما كان الولاة الأمويون في فترة الصراع هذا يسكنون الحيرة لذلك انتقل الصراع اليها ايضاً.

وعندما قدم عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز الحيرة قرب إليه المضرية وبني ربيعة ممن كانوا معه هناك فأغدق عليهم بالهدايا دون غيرهم ، فثارت عليه ربيعة الكوفة واجتمعوا ضده قرب دير هند ، الأمر الذي دعا ابن عمر الى إرسال أخيه لاسترضائهم ، فأرسل أليهم المال وقسمه عليهم(٨٣٥). وكانت شيعة الكوفة تنتظر أي فرصة للتعبير عن رأيها في معارضة السلطة الأموية. إذا ما شعرت بنوع من الضعف من جانب الولاة ، ولما كان في الكوفة معظم أبناء الولاة أو الولاة المعزولين انفسهم وظهور الصراع القبلي ، لذلك انضم كل من منصور بن جمهور وإسماعيل بن عبد الله القسري بعد إن ضموا أليهم اليمانية من أهل الكوفة(٨٣٦) ، فوجد إسماعيل ومنصور ضآلتهم في عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب حيث كانت الكوفة تتوق لهذا الامر إلا وهو ظهور شخص من آل علي على الرغم من عدم مناصرتهم له إلا إن هذه المرة كانت بدوافع عصبية مغطاة بغطاء الدين والتشيع. اتحدت هذه القوى مع شيعة الكوفة وبايعوا عبد الله بن معاوية الذي دخل المسجد حيث هرب منه عاصم بن عمر ولحق بأخيه عبدالله بن عمر في الحيرة(٨٣٧).

---

(833) المصدرنفسه ، ج٧، ص٣٠٥.
(834) خليف ، حياة الشعر ، ص٤٥٩.
(835) الطبري ، تاريخ ، ج٧، ص٣٠٥.
(836) ابن الأثير ، الكامل ، ج٥، ص٥؛ القرشي ، إدريس عماد الدين ، عيون الأخبار وفنون الآثار ، تح: مصطفى غالب ، دار التراث الفاطمي ، بيروت ، ١٩٧٣، ص٢٩٧.
(837) الطبري ، تاريخ ، ج٧، ص٣٠٥.

كان هذا الصراع قبلياً من قبل ان يكون سياسياً ، فكان جيش عبد الله بن معاوية يتكون من بني بكر بن وائل وربيعة ، إما جيش بن عمر فأراد إثارة العصبية وكسب الحرب إلى جانبه فكان معه من القيسية واليمانية وقسم من ربيعة حيث أراد بذلك استمالة ربيعة من جيش عبد الله بن معاوية[٨٣٨] ، لان المعروف في الصراعات القبلية إن القبيلة لا تقاتل قبيلتها سواءاً اكانت ظالمةأم مظلومة[٨٣٩].

ولم يحصل ابن عمر على ما اراد في هذا الصراع فان ربيعة الكوفة قد أعطت عبد الله بن معاوية عهداً وأوفت به ، ونشب القتال بين الكوفة والحيرة وحملت ربيعة الكوفة على ميمنة ابن عمر فانكشفوا حتى مضى إسماعيل ومنصور بن جمهور إلى الحيرة ، حيث يذكر الطبري "إن الحيرة رجمت بغوغاء الناس أهل اليمن من أهل الكوفة فأكثروا القتل في إتباع ابن عمر حيث قتل أكثر من ثلاثين رجلاً في هذه الحرب العصبية"[٨٤٠].

يبدو إن إسماعيل بن عبدالله ومنصور بن جمهور كانوا ممن شاركوا في هذا الصراع لطلب ثأرهم إضافة إلى نزعتهم القبلية فيزيد بن الوليد كان من المؤيدين لمقتل خالد القسري ولما كان ابن عمر هو من إتباع يزيد بن الوليد ، لذلك قاتله ، إما منصور بن جمهور فكان يثأر لولايته التي انتزعت منه حيث يعتبر نفسه هو الذي أنهى حكم يوسف بن عمر وجاء ابن عمر وتربع على عرش ولاية العراق بأتعابه. إلا إن هذا الصراع كان من جانب ابن عمر حيث أغرى إتباعه بالمال ، وقد انتهى بهزيمة ابن معاوية وإتباعه[٨٤١].

ولكن هذا لا يعني إنهاء الصراع القبلي بين الحيرة والكوفة فكان أهل الكوفة من المضرية هذه المرة ملتفين حول سعيد الحرشي ، إما اليمانية فكانوا مع عبد الله بن عمر ، حيث كان صراعاً قائماً اضعف الطرفين وكان مروان بن محمد يغذي احد إطراف الصراع وهو الحرشيّ فيمده بالجند ضد ابن عمر الذي رفض مبايعته وبهذا فأن فتيل هذا الصراع استمر قرابة الأربعة اشهر[٨٤٢] ، حتى انه أنهك الطرفين الأمر الذي سهل على الخوارج دخول الكوفة كما سبق ذكره.

---

(838) المصدر نفسه ، ج٧، ص٣٠٦.
(839) خليف ، حياة الشعر ، ص٤٥١.
(840) تاريخ ، ج٧، ص٣٠٧؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٥، ص٥.
(841) الطبري ، تاريخ ، ج٧، ص٣٠٨.
(842) المصدرنفسه ، ج٧، ص٣١٨.

وبعد إن أرسل مروان بن محمد جيشاً بقيادة يزيد بن عمر ابن هبيرة ومنحه ولاية العراق وأنهى أمر الخوارج ومن كان معهم حيث دخل منصور بن جمهور وكان مع الضحاك بن قيس بالكوفة وجمع جمعاً من اليمانية والصفرية وسار بهم حتى نزل الحيرة فأقبل يزيد ابن هبيرة فقاتلهم وفي ذلك يقول غيلان بن حريث[٨٤٣]:

ويوم روحاء العذيب وقفوا   على ابن مرزوق سهامُ مُزعِفُ

إن كثرة الصراعات في المنطقة التي نحن بصدد دراستها وتنوعه كان له ما يسوغه فبعد الحيرة والكوفة عن حاضرة الدولة الأموية جعلهما بمثابة المأوى لكل الثائرين ضد الحكم الأموي كما إن تشيع أهل الكوفة جعلها مهداً لكثير من الحركات والثورات المناهضة ضدهم ، ثم جاءت العصبية القبلية لتأخذ دورها في تقويض حكم بني أمية ، وبالرغم من وجود هذه العصبية منذ الأيام الأولى لهذه الدولة إلا إن الأسرة الأموية كانت قوية متينة بحيث لم تحدث تلك الأمور ضرراً بليغاً ، ولما اختلف أفرادها فيما بينهم بدأت نهاية أمرهم تقترب رويداً رويداً حتى أمكن بني العباس إن ينتزعوا الحكم منهم لأنفسهم لانهم انتهزوا ما فعلته العصبيات للوصول إلى مآربهم[٨٤٤] ، ونتيجة لهذه العصبية أيضا فإنهم تعاملوا مع الموالي معاملة جعلت هؤلاء يصبحون من ألد أعدائهم وما إن بدأت الدعوة العباسية حتى أصبحوا أي الموالي من دعاتها لذا ذهب بعض المؤرخين الى إن الدعوة العباسية قامت على أكتاف هؤلاء الموالي[٨٤٥].

الحيرة والخلافة العباسية

انتهت الخلافة الأموية بإعلان أبي العباس السفاح أول خليفة للخلافة العباسية سنة (١٣٢-١٣٦هـ)/(٧٥١-٧٥٥م) الذي اتخذ من الحيرة عاصمة له[٨٤٦] ، حيث أنها – أي الحيرة- كان لها دور في الاستجابة للدعوة العباسية فلما دعا محمد بن خالد القسري لبني العباس في الكوفة استبقوا الناس لبيعته ووضع على ختم بيت المال والخزائن والطراز من يختم على ما فيها وكان هذا في الكوفة والحيرة[٨٤٧].

([843]) المصدر نفسه ، ج٧، ص٣٢٩.
([844]) مظهر ، علي ، العصبية عند العرب ، مطبعة مصر ، مصر ، ١٩٢٣، ص٥١.
([845]) بيضون ، الدولة الأموية والمعارضة ، ص٢٩.
([846]) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٣٧٣؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢، ص٨٥؛ الطبري ، تاريخ ، ج٧، ص٤٤٣.
([847]) مجهول ، إخبار الدولة العباسية ، ص٣٦٩.

يظهر إن الأمر في العهد العباسي اختلف بعض الشيء عن العهد الأموي حول اتخاذ بعض الخلفاء الحيرة عاصمة لهم فهناك أمور اضطرتهم لذلك. فالعباسيون كانوا متابعين لإحداث الكوفة السياسية وبخاصة فان أكثر ثورات المعارضة في فترة الحكم الأموي كانت الكوفة مهداً لها ، لذلك حسب العباسيون حساباً لهذه المدينة التي طالما وصفت بأنها شيعة علي وولده ، ثم إن مركز الخلافة أصبح في العراق بعد إن كان في خارجها لذلك نرى إن المنطقة في العصر العباسي تكون أحرج مما كانت عليه في العهد الأموي ، وان الخليفتين أبا العباس والمنصور من العباسيين لم يكونا مطمئنين تماماً إلى الكوفة ، فلم يستقرا فيها استقراراً نهائياً ، لأنهما لم يكونا يأمنان أهلها على انفسهما ، وفي الوقت نفسه فأنهما لم يبعدا عنها وإنما استقرا في الحيرة ، لتظل الكوفة تحت الرقابة العباسية[٨٤٨].

كما إن أهل الكوفة في بداية أمر الدولة العباسية كانوا معهم لأنهم وجدوا فيهم من يخلصهم من نير التسلط الأموي فكانت الكوفة قد تهيأت تماماً لاستقبال العباسيين ، فبايعوا لأبي العباس في الكوفة فدخل المسجد وألقي خطبة فيه أكد من خلالها حقهم الشرعي في الخلافة فمدح أهلها تقرباً لهم ، كما إن عم أبو العباس السفاح قد القى خطبة هناك أعلن فيها إن الكوفة مصر العباسيين وانه لا يعترف بخلافة احد قبل أبي العباس إلا علي بن أبي طالب (ع)[٨٤٩].

أحس أهل الكوفة بأن العباسيين هم فعلاً شيعة علي وإنهم سيحققون ما طمعوا إليه وما كانوا ينتظرونه من الخلفاء الجدد ، فكان أبو العباس ذا سياسة اتصفت ، بالموازنة والتقرب من الكوفيين فزاد من اعطياتهم وتملق لهم[٨٥٠]. ويبدو إن الخليفة العباسي الأول كان ينوي من ذلك تدعيم حكمه من خلال كسب أهل هذا المصر الذي شهد ثورات متعاقبة طوال قرن من الزمن ضد الحكم الأموي فلابد من إن يستخدم سياسة تنم عن خبرة وذكاء مع هؤلاء. ثم إن خلافة السفاح لم تدم طويلاً فقد انتقل من الحيرة إلى الانبار سنة ١٣٤هـ/٧٥٣م وتوفي هناك[٨٥١].

---

(848) خليف ، حياة الشعر ، ص١١٢.
(849) الطبري ، تاريخ ، ج٧، ص٤٢٦؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣، ص٢٣٧.
(850) الطبري ، تاريخ ، ج٧، ص٤٢٦؛ خليف ، حياة الشعر ، ص١٠٤.
(851) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٥٤٤؛ أبو الفدا ، المختصر في إخبار البشر ، ج٢، ص١٣٦؛ مصطفى ، المدن في الإسلام ، ص١٣٤.

ويبدو إن انتقال أبي العباس السفاح من الحيرة لم يكن أمراً سياسياً لان فترة خلافته لم تشهد شيئاً من العنف السياسي مع العلويين بل قام بتصفية أعدائه من الأمويين بعدما اقتيد كل من يزيد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك وعبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك بن مروان إلى أبي العباس السفاح وكان ذلك سنة ١٣٢هـ/٧٥١م فقتلهما وصلبهما في الحيرة[٨٥٢]. إما بنت مروان بن محمد فقد أطلق سراحها فسكنت الحيرة[٨٥٣].

وفي خلافة السفاح أيضا كان في الحيرة من الأمويين إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك بن مروان ولعل وجوده هناك يرجع إلى فترة خلافة بني أمية ولما قامت خلافة بني العباس اتخذ من احد منازل الحيرة التي تقع على حافة الصحراء ملجأ يختفي فيه ، وربما كان ينوي الهروب إلى الشام عن طريق الصحراء إلا إن هروبه إلى الكوفة كان مفاجئاً من خلال حديثه لأبي العباس بعد ان اخذ له داود بن علي الأمان منه ، وكان إبراهيم رجلاً عالماً ويبدو إن السفاح أراد الاستفادة مما مر به وكيف استطاع الهروب من الحيرة إلى الكوفة حيث كان الأمويين يواجهون أقصى أنواع المطاردة من قبل أعدائهم العباسين فقال له "كنت مختفياً في الحيرة في منزل شارع على طريق الصحراء ، فبينما أنا على ظهر بيت ذات يوم ، إذ نظرتُ إلى إعلام سود خرجت من الكوفة تريد الحيرة فوقع في نفسي وفي روعي أنها تريدني ، فخرجت من الدار متنكراً حتى دخلت الكوفة ، ولا اعرف بها أحداً اختفي عنده فوقفت متلدداً ، فإذا أنا بباب كبير ورحبة واسعة ، فدخلت الرحبة فجلست فيها: فإذا رجل وسيم حسن الهيئة على فرس ، قد دخل الرَّحبة ، ومعه جماعة من غلمانه وإتباعه ، فقال لي: من أنت وما حاجتك؟ فقلت رجل مختف يخاف على دمه"[٨٥٤] يبدو إن إبراهيم لم يكن في الكوفة بل كان في الحيرة في عهد ولايتهم لأنه لا يعرف أحداً من أهل الكوفة ، ولم يكن قد التجأ إلى الحيرة واختفى فيها كما يرى ذلك بعض الباحثين[٨٥٥] ، فكيف يلتجأ إلى مركز الدولة الجديدة ويقدم نفسه لقمة سائغة للعباسين الذين كانوا يطاردون الأمويين حيثما حلوا وقد أعُدِمَ وصُلّبِ بعضهم في الحيرة ، إذن لابد من إن يكون إبراهيم

---

(852) ابن حبيب ، أبو جعفر محمد ، المحبر ، اعتنت بتصحيحه اليزة ليحتن شتيتر ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، ١٩٤٢، ص٨٤٦؛ ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص٩١.

(853) المنجد ، صلاح الدين ، معجم بني أمية ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٧٠، ص٢٢١.

(854) المنجد ، معجم بني امية ، ص٧.

(855) عبدالغني ، الحيرة ، ٦٥٦.

احد أولئك الأمويين الذين استهوتهم الحيرة ونزل وأقام بها ولما أقبلت دولة بني العباس لم يستطع إن يفر منها.

بعد ذلك اتخذ أبو العباس من الهاشمية[٨٥٦] مقراً له ثم ارتحل إلى الانبار ولعل ذلك يرجع الى تلبية رغبته في إقامة عاصمة جديدة للخلافة العباسية.

إما الخليفة ابو جعفر المنصور فانه بعد إن تسلم الخلافة لم ترق له مدينة السفاح في الانبار فانتقل إلى هاشمية الكوفة ، وكان لهذا الانتقال أسباب سياسية.

لقد اختلفت سياسة المنصور مع الشيعة من أهل الكوفة بعد إن ثبت حكمه ، الأمر الذي أدى إلى بدء النشاط السياسي للعلويين ، لذلك ترتب على المنصور اتخاذ إجراء مناسب ضد أهل الكوفة لحماية حكمه ، فقد انتقل من مقرهِ في هاشمية الكوفة إلى الانبار[٨٥٧] ، وان هذا الانتقال حصل بعد إن خلع عبد الله بن علي العباسي الطاعة للمنصور ، ولما قتل المنصور أبا مسلم خشي من إتباعه حيث كان معظمهم من الموالي حيث كان يصل من سأله منهم وله شأن وصوت عندهم[٨٥٨] ، لذلك كان على المنصور إن ينتقل من محيط الكوفة حتى لا تتحد قوى المعارضة ضده وهو بالقرب منهم.

كما إن الراوندية[٨٥٩] ثارت في الكوفة ضده سنة (١٤٥هـ/٧٦٤م) الأمر الذي جعله يكره المنطقة على حد وصف الطبري اذ يقول "فلما ثارت الراوندية بأبي جعفر في مدينته التي تسمى الهاشمية ، وهي بحيال مدينة ابن هبيرة ، كره سكانها لاضطراب من اضطرب أمره عليه من الراوندية ، مع قرب جواره من الكوفة ، ولم يامن أهلها على نفسه فأراد إن يبعد عن أهلها"[٨٦٠] ، كما أن لثورة محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم اثراً كبيراً على إحداث الكوفة السياسية وما حولها لذلك قرر أبو جعفر المنصور الانتقال إلى بغداد وهذا لا يعني إبقاء منطقة الكوفة دون مراقبة صارمة ، فوضع عيوناً له في الكوفة وممن لهم تماس بالحالة السياسية وهم الصيارفة فقد وضع المنصور ابن مقرن الصراف جاسوساً له

---

(856) الهاشمية: مدينة بناها السفاح حيال قصر ابن هبيرة. الحموي ، معجم البلدان ، ج٨، ص٤٦٥.

(857) الطبري ، تاريخ ، ج٧، ص٤٨٠.

(858) المصدر نفسه ، ج٧، ص٤٨٠.

(859) الراوندية: فرقة متشيعة لبني العباس غالبيتهم من الغلاة وكانت احد اهدافهم الثأر لابي مسلم الخراساني من المنصور . مشكور ، موسوعة الفرق الاسلامية ، ص٢٥٢.

(860) تاريخ ، ج٧، ص٦١٤؛ ابن ابي اصيبعة ، احمد بن القاسم ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٥٧، ج٢، ص١٠١.

بالكوفة[٨٦١] ، وذلك لان معظم الصيارفة كانت لهم صلات قوية بالمؤامرات التي يديرها الشيعة في الكوفة ، فكانوا يلعبون أدواراً مهمة من خلال جمع الأموال وتقديمها للدعاة[٨٦٢] ، ولعل ابن مقرن هو من صيارفة الحيرة الذين انتقل معظمهم من الحيرة إلى الكوفة.

وبهذا يمكن إن نعلل خروج وتردد المنصور على الحيرة بعد انتقاله منها من حين لأخر فبالإضافة إلى ميزات الحيرة سابقة الذكر ، إلا إن الأمر السياسي قد يكون أهم بكثير من الجوانب الأخرى وحتى يكون أكثر اطمئناناً عندما كان يريد الحج فانه يمر بالحيرة وان كانت هي على طريق الحج لكنه يحرم من هناك[٨٦٣] ، ليتقصى إخبار الكوفة السياسية.

وفي خلافة هارون الرشيد وتحديداً سنة١٨٠هـ/٧٩٧م قرر نقل مقر الخلافة إلى الحيرة[٨٦٤]، للأسباب ذاتها التي دعت المنصور الى الرحيل إلى بغداد ، ولعل الرشيد بهذا الانتقال أراد إن يبتعد عن البرامكة عندما بدء نفوذهم يتوسع بشكل خطير وساور الرشيد أمر تنحيتهم بالتدريج عندما توفيت أمه الخيزران سنة١٧٣هـ/٧٩٠م فحين خرج من المقبرة دعا الفضل بن الربيع وقال له "أني لأهمّ لك من الليل بالشيء من التولية وغيرها فتمنعني أمي فأطيع أمرها ، فخذ الخاتم من جعفر"[٨٦٥]. فكان هذا العامل الأول ، ثم إن الرشيد كان كثير التردد على المنطقة حيث استهواها ولما استوخم مدينة السلام أشار عليه المتطببة النزول بالحيرة[٨٦٦] ، لان العرب كانت تقول عن جو الحيرة "المبيت ليلة بالحيرة انفع من تناول شربة ثادريطوس"[٨٦٧] ، فكان الرشيد يستجم بها فأصبح له أصحاباً من العباديين هناك أي انه أصبح له إتباعاً في المنطقة استغلهم عندما سرح جيشاً للشام للقبض على احد الأمويين الذي خشي منه الرشيد على مملكته عندما كان في المنطقة[٨٦٨]، ويبدو إن هذه الأمور جاءت مجتمعة حتى جعلت الرشيد يقوم بنقل مقر الخلافة إلى الحيرة سنة١٨٠هـ/٧٩٧م فوضع الخطط واقطع أصحابه الاقطاعات وابتنوا المنازل وأقام هناك

---

(861) الطبري ، تاريخ ، ج٧، ص٦٣١؛ خليف ، حياة الشعر ، ص١١٣.
(862) ماسنيون ، خطط الكوفة ، ص٩٦.
(863) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٣٣٧.
(864) الطبري ، تاريخ ، ج٨، ص٢٦٧؛ الاعظمي ، تاريخ ملوك الحيرة ، ص١٣٩.
(865) الطبري ، تاريخ ، ج٨، ص٢٣٨.
(866) ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ج٢، ص٥٤.
(867) الاصفهاني ، تاريخ ملوك الارض ، ص٩٩.
(868) الابشيهي ، شهاب الدين محمد بن احمد بن ابي الفتح ، المستطرف من كل فن مستظرف ، تح: مفيد محمد قميحة ، ط٢، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٦، ج١، ص١٥١.

حوالي أربعين يوماً إلا إن أهل الكوفة لم يحسنوا مجاورته ، فوثبوا به وعندها قرر الرشيد العودة إلى بغداد(٨٦٩).

إلا إن الرشيد ظل كثير التردد على المنطقة وبخاصة في اثناء دخوله وخروجه من العراق.

وفي سنة١٨٧هـ/٨٠٤م نزل الرشيد في الحيرة بعد عودته من الحج وكان ينوي هذه المرة التخلص من وزيره جعفر بن يحيى البرمكي ، فنزل بقصر عون العبادي وبقى هناك أياماً ثم شخص يريد الانبار بالسفن حيث قتل جعفراً هناك(٨٧٠) ، ويذكر إن جعفراً أحس بقرب اجله عندما رفض الرشيد اصطحابه معه إلى الحج فنزل جعفر الحيرة وقصد كنيسة هناك لأمر ، فوجد فيها حجراً عليه كتابة لا تفهم ، فأحضر تراجمة الخط وجعله فألا من الرشيد لا يخافه ويرجوه فقرئ فإذا فيه:

إن بني المنذر لما انقضوا   بحيث شاد البيعة الراهب
تنفح بالمسك ذفاريهم   وعنبر يقطبه قاطب
والخبز واللحم لهم راهن   وقهوة راووقها ساكب
والقطن والكتان أثوابهم   لم يجلب الصوف لهم جالب

فحزن جعفر ، وقال: ذهب والله أمرنا(٨٧١).

ومهما يكن من أمر فأن الرشيد كان لسبب أو لآخر كثير التردد على الحيرة ربما يكون للإطلاع على أحوال الكوفة ووضعها السياسي كما كان يفعل المنصور من قبل أو انه كان يريد الاستجمام والراحة والصيد والتنزه ومهما تعددت الأسباب فأن المحصلة النهائية هو إن هذه المنطقة كان لها دور كبير وأهمية بالغة على مجريات الإحداث السياسية في القرن الأول والثاني للهجرة.

والناس على دين ملوكها فان الوزراء والقادة كانوا أيضاً ممن يترددون على الحيرة فكان للبرامكة صوت عند بعض الحيريين فهذا الشاعر أبو قابوس عمر بن سليمان الحيري يمدح ويتشفع ليحيى بن خالد عند الرشيد بقوله:

---

(869) الطبري ، تاريخ ، ج٨، ص٢٦٧.

(870) الطبري ، تاريخ ، ج٨، ص٢٩٥؛ ابن الطقطقي ، محمد بن علي ، الفخري في الاداب السلطانية ، مطبعة مصر ،مصر، ١٩٤٥، ص١٩٠.

(871) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٣، ص٢١؛ ابن خلكان ، احمد بن محمد بن ابي بكر ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تح: محمد محي الدين ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٦٧هـ ، ج١، ص٣٠٣.

رأيت يحيـى أتم الله نعمتــه   عليه يأتي الذي لم يأته احــد
ينسى الذي كان من معروفه أبداً   إلى الرجال ولا ينسى الذي يَعِدُ[٨٧٢].

الفصل الخامس

الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والأدبية في الحيرة

- الجانب الاجتماعي.

(872) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص١٧٩.

- الجانب الاقتصادي.

- الجانب الأدبي.

الجانب الاجتماعي

لقد تغيرت مكونات المجتمع الحيري في الإسلام تغيراً جذرياً شمل جوانب الحياة الاجتماعية كافة ، إلا إن هذا التغير كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالكوفة ، لان سكانها - ومنذ تأسيسها- كانوا الأداة العسكرية الموكلة بعمليات الفتوح ، ولاسيما الأشراف وزعماء القبائل وأصحاب الألوية[٨٧٣].

لذا كانت الكوفة أشبه بالثكنة العسكرية وأن جوانب الحياة المدنية لم تنتقل إليها إلا بعد أن استقرت الأوضاع فيها بانتهاء الفتوحات ، فبدأت نواحي الحياة المدنية -التي يحتاج إليها كل مصر- تظهر في الكوفة وبحسب احتياج أهل المصر إليها ، ولما كانت سلطة الولاة تابعة لسلطة الخلافة سواءٌ أكان في فترة الراشدين أم الأمويين أم العباسيين حيث تمتعت هذه الدولة بقوة النفوذ والسلطان والسيادة ، لذلك رغب إليها كل من يريد الاستفادة منها وبخاصة في الجانب المادي ، فكان أهل الحيرة سباقين الى عملية الانتقال ، فقد انتقل

([873]) المخزومي ، مهدي ، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٥٨، ص٧.

أهل الحرف والتجارة[٨٧٤] ، ولم يكن هذا الامر سريعاً ومفاجئاً بل حدث بالتدريج ، وهذا لا يعني إن الحيرة قد خلت من أهلها فقد بقى العديد منهم ممن يزاولون نشاطاتهم كصناعة الخمر وغيرها فأصبحت الحيرة بعد حقبة من الزمن صاحبة الشهرة الأولى في جودة الخمر وكثرة ترنم الخمارين في حاناتها وراعية الفن الأخاذ في الغناء وكثرة القيان فكثر فيها اللهو والمجون ومجالس الشراب[٨٧٥].

ومن الأمور الاجتماعية الأخرى التي اثر عليها الإسلام بدخوله المنطقة هو حال القبائل العربية التي كانت تسكن الحيرة لسبب أو لأخر. فقد تناولنا في الفصل الأول القبائل العربية التي سكنتها قبل الإسلام ، ولعل اشهر هذه القبائل آل لخم ، وكان اخر من ملك منهم النعمان بن المنذر بن الأسود[٨٧٦] ، ولما انقرضت دولتهم خرج من بقي منهم إلى اشبيلية ، ولما قامت دولة بني عباد في الاندلس سنة (٤١٤هـ/١٠٢٣م) كان آل لخم من مؤسيسها ، وكان القاضي محمد بن إسماعيل بن قريش أول من ملك منهم ، كما إن لهم إمارة في سفح جبل لبنان لأحد أولاد النعمان الثالث تحديداً فقد سار هذا بجملة من القبائل العربية بعد مقتل والده وسكن هناك وثبت حكمه حتى توارث أبناؤه الحكم من بعده وكان منهم الأمير ظهير الدين الذي ولاه السلطان نور الدين المملوكي ملك مصر سنة (٥٥٦هـ/١١٦٠م) إمارة سفح الجبل المذكور ، كما كان منهم الأمير بدر الدين محمد في لبنان أيضاً (ت٧٩٨هـ/١٣٩٥م)[٨٧٧].

إما العباد وهم الزهاد المنقطعون في الكنائس والبيع فقد انتقلوا من الحيرة إلى الكوفة ، ولعل انتقالهم جاء نتيجة الظروف الاجتماعية الماجنة واللاهية التي سادت في الحيرة بعد الإسلام فوجدوا في الكوفة المكان الأكثر ملائمة لهم ، فقد أسسوا هناك قرية السوادية في الكوفة وسميت بذلك نسبة الى مؤسسها الأسود بن زيد ألعبادي[٨٧٨].

(874) ماسنيون ، خطط الكوفة ، ص٩٩.
(875) الأفغاني ، أسواق العرب ، ص٣٨١.
(876) ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص٤٢٢.
(877) القلقشندي ، ابي العباس احمد بن علي ، نهاية الارب في معرفة انساب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت ، ص٣٦٧؛ الاعظمي ، تاريخ ملوك الحيرة ، ص١٢١؛ كحالة ، عمر رضا ، معجم قبائل العرب ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ، ١٩٤٩، ج٣، ص١٠١٢؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص١٤٤؛ الموسوعة العربية الميسرة ، اشراف محمد شفيق غربال ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥، ص١٨٥٧.
(878) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٧٧؛ ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص١٦٩.

أما بكر بن وائل فعلى الرغم من إن ديار بكر[٨٧٩] ، كانت مقراً لمعظم افراد هذه القبيلة[٨٨٠] ، إلا إن قسماً منها سكن الحيرة وكان لهم دور في نصرت خالد بن الوليد ضد الفرس كما حاربت هذه القبيلة مع المثنى بن حارثة أيضاً ، وفي خلافة الأمام علي (ع) انتقل قسم من هذه القبيلة من الحيرة إلى الكوفة فحارب قسم منهم إلى جانب الأمام في حرب الجمل سنة٣٦هـ/٦٥٦م ، أما القسم الآخر فقد حارب إلى جانب عائشة[٨٨١] ، وكان من بين من انتقل من الحيرة إلى الكوفة من هؤلاء هو أبجر بن جابر العجلي وكان ابنه حجار سيد بكر بن وائل وهؤلاء ظلوا على نصرانيتهم ، حتى يذكر أن ابجر لما توفي سنة٤٠هـ/٦٦٠م شيعته بكر بن وائل في الكوفة كما خرج معهم جمعٌ من المسلمين لسؤدد ابنه وزعامته[٨٨٢] ، في حين بقي من بني تغلب ممن انتقل إلى الحيرة من الجزيرة الفراتية أيضاً ومنذ أيام ملوكها ، وكان لهؤلاء دور في الحياة الأدبية في الحيرة والكوفة بعد الأسلام ولعل ابرز من ظهر منهم في هذا الجانب الشاعر الأخطل التغلبي[٨٨٣].

أما بنو أياد وهم بطن عظيم من العدنانية الذين انتقلوا من جزيرة العرب إلى الحيرة بعد أن كانوا سدنة للحرم المكي ، ألا أن المضرية عندما قوي أمرهم اخذوا رئاسة الحرم من بني أياد مما اضطرهم إلى النزوح إلى العراق وكانت لهم آثار مشهودة مع الأكاسرة ، ولعل ثقل هذه القبيلة ونفوذها ومركزها هو السبب الذي أخاف الفرس فنصبوا لهم العداء خوفاً من أن ينشأ اتحاد قبلي بين العرب ضدهم فحاربوهم الأمر الذي ادى الى ان يرحل معظم أفراد هذه القبيلة نحو ارض الجزيرة والشام ، وفي أثناء تحرير المسلمين للجزيرة التحق بنو أياد بالروم ضد المسلمين[٨٨٤] ، ألا أن بنو سبين وهم من أياد بقوا في الحيرة ولم يرحلوا مع من رحل إلى الجزيرة وكان منهم بقيلة صاحب القصر المعروف بقصر بني بقيلة ، وعبد المسيح بن بقيلة وهؤلاء بقوا على نصرانيتهم هناك ، وبرغم ذلك فقد كان لهم

---

(879) ديار بكر: وهي بلاد كبيرة واسعة تمتد من ما غرّب من دجلة الى بلاد الجبل المطل على نصيبين الى دجل ومنه حصن كيفا وآمد وميافارقين. الحموي ، معجم البلدان ، ج٣، ص٣٣٠.
(880) القلقشندي ، نهاية الارب ، ص١٦٩.
(881) كحالة ، معجم قبائل العرب ، ج١، ص٩٧.
(882) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص٣١٤.
(883) الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٢، ص١٢٤.
(884) الطبري ، تاريخ ، ج٤، ص٥٤؛ كحالة ، معجم قبائل العرب ، ج١، ص٥٤.

دور في أضعاف الروح المعنوية للفرس أثناء الفتح الإسلامي للحيرة ، وقد صالح بن بقيلة خالد بن الوليد وقَبِل ان يدفع الجزية ، وبقوا في الحيرة[٨٨٥].

كما أن هناك قبائل عربية انتقلت بعد الإسلام من الحيرة إلى البصرة وسكنت هناك[٨٨٦] ، ولعل سبب رحيلها جاء نتيجة زوال السبب الذي أتت من اجله ، ذلك أن بعض القبائل وجدت في الكوفة المصر الإسلامي الجديد الذي يحوي على عدد كبير من إجلاء الصحابة والمسلمين وممن هم حريصون على الإسلام وتطبيقه ونشر تعاليمه لذلك وجدوا إن من الأسلم لهم الابتعاد عن الكوفة.

وعلى الرغم من إن الحيرة قبل الإسلام كانت تضم عدداً الكبيراً من القبائل العربية إلا إن هذه القبائل لم يكن لها ذكر او تأثير بعد الاسلام ، ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة هذه القبائل التي اعتادت على الغزو والحروب للحصول على الغنائم[٨٨٧] ، ولما انتهت سلطة الحيرة على يد المسلمين وجدت هذه القبائل نفسها إمام الأمر الواقع ، فهي اما ان تنصهر في المجتمع الإسلامي وتنصاع لقوانينه وتعاليمه أو ان ترحل خارج الجزيرة العربية وسلطة المسلمين لاستمرار السلب والنهب الذي تنتهجه هذه القبائل[٨٨٨].

ويمكن القول إن الحياة في الحيرة بعد الإسلام بقيت على ما هي عليه بعض الشيء اذ لم يطرأ التغير الكامل في العهد ألراشدي ، لان الامر لم يستتب بعد للمسلمين ، لذلك استمرت الحيرة بأداء دورها وكما اشرنا إليه في الجانب الاقتصادي التجاري وجوانب الحياة الأخرى إلا الدور السياسي الذي انتهى تماماً بحلول الإسلام في ارض الكوفة ، وفي العهد الأموي وبعد استقرار العرب وانتهاء الفتوحات وميل العرب للحياة المترفة وهو ما يتطلب توفير المال لتحقيق الرفاهية فعمل منهم بالتجارة واشتهرت الكوفة ببعض الصناعات فصار لها سوق وتبادل تجاري على مستوى واسع[٨٨٩] ، أما في العهد العباسي وبعد إن أصبحت بغداد عاصمة للخلافة فبديهي ان يكون الثقل الاقتصادي والسياسي

---

(885) العزاوي ، عباس ، عشائر العراق ، لا.م ، بغداد ، ١٩٣٧، ج١، ص٧٥.

(886) ماسينون ، خطط الكوفة ، ص٧٧.

(887) كستر ، الحيرة ومكة ، ص١٨.

(888) هذه قسم من القبائل التي استطعنا الحصول على النصوص الخاصة بها سواء كانت في الحيرة ام انها انتقلت الى الكوفة او خرجت نهائياً عن الجزيرة العربية لانها رفضت الدخول في الاسلام او اعطاء الجزية ، ولم نعثر على نصوص اخرى تشير الى القبائل التي استقرت في الحيرة قبل الاسلام ، وربما يرجع السبب في ذلك الى ان هذه القبائل قد اندمجت كلياً في المجتمع الكوفي الجديد وتداخل تاريخها مع تاريخ مدينة الكوفة. الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٧، ص١٨٥.

(889) ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص١٥٦.

والأدبي والاجتماعي وغيره قد تركز هناك ، ولعل الجانب الاقتصادي احد ابرز هذه الجوانب أهمية لان عرب العراق لهم باع طويل بهذه المهنة فبإنشاء بغداد انتقلت التجارة من الكوفة إليها وأصبح الطريق التجاري يبدأ من بغداد ومن ثم إلى واسط ثم البصرة لتصل البضائع إلى الخليج العربي[٨٩٠] ، وصفوة القول من هذا أن الكوفة حلت محل الحيرة في العهد الأموي وبغداد أخذت دور الكوفة في العهد العباسي ، لذا ان الحيرة بدأ يقل شأنها التجاري ويعلو شان لها تميزت به ولفترات طويلة إلا وهو الجانب الاجتماعي وتحديداً موجة اللهو والغناء والتمتع بشرب الخمرة وترنم الخمارين في الحانات وما إليه من أنواع اللهو والمجون حتى باتت الحيرة متنفس أهل الكوفة وكل من يريد إن يخرج من طوق الوقار والالتزام الديني وسئم حياة الجد فانه يسلك طريق الحيرة لما فيها من أجواء اللهو والمجون ، فبيوت الخمارين وما فيها من قيان وغناء وطرب[٨٩١] ،فضلاً عن جمال الطبيعة ... ، كل ذلك من شأنه ان يشجع من يهوى هذه الاجواء على القدوم الى الحيرة.

ويمكن القول إن فن اللهو في الحيرة انتعش بعد أن أصبح العراق احد ارقى أمصار الإسلام حضارة. وفقد أدى ازدياد ترف العيش الى السعي وراء اللهو والترويح ، فكان رائد غنائها في العهد الأموي هو حنين الحيري الذي كان موسيقياً أيضا[٨٩٢] ، فذاع صيته في الغناء والموسيقى ، حتى يذكر إن هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ)/(٧٢٤-٧٤٤م) عندما قدم حاجاً مَرّ بظهر الكوفة فوقف له حنين ومعه عوده وزامره وعرض له ، فسأل عنه فقيل له هذا حنين الحيري فحمله معه ، فغنى له وأمر له هشام بمئتي دينار ولزامره بمئه[٨٩٣].

ومن الأمور الأخرى الملازمة للغناء هي شرب الخمرة وكانت الحيرة تتمتع بحرية دينية خاصة وفقاً لصلحها لذا ان بيع وشراء الخمرة كان قائماً في الحيرة في العهد الإسلامي ، وكانت لها شهرة خاصة لجودتها وجمال أماكن حاناتها فجذبت الخاصة والعامة من الناس ، ونتيجة لذلك فقد أثرى أهل الحانات من وراء ذلك ثراءاً عظيماً فصاروا يتنافسون في تجويد الخمر وجذب الزائرين ، فلذلك كثر الذين ذهبت ثرواتهم

---

(890) ناجي ، دراسات في تاريخ المدن الاسلامية ، ص١٥٧.
(891) الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٥، ص٥٠.
(892) فارمر ، هنري ، مصادر الموسيقى العربية ، ترجمة: حسين نصار ، مطبعة مصر ، ١٩٥٧، ص٢٧.
(893) الاصفهاني ، الاغاني ، ج٢، ص٢٤٢.

نتيجة ذلك وفدحهم الدين[٨٩٤] ، ولاسيما أهل الكوفة ، وكأجراء إصلاحي اضطر بعض ولاة الكوفة إلى كسر اواني وجرار نبيذ أهل الحيرة ، لعل ذلك يجدي نفعاً ، وما إن رأى بكر بن خارجة وهو احد الخمارين الكوفيين الولعين بشربها ، وكان يقصد الحيرة يومياً لغرض الشرب حتى انه لم يكن من ميسوري الحال فقد كان وراقاً في الكوفة يصرف ما يجني من تعبه على النبيذ فلما رأى حال الخمرة على الأرض بكى طويلاً وانشد يقول[٨٩٥]:

يا لقومـي لما جنـى السلطـان　　　لا يكونـن لمـا أهـان الهـوان

قهـوة في التراب من حلب الكر　　　م عقـاراً كـأنهـا الـزعفـران

لقد أثرت الحيرة على الكوفة بهذا الجانب اذ أصبحت في العهدين الأموي والعباسي ذات شهرة في الغناء واللهو ، إلا إن ذلك يعتمد على ولاتها ، ففي ولاية بشر بن مروان على الكوفة (٧١-٧٣هـ)/(٦٩٠-٦٩٢م) الذي كان محباً للهو والطرب والشراب كان حنين الحيري بين يديه حتى ان حاجبه يمنع دخول الناس عليه إلا حنيناً[٨٩٦] ، وبلغ البذخ والإسراف في هذا المجال حداً ، دعا ابن محرز المغني الحجازي الشهير إلى إن يقصد الكوفة لغرض الاستفادة منها ، وما إن بلغ ذلك حنيناً حتى خشي إن يحل محله أو ينافسه فخرج إليه قبل إن يدخل العراق وقال له "كم منتَّك نفسك من العراق؟ قال: ألف دينار ، قال: فهذه خمسمائة دينار عاجلة فخذها وانصرف واحلف لي انك لا تعود إلى العراق"[٨٩٧] ، وكان ابن محرز على ما يصفه الاصفهاني "صغير الهمة لا يحب عشرة الملوك"[٨٩٨].

فموجة اللهو اقترنت بالولاة بالدرجة الأساس وحنين أخاف على مقامه من ابن محرز لان بشر بن مروان كان محباً للغناء والطرب واللهو ، إما الحجاج في اثناء ولايته على الكوفة فقد اتبع سياسة جديدة ربما كان ينوي بها إصلاح الجانب الاقتصادي والاجتماعي ، فقرر إيقاف تيار المجون ، من خلال الرقابة الشديدة من لدن شرطته ، فكان يضع شروطاً لقبول الشرطي وكان يقول "أريده دائم العبوس ، طويل الجلوس ، سمين الأمانة ، عجف الخيانة"[٨٩٩] ، لما للشرطي من دور في ضبط أمور المصر فقد كان للحجاج أسبابه في اختيار مثل هذه المواصفات اذ كان بعض شرطة الكوفة المكلفين بمنع

(894) الافغاني ، اسواق العرب ، ص٣٨١.
(895) الاصفهاني ، الاغاني ، ج٢٣، ص١٥٦.
(896) المصدر نفسه ، ج٢، ص٢٤٧.
(897) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٤٤.
(898) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٤٥.
(899) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، دار الفكر ، مصر ، ١٣٧٥هـ ، ج١ ، ص٤٠.

بيع خمر الحيرة على أهل الكوفة ، كان الشرطي يشرب بها بنفسه هناك سراً بأنبوب من داخل الحانة يصب إلى الشرطي وهو في الخارج يشرب منه[٩٠٠] ، نتيجة تخوف اهل الحانة من إتلاف خمرهم أو معاقبتهم من قبل الشرطة ، وقد اتت سياسة الحجاج الإصلاحية أكلها في الكوفة في اقل تقدير ، وانتقل عدد من أولئك المغنيين من الكوفة إلى الحيرة وبقوا هناك حتى وفاة الحجاج[٩٠١].

أما يوسف بن عمر فقد اتخذ أسلوباً جديداً للحد من شرب الخمرة من قبل أهل الكوفة ، لم يقم بسكب الخمرة على الأرض بل أوعز إلى شرطته بحلق رأس من يشرب الخمرة من أهل الكوفة في الحيرة ففعل وحلق رأس شيخ شرب هناك حتى قال:

وبالحيرة البيضـاء شيخ مسلط   إذا حلـف الأيمـان باللـه بَرّت

لقد حلقـوا منا غذافاً كأنهـا   عناقيد كـرم أينعت فاسبطـرت[٩٠٢].

وهذا لم يجد نفعاً فالوالي نفسه يوسف بن عمر كان معظم وقته سكراناً في الحيرة[٩٠٣] ، فما بال الرعية إذن! لذلك استمرت موجة اللهو وذاع صيت الحيرة في البلدان ، فقد قصدها أهل الحجار ممن يحب هذا المجال فشربوا وألهوا وانصرفوا[٩٠٤] ، ولم تكتفِ الحيرة بهذه الشهرة حتى وصل إليها الخليفة الماجن اللاهي الوليد بن يزيد عندما وصلت إليه أخبار أديرتها وجمالها وخمرها وجودته فقصدها من دمشق مع أصحابه فشـرب وانصـرف ، ورمـى احد أصحابه كيساً لصاحب الحانة الذي رفض استلامه ما لم يعرف هذا الرجل والمقصود به الوليد بن يزيد ، فلما اخبروه قبل الكيس وكان فيه أربع مئة دينار[٩٠٥].

كما أصبحت الكوفة مركزاً من مراكز اللهو والمجون في العصر الإسلامي أو آخر العهد الأموي فالحيرة وكانت –على حد التعبير التجاري- مركزاً "للتوريد" عناصر اللهو إلى حاضرة الدولة والى قصر الخليفة بالذات ، فقد وصلت إلى بلاط الوليد بن يزيد جارية

(900) العمري ، مسالك الابصار ، ج١ ، ص٣٩١.
(901) الزبيدي ، محمد حسين ، الحياة الاجتماعية ، ص١١٧.
(902) الاصفهاني ، الاغاني ، ج٨ ، ص١٤٢.
(903) البلاذري ، انساب الاشراف ، ص٢٥٧.
(904) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج٤ ، ص٥٤.
(905) العمري ، مسالك الابصار ، ج١ ، ص٣٢٢.

كوفية أيضاً فغنت له فأعجب بغنائها ، وطرب طرباً شديداً ، حتى شرب على لحنها عشرين قدحاً ثم اشتراها أيضا[٩٠٦].

لقد طغى تيار المجون واللهو والشراب على مجتمع الحيرة وبخاصة في نهايات العهد الأموي ، ولعل للجانب السياسي دوراً في ذلك ، فكثرة الصراعات العصبية والسياسية وما تأثرت به الكوفة من جراء ذلك جعل عدداً غير قليل من أهل الكوفة يقصدون هذه الأماكن للترويح عن أنفسهم والابتعاد عن الأجواء الساخنة داخل الكوفة ، وان لم يكن الحال كذلك فان هؤلاء قد اعتادوا على هذا اللون من الفن حتى في أوقات السلم ، لذلك أصبحت الحيرة متنفس أهل الكوفة ومحل راحتهم في معظم الأوقات.

وفي العهد العباسي ازاد هذا الامر – في الحيرة- على ما كان عليه في العهد الاموي ، فلا تذكر الحيرة الا وتذكر معها مجالس الشراب وجماعات القصف والبذخ[٩٠٧] ، فاستمر تيار الغناء وشرب الخمرة وكثرة القيان فيها ، وقد أثرت في الكوفة تأثيراً كبيراً حتى أصبح منها بيت من اشهر المغنيين وهو ابن رامين وكانت شهرته كشهرة حنين الحيري أيام الأمويين ، كما جلب ابن رامين القيان وكان لسلامة الزرقاء لديه شهرة رفيعة ، حتى إن جعفر بن سليمان بن علي العباسي اشتراها من ابن رامين بثمانيين ألف درهم ، وسترها عن أبيه لما كان والياً على البصرة في خلافة المنصور[٩٠٨] ، حتى بلغ هذا البيت حداً من اللهو لعله فاق بيوتات الحيرة لان رجالاً من الحيرة كانوا يقصدون هذا البيت ، لاجل سلامة حتى ان احدهم يوماً وضع في فمها لؤلؤة باعتها بثلاثين ألف درهم[٩٠٩].

ولعل هذه الأرقام تظهر حب البذخ والإسراف في هذا الجانب من خلال ما قاله سليمان لابنه جعفر "ويحك نحن على هذا الحال نتوقع الصيلم وأنت تشتري جارية بثمانين ألف درهم"[٩١٠] ، كما إن أسعار القيان كانت عالية جداً ، وهناك تنافس بين محبي هذا اللون من اللهو ، فكان ممن يرد دار ابن رامين لسماع غناء سلامة الزرقاء ، روح بن حاتم ومعن بن زائدة وابن المقفع وغيرهم من الشعراء فينفقون أموالهم بغير حساب ، حتى إن الزرقاء غنت يوماً فبعث إليها معن بن زائدة بدرة صُبَّتْ بين يديها ، وبعث روح إليها

---

(906) الاصفهاني ، الاغاني ، ج٧ ، ص٤٥ ؛ خليف ، حياة الشعر ، ص٢٠٩.
(907) الافغاني ، اسواق العرب ، ص٣٨٢.
(908) الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٥ ، ص٥٠.
(909) المصدر نفسه ، ج١٥ ، ص٥١.
(910) المصدر نفسه ، ج١٥ ، ص٥٠.

أخرى فصبت أيضاً بين يديها ، ولم يكن عند ابن المقفع دراهم أو درة يصبها بين يديها ، فجاء بصك ضيعته وقال: هذه عهدة ضيعتي خذيها[٩١١].

إن هذه الحال تدل على نمو الأرستقراطية العربية في الكوفة ، بما اتيح لها من ثراء واسع وبما هيىء لها من فراغ ، وربما بما كان يحيط بها من قيان وجوارٍ تقوم بالخدمة وتدبير الشؤون من دون إن يشغلوا أنفسهم بشيء سوى التفكير في جمع المال وزيادة الثراء ، لصرفه في هذا الباب[٩١٢].

إما الخلفاء العباسيون الأوائل فلم يكن لهم حبٌ وشغفٌ بهذا الجانب ولم يمليوا له ، لأسباب مختلفة ، فأبو العباس السفاح مؤسس الدولة والذي تحمل أعباء التأسيس والتخلص من الأعداء الأمويين ووضع أسس الدولة الجديدة ، لم يكن له متسعاً من الوقت حتى يلهو ويستمتع بالغناء والشراب ، إما أبو جعفر المنصور فمعروف عليه ابتعاده عن مواطن البذخ وميله إلى جانب الاقتصاد ، على الرغم من إن بلاطه لم يخلو من احد المغنيين الحيريين ويدعى محمد بن الحارث الذي كان مولىً ومغنياً للمنصور في آن واحد[٩١٣].

إما الخليفة هارون الرشيد فبعد إن دانت له البلاد والعباد وكان الاستقرار والرخاء الاقتصادي سمة من سمات عصره ، فقد عصفت موجة اللهو والغناء والشراب في بلاطه وأقاليم دولته المختلفة ، لذا حافظت الحيرة على سيرتها الغنائية ، فبيت حنين الحيري أيام الأمويين ظل يخرج المغنيين أباً عن جد وكان هارون الرشيد يقصد الحيرة لسماع الغناء هناك بالرغم من وجود مغنيه الشهير إبراهيم الموصلي (ت١٨٨هـ/٨٠٥م) والذي كان ملازماً له في بلاطه حله وترحاله[٩١٤] ، فقد قصد بيت ابن حنين الحيري لسماع غنائه من احد احفاده ، إلا انه لم يستحسنه فغناه بغناء ابن سريج حيث أعجب هارون الرشيد بذلك وقال له "ما هو من أغاني جدك ولا من أغاني بلدك ، فقال له الشيخ: والصليب والقربان ما صنع هذا الصوت إلا في منزلنا وفي سرداب جدي"[٩١٥] ، وكان عبيد بن سريج قدم من

([911]) المصدر نفسه ، ج١٥ ، ص٥٣.
([912]) خليف ، حياة الشعر ، ص٢١٧.
([913]) الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٢ ، ص٣٩.
([914]) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٢٥.
([915]) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٥٠.

مكة إلى الحيرة لينقل غناءها إلى هناك فنزل بيت حنين الحيري ، وأتقن الغناء ورحل إلى مكة بعد عدة اشهر[٩١٦].

ويبدو إن اتساع نطاق الغناء في العهد العباسي وصل إلى أوجه ، ويمكن إن يعزى سبب ذلك وكما سبقت الإشارة إليه إلى الاستقرار والرفاه الاقتصادي ، عندها لم يجد الناس من شاغل يشغلهم سوى الفن واللهو ولعل هذه الحادثة الطريفة تؤكد ذلك ، فقد كان عيسى بن موسى العباسي في الحيرة وكان عبد الوهاب بن عبد الرحمن مولى له فاستدعاه ليلة وقال له: "لقد سمعت الليلة في داري شيئاً ما دخل سمعي قط إلا ليلة بالحميمة[٩١٧] والليلة ، فانظر ما هو ، فدخلت استقري الصوت ، فإذا هو بالمطبخ وإذا الطباخون قد اجتمعوا ، وعندهم رجل من أهل الحيرة يغنيهم بالعود"[٩١٨] ، فقد كان الجميع قد افتتنوا بهذا الفن وأصبح يشغل حيزاً كبيراً من حياتهم.

وهنا يجدر بنا إن نقف لنتساءل عن الأسباب التي دعت العامة في المجتمع الكوفي لمواكبه موجة اللهو والمجون ، وربما يرجع ذلك الى عدة عوامل ، لعل الجانب السياسي في مقدمتها ، لان بعض أهل الكوفة عندما يريدون الابتعاد عن الأجواء السياسية فانه يتجهون نحو الحياة اللاهية التي تؤنسهم ، لينسوا بين أحضانها تلك الأجواء.

إما العامل الاجتماعي فيعد عاملاً آخر ، فالتركيبة الاجتماعية لكل من الحيرة والكوفة بما فيها من عناصر مختلفة ولاسيما العناصر الفارسية وما تحمل من تقاليد وعادات استطاعت إن تؤثر في المجتمع وقد ازداد هذا التأثير في العصر العباسي بطبيعة الحال لذلك نرى إن موجة اللهو في هذا العصر اشد مما كانت عليه في العصر الأموي ، ولعل التساهل الديني في مسألة النبيذ وما أفتى به أبو حنيفة -والذي سيأتي ذكره فيما بعد ، حيث أباح لأهل الكوفة تناول النبيذ- اثرٌ في ذلك[٩١٩] ، ولعل أبا حنيفة في رأيه هذا كان يريد الخروج من المأزق الذي وقع فيه الكوفيون لكثرة تناولهم الخمر في الحيرة بحكم

([916]) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٥١.

([917]) الحميمة: بلد من ارض السراة من اعمال عمان في اطراف الشام. الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٨٦.

([918]) الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٦ ، ص١٨٤.

([919]) خليف ، حياة الشعر ، ص٢١٩.

الطبيعة الاجتماعية والموقع الجغرافي المتداخل حتى إن بعضهم قد عد الحيرة في الكوفة بعد الإسلام[٩٢٠].

وبعيداً عن اللهو والغناء فقد كان المجتمع الحيري مجتمعاً مثقفاً فيه العديد من الأطباء والعلماء من ذوي القدرة والكفاءة العالية ، فمنهم من التحق بعلماء الكوفة بعد تمصيرها ومن بين هؤلاء الأطباء هو أثير السكوني[٩٢١] ، الذي استدعي مع جمع من الأطباء في الكوفة لمعالجة الإمام (ع) عندما ضربه ابن ملجم ، وكان أثير السكوني احذق هؤلاء الأطباء وبعد أن وقف على جرح الإمام قال "أئتوني برئة شاة حارة ، فتتبع منها عرقاً فاستخرجه وادخله في جرح الإمام ، ثم نفخ في العرق فإذا عليه بياض من الدماغ وكانت ضربة ابن ملجم قد وصلت إلى أم راس الأمام فقال: يا أمير المؤمنين اعهد عهدك"[٩٢٢] ، وهذا دليل على شهادة أثير السكوني ودقته في التشخيص ، وان مهارته جاءت نتيجة خبرة وممارسة طويلة حتى قيل انه كان طبيباً لصاحب كسرى[٩٢٣].

إلا إن هذا لا يعني أن الحيرة قد خلت من مهرة الأطباء ، ففي خلافة معاوية كان الشاعر الكوفي المتوكل الليثي كثير التردد على الحيرة ، حتى انه يوماً رمد رمداً شديداً ، فعالجه قس هناك فشفي[٩٢٤].

كما اشتهر في الحيرة اسحق بن حنين الحيري وكان من الأطباء المشهورين ، والذي انتقل إلى بغداد بأمر من الخلافة ليكون طبيبهم ومترجمهم في خلافتي المنصور والرشيد[٩٢٥] ، فبالإضافة إلى خدماته الجليلة في مجال الطب قام بترجمة كتاب الخطابة لأرسطو[٩٢٦] ، كما نقل المنصور عدد من الأطباء النساطرة لما لهم من خدمات في الطب والترجمة[٩٢٧] ، ولعل لأهل الحيرة القسم الأكبر من هؤلاء لأنهم قد تخصصوا في هذين المضمارين فقد حاور الإمام الصادق (ع) احد الأطباء النصارى في الحيرة حول الهيكل

---

(920) ابن الفقية ، مختصر كتاب البلدان ، ص١٦٨.
(921) الحكيم ، الطب في الكوفة ، ص٤.
(922) النويري ، نهاية الارب ، ج٢٠ ، ص٢١٤.
(923) المصدر نفسه ، ج٢٠ ، ص٢١٤.
(924) الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٢ ، ص١٢٤.
(925) حبوش ، طاهر جليل ، اوائل العرب عبر العصور والحقب ، لا.م ، بغداد ، ١٩٩١ ، ج٤ ، ص٢١٨.
(926) الحلواني ، ، العرب وآداب اليونان، ص٥٨.
(927) الجرمود ، عبد الجبار ، داهية العرب ابو جعفر مؤسس دولة بني العباس ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٣ ، ص٣٨٨.

العظمي والأعصاب والجوارح في جسم الإنسان[٩٢٨] ، وهكذا فقد شهدت الحيرة ولقرون عدة الحضارة والثقافة واستطاعت إن تؤثر في المنطقة بأسرها فقد كان للكوفة حظ وافر وبخاصة في مجال الطب وصناعته ، فقد بلغ عدد الأطباء في الكوفة مئه وخمسين طبيباً لعلاج زياد بن أبيه عندما طعن في إصبع قدمه وكان ثلاثة من هؤلاء الأطباء أدركوا كسرى[٩٢٩] ، ولعل هؤلاء ممن انتقل من الحيرة إلى الكوفة ، كما إن أهل الكوفة قد اخذوا من الحيرة علوم النجوم والفلك لان بنو مرة بالحيرة كانوا ينفردون بهذا العلم[٩٣٠] ، وكانت للحيريين –ايضاً- معرفة بالاشعار وايام العرب ، فقد اجتمعت هذه العلوم لدى الطبيب الكوفي موسى بن إسرائيل فقد كان طبيباً للخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ)/(٧٥٧-٧٨٦م) على الرغم من قلة علمه بالطب إلا انه املأ لمجلسه من غيره لخصال اجتمعت فيه فقد كان فصيح اللهجة وذا معرفة بالنجوم وأيام الناس وأشعار العرب[٩٣١] ، ولعل ذلك كان مقتبساً من الحيرة بحكم انتقال العلوم والحضارة منها إلى الكوفة.

ونتيجة لهذا التقدم في مجال الطب فقد أصبح لقب "شيخ الطب" يطلق على بعض الماهرين في هذه الصناعة في الكوفة[٩٣٢] ، وهناك من جمع بين الفلسفة والطب والكيمياء وكان في مقدمتهم جابر بن حيان (ت١٩٨/٨١٣م) فقد تتلمذ على يد الإمام الصادق (ع) عندما قدم إلى العراق وانتقل إلى بغداد واتصل بالرشيد والبرامكة وبعد نكبتهم عاد إلى الكوفة[٩٣٣].

وخلاصة القول إن الحيرة يمكن أن تعد أهم المناطق التي أثرت على حياة العرب المسلمين في الكوفة بعدة نواحٍ ايجابية من خلال الإرث الحضاري الضخم الذي تتمتع به ، إضافة إلى عزلة أهلها عن الحروب والصراعات والذي هيأ لها جواً صافياً لنمو وازدهار العلوم والفنون ، كما كان لها صلات - مع جند نيسابور-[٩٣٤] فكرية وعلمية في مختلف المجالات[٩٣٥] ، وهذا ما يعزز الجانب العلمي ويطوره.

([928]) ابن شهر اشوب ، ابي جعفر رشيد الدين بن محمد ، مناقب آل ابي طالب ، المطبعة العلمية ، قم ، د.ت ، ج٤ ، ص٢٥٦.
([929]) الصابي ، ابي الحسن محمد بن هلال ، الهفوات النادرة ، تح: صالح الاشتر ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، دمشق ، ١٩٦٧، ، ص٨٢.
([930]) الحسيني ، تقويم العرب في الجاهلية ، ص٥٨.
([931]) ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ج٢ ، ص١٠٠.
([932]) القفطي ، اخبار العلماء باخبار العلماء ، ج١، ص٨٦.
([933]) المصدر نفسه ، ج١ ، ص١١١.
([934]) جند نيسابور: مدينة بخوزستان بناها سابورين اردشير ، الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ،

أما في مجال الرواة وأخبار الفتوحات فقد كان لرجال الحيرة دورفي ذلك ايضا"، فقد شهدت الحيرة وجود عدد من العلماء في مختلف جوانب العلم والمعرفة، ففي مجال إخبار الفتوح ، استفاد القاضي أبو يوسف من شيخ من أهل الحيرة له علم بفتح الجزيرة والشام حيث كتب له كل ما عَلِمَ به من أخبار الفتح غير منقول عن الفقهاء ولا عمن يسنده عن الفقهاء وكان قد شرحه له بالتفصيل[٩٣٦] ، وهذا يدل على رغبة هؤلاء العلماء في متابعة الأخبار وتدوينها بأنفسهم سيما وان الكتابة كانت منتشرة في الحيرة دون غيرها من المناطق ، كما إن هناك نصاً للمسعودي يشير إلى إن "لرواة أهل الحيرة مكانة متميزة لدى المسلمين"[٩٣٧] ، ولعل هذه الأمور مجتمعة جعلت محمد بن اسحق (ت١٥١هـ/٧٦٨م) يكتب المغازي للمنصور عندما كان في الحيرة[٩٣٨] ، كما أنها – أي الحيرة - ظلت مقصداً لبعض العلماء ولاسيما من يريد الإطلاع على الآثار الحضارية المدونة في خزائن كنائسها أو رغبة في معرفة أقوامها وأهلها ، فقد قصدها الشهرستاني صاحب كتاب الملل والنحل[٩٣٩] ، لتدوين ما يمكن تدوينه عنها ، ولعل الذي حمله على الذهاب اليها هو تنوع تركيبتها السكانية، واختلاف اقوامها والمذاهب التي ينتمون اليها٠

كما كان للحيرة دور مؤثر في اجتهاد علماء الكوفة بحكم حاجات اقتضتها الضرورة ، فقد عاش المسلمون في هذه الأمصار مع شعوب كان لها حضارات ومدنيات ونظم وعادات لم تتسرب إلى العرب في الجزيرة ليكون لها حكم في الكتاب والسنة أو إفتاء فيها ، الأمر الذي ادى الى ان يجتهد المسلمون في ادائهم ، إلا إن هذا يجب ان لا يخرج عن اطار النص والسنة ، حينئذ انقسم اهل الفقه على قسمين :أهل الحديث وهم معظم اهل الحجاز ، واهل الرأي والقياس وهم معظم اهل العراق كونهم محتاجين لذلك حتى يتفق الواقع الديني مع العرف الاجتماعي[٩٤٠] ، فيرى البعض ان ابا حنيفة انفرد في مسألة أباحة النبيذ بحكم التركيبة الاجتماعية المتداخلة بين الحيرة والكوفة واعتبار هذه المادة مادة مقدسة في الحيرة ، لذلك فانه اقرها ، مستنداً بذلك الى التفسير اللغوي لمادة الخمر وهو

ص٨١.

(935) حمادة ، العلوم عن العرب ، ص١٠٣ ؛ الحكيم ، الطب في الكوفة ، ص٣.

(936) ابو يوسف ، الخراج ، ص٣٩.

(937) التنبيه والاشراف ، ص٢٧٩.

(938) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٤٩١.

(939) القزويني ، آثار البلاد ، ص٣٩٨.

(940) المخزومي ، مدرسة الكوفة ، ص٢٧-٢٨.

عصير العنب[٩٤١] ، اما الخمر بصورة عامة فهو كل ما يخمر العقل ويذهب الرشد[٩٤٢] ، دون تخصيص عصير على اخر ، ولعل الآية القرآنية التي اشارت الى ذلك صريحة بقوله "انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون"[٩٤٣].

ولعل ابا حنيفة اراد بذلك ايجاد مخرج او تبويباً للحالة التي كانت عليها الكوفة من جراء تأثير خمر الحيرة عليها ، لكن هذا لا يبرر ، لان الشرع الاسلامي والنص الصريح لا مجال فيه للاجتهاد او ايجاد المخارج لحل ازمة اجتماعية اياً كان حال تأثيرها على المجتمع ، لان الاسلام وضع لها حلا" وهي اقامة الحد على من يرتكب المحرمات ولا سيما شارب الخمر بكل اشكاله.

اما في البناء وفنه ، فقد كان للحيرة اثر على عرب العراق بعد الفتح وبخاصة في مجال البناء ، فقد اخذ المسلمون فن البناء من اهل الحيرة الذين هم بدورهم قد تعلموه من الفرس[٩٤٤] ، ففي العهد الاموي اكتشف في خرائب بني جنيد والتي تقع على الضفة اليسرى للنهروان قصر لهم ، فيه ايوان كبير ومؤخرة على شكل بهو كبير يقع خلف الايوان يفتح عليهما بواسطة ابواب ثلاثة وهذا التخطيط البنائي يعرف بالطراز الحيري[٩٤٥] ، واستمر هذا النوع تحت هذه التسمية لقرون عدة[٩٤٦] ، حتى عهد المتوكل العباسي (٢٣٢-٢٤٧هـ)/(٨٤٦-٨٦١م) عندما بنى قصراً على الطراز الحيري في سامراء[٩٤٧].

لقد ساهمت الحيرة بشكل ملحوظ بنقل عرب العراق من البداوة الى الحضـارة ، كما ساهمت برفع عجلة التقدم الحضاري للمسلمين كل هذا يعد من الجوانب الايجابية الا ان هذا لا يعني انها تخلو من الجانب السلبي او ان هذا الجانب لم يلحق الاذى بالمسلمين اذا ما ابتعدنا عن جانب اللهو والغناء والخمرة فان هناك جانباً يعد الاخطر قدم من الحيرة قبل ان

---

(941) خليف ، حياة الشعر ، ص٢١٩.
(942) الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، دار الجيل ، بيروت ، د.ت ، ج٢ ، ص٢٣.
(943) سورة المائدة ، آية٩٠.
(944) الاندلسي ، تحفة الالباب ، ص٢١٨.
(945) خضير ، فريال مصطفى ، البيت العربي في العراق في العصر الاسلامي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص٤٣.
(946) عواد ، خزائن الكتب العربية في العراق ، ص٢١٦.
(947) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ ، ص٤ ؛ خضير ، البيت العربي ، ص٧٨.

تطأها اقدام المسلمين ومنذ بدايات نشر الدعوة الاسلامية ، فقد كان النضر بن الحارث من شياطين قريش وممن يؤذي رسول الله (ص) وينصب له العداوة ، وكان هذا كثير التردد على الحيرة حتى تعلم فيها احاديث ملوك فارس ورستم واسفندباذ وكان الرسول (ص) اذا جلس مجلساً يذكر فيه الله ويحذر قومه مما اصاب الاقوام التي سبقتهم ، كان النظر يخلفه في مجلسه ويقول "انا والله يا معشر قريش احسن حديثاً منه فيحدثهم عن ملوك فارس ثم يقول بماذا محمد احسن حديثاً مني"[٩٤٨] ، كما كان يشتري القيان من الحيرة حتى اذا ظفر بأحد يريد الدخول في الاسلام اخذه الى قينته وقال لها: أطعميه واسقيه وغنيه ، فأذا ما فعلت ذلك قال له "هذا خير مما يدعوك اليه محمد من صلاة وصيام وقتال"[٩٤٩].

وهذا امر طبيعي ، فكل مجتمع كبر او صغر يكون فيه الجانبان السلبي والايجابي ، فهنا لابد من تسليط الضوء على جميع الجوانب لاننا بصدد معرفة التأثير وهذا لابد له من ان يكون بجانبين سلبي وايجابي ، ولما كانت الكفة الموجبة قد علت على الاخرى ، لذا فان للحيرة دوراً تاريخياً جيداً في حياة العرب المسلمين عامة واهل العراق بصورة خاصة.

تأثير الأديان في المجتمع الحيري بعد الاسلام.

تناولنا في الفصل الاول الاديان في الحيرة ، وكان ابرزها الديانة النصرانية فضلاً عن وجود اليهود واديان اخرى[٩٥٠] ، وبعد ان اصبح الدين الاسلامي هو الدين السائد في الجزيرة العربية والبلدان المفتوحة ومن ضمنها العراق ، وجدوا اصحاب الاديان المختلفة انهم والواقع وجهاً لوجه ، لذلك بدأت مرحلة التأثير في المجتمع الاسلامي تظهر بعد الاستقرار ، ففي فترة خلافة ابي بكر وعمر لم يظهر أي تأثير لذلك ، او ربما كان ، لكن السلطة الاسلامية لم يكن بوسعها مواجهة مثل هذه التأثيرات ، لان اهتمام الدولة كان منصباً على اتمام الفتوح وتسيير الجيوش ، اما في خلافتي عثمان بن عفان، والامام علي (ع) فكانت مرحلة من عدم الاستقرار وكانت الفتن والحروب الداخلية تعصف بالأمة الاسلامية ، اما خلافة بني امية فبالرغم من توفر الاستقرار وان كان نسبياً الا ان بني امية

---

(948) ابن اسحق ، محمد ، سيرة ابن اسحق ، تح: سهيل زكار ، دار الفكر ، قم ، ١٩٧٨ ، ص٢٠١.

(949) الحوفي ، تيارات ثقافية ، ص٦٧.

(950) الطبري ، تاريخ ، ج٥ ، ص٢٦٦.

لم يكن هذا الامر – أي الرد على هؤلاء او مناظرات اصحاب الآراء- يعني لهم شيئاً بقدر حبهم للسلطة واللهو والمال.

اما العباسيون فكانت لهم رغبة في الوقوف على مثل هذه الاختلافات والرد عليها من خلال المناظرات العلمية ، ربما اعتبر العباسيون انفسهم بحكم قربهم من الرسول (ص) مسؤولين عن حماية الدين والدفاع عنه.

بعد مضي اكثر من قرن من الزمان على دخول الاسلام ارض العراق ، دخل عدد غير قليل في الاسلام ، سواء كان ذلك طوعاً ام كان هروباً من الضرائب او لأي سبب آخر ، لذا ان من دخل الاسلام من غير ايمان سوى الهروب من الضريبة او لغرض المساواة ، كان له تأثيراً على المجتمع لانه يحمل آراء تصطبغ بصفة اسلامية يزهر منها ما يتفق مع الاسلام ويذبل منها ما يخالفه(٩٥١) ، وهذا لا يتم الا عن طريق المناظرة والمحاججة ، وهذا ما حدث في الحيرة على وجه التحديد لانها كانت ذات اسس حضارية وعلم مأثور ، فمن الطبيعي ان ينهض اهلها ليستعيدوا حضارتهم وعلمهم المأثور(٩٥٢).

وكان في الحيرة سريان وكانت لهم مدارس يدرسون فيها تعاليمهم المسيحية ، وكان هناك يونان مثقفون ايضاً ، فكانت لهؤلاء اراء وافكار تبث في المجتمع ولها تأثيراتها(٩٥٣).

و كانت الزندقة موجودة في الحيرة قبل الاسلام(٩٥٤) ، وقد استمر تأثيرها على المجتمع بعد الاسلام ، وهنا لا نريد بالزندقة الزندقة الشكلية التي وصف بها اهل المجون والخلاعة(٩٥٥) ، فلكثرة الزندقة في الحيرة بعد الاسلام اصبح كل من لا يذكر الاخرة ينعت بالزنديق(٩٥٦) ، ويرى آدم متزان "المذاهب النصرانية هي الاصل الذي اتت منه جميع الآراء الاخرى التي جاءت بها الزنادقة ، فمثلاً ذهب منصور العجلي الملقب بالكسف الى ان اول من خلق الله عيسى بن مريم ثم خلق بعده علياً"(٩٥٧) ، كما ان السفاح في اثناء اقامته في الحيرة وجد ان هناك عددا" غير قليل من الملحدين وممن يحملون افكار

([951]) امين ، احمد ، فجر الاسلام ، ط٧ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص١٨٤.
([952]) المخزومي ، مدرسة الكوفة ، ص٢٨.
([953]) امين ، فجر الاسلام ، ص١٨٤.
([954]) الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص١٠٢ ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص١٦١.
([955]) الحوفي ، تيارات ثقافية ، ص١٣٦.
([956]) الاصفهاني ، الاغاني ، ج٤ ، ص٣١.
([957]) الحضارة الاسلامية ،دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧ ، ج٢ ، ص٥٩.

الخوارج[٩٥٨] ، لذلك ترتب على السفاح وجوب مناظرة هؤلاء ، ولابد من ان يحضر لهم من هو على قدر المسؤولية ، فوجد في الامام الصادق (ع) ذلك ، فاستدعاه من المدينة الى الحيرة ، فكانت له هناك مناظرة علمية رائعة دحض من خلالها افكار وآراء هؤلاء ، وكان الامام يتحدث بلغات متعددة منها العبرية والفارسية والسريانية وغيرها[٩٥٩].

وقد قصد مجلسه في الحيرة العديد من العلماء والطلبة لغرض الاستفادة من المناظرات هناك ، حتى بات من المتعذر على احد الوصول الى مجلسه من شدة الزحام ، فيصف محمد بن معروف الهلالي ذلك بقوله "مضيت الى الحيرة الى جعفر بن محمد (ع) ايام السفاح ، وقد تداك الناس عليه ثلاثة ايام متواليات ، فما كان لي حيلة ، ولا قدرت عليه من كثرة الناس وتكاتفهم عليه"[٩٦٠].

ويرى البعض ان الهدف من استدعاء السفاح للامام هو هدف سياسي ، حتى يكون السفاح على اطلاع وتقدير للحالة السياسية للكوفة وميلها نحو الامام لاخذ التدابير اللازمة[٩٦١] ، ويبدو ان هذا لم يكن في فترة السفاح ، ففترة خلافته لم تشهد تصعيداً مع العلويين بل على العكس ، الا ان سبب استدعاءه هو الجانب العلمي للرد والمناظرة مع اصحاب الآراء والاديان المختلفة.

كما قدم الامام الى الحيرة في فترة خلافة المنصور الا ان الجانب السياسي هذه المرة طغى على الجانب الديني من قبل المنصور فقط ، لانه كان قلقاً من وجود الامام في المدينة ، فدعاه وانزله الحيرة واجبره على البقاء هناك دون الكوفة خوفاً من التفاف الشيعة حوله ، لانه ادرك مدى تجاذب الناس حوله وان هذا سيتضاعف اذا ما اصبح بمرأى ومسمع منهم[٩٦٢] ، متجاهلاً بذلك حقيقة فكر الامام وابتعاده عن السياسة وعمله بالتقية حيث وصف ذلك الشهرستاني بقوله "دخل العراق واقام بها مدة ، ما تعرض للامامة قط ، ولا نازع احداً في الخلافة قط ، ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شط ، ومن تعالى

([958]) الحسني ، هاشم معروف ، سيرة الأئمة الأثنـى عشر ، مطبعة شريعت ،قم ، ١٤٢٥هـ ، ج٢ ، ص٢٧٠.

([959]) الكليدار ، حيدر محمد حسن ، الامام الصادق ودوره في المعرفة التاريخيـة ، رسـالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ١٩٩٧ ص٦٣.

([960]) القمي ، عباس ، سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار ، المطبعة العلمية ، النجـف ، ١٣٥٥هـ ، ج٢ ، ص٢٠.

([961]) الصغير ، محمد حسين ، الامام جعفر الصادق زعيم مدرسة اهل البيت ، دار سلوني ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص٩٥.

([962]) المظفر ، محمد الحسين ، الامام الصادق ، ط٣ ، دار الزهراء ، بيروت ، ج١ ، ص١٢٧.

الى ذروة الحقيقة لم يخف من حط"[٩٦٣] ، او ربما نزل الامام الحيرة بمحض ارادته حتى يثبت للمنصور انه لا ينوي الا اداء المهمة الدينية فقط.

وفي اثناء اقامة الامام الصادق (ع) في الحيرة دَلّ على قبر جده علي (ع) لان موضع قبره كان مخفياً طوال تلك الفترة ، وكان موقع القبر في الغري بظهر الكوفة من خلال وصفه لصفوان الجمال "اذا انتهيت الى الغري في ظهر الكوفة فاجعله خلف ظهرك وتوجه نحو النجف وتيامن قليلاً فاذا انتهيت الى الذكوات البيض والثنية امامه فذلك قبر امير المؤمنين (ع)" [٩٦٤].

وقد عَدّ البعض ان ارض الكوفة والحيرة تشرفت بمدفن الامام علي (ع) فيها[٩٦٥] ، لان مدفنه كان قريباً من النجف يسرة عن الغري يمنة عن الحيرة[٩٦٦].

الجانب الاقتصادي

يعد الجانب الاقتصادي احد الجوانب المهمة التي تمس حياة السكان ، لان ازدهار هذا الجانب يعود بالنفع على اهله وبقدره على المصر نفسه ، فأينما هناك انتعاش اقتصادي يقابله جذب واستقطاب للسكان ، الامر الذي يؤدي الى تنوع الحضارات ، ولهذا ان تطور الحياة الاقتصادية يُعدّ اساساً للتطور الحضاري ورقيه[٩٦٧].

يشمل الجانب الاقتصادي عدداً من المهن والحرف التي يقوم على اساسها اقتصاد هذا المصر او ذاك ، فيشكل المال ووفرته ركناً اساسياً في الدعم الاقتصادي ، لانه اداة التعامل ، لان وفرة الاموال والتعامل بها على وفق اساس اقتصادي صحيح يعود بالنفع على اهلها ، وكذلك العمل بالتجارة وهي مهنة السواد الاعظم من العرب قبل الاسلام وبعده اذ كان النبي (ص) يوصي بالتجارة لانها تدر على اهلها ارباحاً طائلة وقد جاء في الحديث النبوي الشريف "تسع اعشار الرزق في التجارة"[٩٦٨]. اما الصناعة فلها – ايضاً- دور

([963]) الملل والنحل ، ج١ ، ص١٨٣.

([964]) المجلسي ، محمد باقر ، بحار الانوار ، المطبعة الاسلامية ، طهران ، ١٣٨٨هـ ، ج١٠٠ ، ص٢٤٢ ؛ ابن طاووس ، فرحة الغري ، ص٨٣.

([965]) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج٢ ، ص١٩٤.

([966]) الحلفي ، كاظم ، لمحة تاريخية عن مشهد الامام علي بن ابي طالب خلال اربع عشر قرناً، مطبعة الناشر ، لبنان ، ١٩٧٧ ، ص١٨.

[967]) ابراهيم ، حقي اسماعيل ، اسواق العرب التجارية في شبه الجزيرة العربية ، دار الفكر ، عمان ، ٢٠٠٢، ص٩.

([968]) العلامة الحلي ، الحسن بن يوسف بن مطهر ، منتهى المطلب في تحقيق المذهب ، تح: حسن بشينماز ، لا.م ، تبريز ، ١٣٣٣هـ ، ج٢، ص٩٩٩؛ البحراني ، يوسف ، الحدائق الناظرة في

كبير في تحريك العامل الاقتصادي ولاسيما التخصص في المهن والحرف اليدوية التي اشتهرت بها بعض الامصار[٩٦٩].

لقد شهدت الحيرة شأناً تجارياً ممتازاً قبل الاسلام وبعده لفترة طويلة[٩٧٠] ، ويبدو ان الحيرة استمرت بممارسة اعمالها التجارية بعد تمصير الكوفة كون الاخيرة عُدِتّ مصراً عسكرياً في بداية نشأتها ، وكان اتجاه المسلمين وقتذاك نحو الفتوح لان معظم من نزل الكوفة منذ تأسيسهاهم العسكر واهلهم ، لذلك لا يمكن ان يعمل هؤلاء بالتجارة او أي جانب من الجوانب الاقتصادية الاخرى لان الجانب العسكري هو الاقوى وبخاصة وان الفتوح لم تنتهِ بعد ، ولما كان الاستقرار السياسي يولد انتعاشاً اقتصادياً لم تشهد الكوفة هذا الجانب الا بعد ان انتهت عمليات الفتوح واستقر السكان في الكوفة بعدها بدؤوا بممارسة الاعمال التجارية اذ شاركوا اهل الحيرة في التجارة والصيرفة وغيرها من الجوانب الاخرى.

استمرت الحيرة بنشاطها التجاري بعد الاسلام وكانت التجارة البحرية ترد اليها عن طريق البحر[٩٧١] ، وبتأسيس الكوفة لم ينتهِ دور الحيرة التجاري هذا بل اصبحت هناك علاقات اقتصادية مشتركة من خلال انتقال التجار الى الكوفة بعد فترة من الزمن.

ونتيجة للعمل التجاري البحري فقد توفرت فيها السفن حيث انتقل الرشيد من الحيرة الى الانبار عن طريق سفن الحيرة[٩٧٢] ، وكانت هذه السفن تحمل البضائع التجارية فيذكر نيكلسن "ان السفن التجارية القادمة من المحيط الهندي تاتي الى الحيرة عن طريق الفرات

احكام العترة الطاهرة ، تح: محمد تقي الايرواني ، مطبعة النجف ، النجف ، ١٣٨٣هـ ، ج٢، ص٣١٠.

(969) اما العامل الزراعي فقد كانت الحيرة تشتهر بزراعتها قبل الاسلام بفضل منطقة الكوفة حيث كانت تابعة لها وان هذا الجانب بقي على حاله بعد تمصير الكوفة لان الفلاحين وفق شرط خالد لهم وهو ابقاءهم على اراضيهم مقابل دفع الجزية. اذن لم يكن للحيرة دور في الجانب الزراعي بعد الاسلام لانضمام معظم المناطق الزراعية الى منطقة الكوفة حيث اشتهرت الكوفة بالزراعة ولاسيما زراعة الفواكه والتمور والزروع وغيرها ، اما الحيرة فهي دون الكوفة في هذا الشأن لانها شديدة التوغل في الصحراء لذلك اشتهرت بالتجارة وطغى عليها هذا الجانب دون غيره. ابن حوقل ، صورة الارض ، ص٢١٥؛ مصطفى ، المدن في الاسلام ، ص٣٢٦؛ آل ياسين ، راضي ، صلح الحسن ، مطبعة الزهراء ، بغداد ، ١٣٧٥هـ ، ص٥٣؛ ناجي ، عبدالجبار ، دراسات في المدن العربية الاسلامية ،مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٨٦، ص٣٥؛ البلاغي ، محمد علي ، الحيرة ، مجلة الاعتدال ، العدد الخامس ، السنة الثانية ، المطبعة العلوية ، النجف ، ١٣٥٣هـ ، ص٢١٣.

(970) الافغاني ، اسواق العرب ، ص٢٠٥.

(971) الطبري ، تاريخ ، ج٥، ص٥٧٨.

(972) ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ، ص١٩٠.

وتفرغ حمولتها"(٩٧٣) ، كما كانت في الحيرة صناعة السفن التي تنقل بضائع الحيرة الى الخليج العربي ومن ثم الى بلدان العالم المختلفة(٩٧٤).

واستمر تردد التجار عليها على الرغم من انتهاء دورها السياسي فقد استمرت تجارتها الخارجية وبخاصة مع مكة فعندما وفدوا اهل الكوفة على الخليفة عمر بن الخطاب ومعهم عمار بن ياسر وكانوا ينوون عزله فقال له الخليفة "ما الذي استعملتك عليه ، فقال: استعملتني على الحيرة وارضها ، فقال عمر: اما الحيرة فقد سمعنا بها وتجارنا يختلفون اليها"(٩٧٥).

وبعد ان استقرت الحياة في الكوفة ادى تجار الحيرة دوراً كبيراً في تنشيط تجارة الكوفة لما لهم من خبرة واسعة في هذا المضمار(٩٧٦) ، وهذا لا يعني ان الحيرة توقفت تجارتها بل على العكس فقد كان بعض الولاة من اتخذها مقراً له الامر الذي ادى الى ازدهار الحياة الاقتصادية فعلى سبيل المثال عندما استقر فيها يوسف بن عمر الثقفي بنى في الحيرة سوقاً عرف بسوق يوسف(٩٧٧) ، ووجود السوق التابع لمثل هذه الشخصيات يعني توفر المواد بصورة متكاملة كونه تابع للوالي ، فيكون هذا السوق مدعاة لتطور الجانب الاقتصادي بين الحيرة والكوفة واسواق البلدان الاخرى ولاسيما سوق اليمن فقد كانت رابطة سوق قوية تربط سوق الحيرة مع سوق اليمن في عهد يوسف بن عمر اذ بضائع اليمن تصل اليه(٩٧٨). كما ان هناك عاملاً مشجعاً لازدهار التجارة في الحيرة وهو تكدس الاموال عند اهلها وانتشار الصيارفة فيها ، فعندما اصاب المسلمون فيلاً بفتحهم للمدائن كتب اليهم الخليفة عمر ببيعه ان وجدتم له مباعاً فوجد المسلمون ان احد من اهل الحيرة يستطيع شراءه فبيع له(٩٧٩).

ولما فتح المسلمون نهاوند في سنة٢١هـ/٦٤١م اصابوا فيها كنزاً للنخارجان وكان سفطان فيهما تاج مذهب مكلل بالجواهر الفاخرة وخواتم وقلائد وياقوت ودّر وزبرجد لم

---

(973) أ.ي ، الحالة الاقتصادية في عهد الخلافة العباسية ، ترجمة جليل كمال الدين ، مجلة المورد ، مج٢، العدد الثالث ، ١٩٧٣، ص٣٤.
(974) فخر الدين ، تاريخ النجف ، ص٤٧٨.
(975) الطبري ، تاريخ ، ج٤، ص١٦٤؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج٥٢، ص١٩٩.
(976) الزبيدي ، محمد حسين ، الحياة الاجتماعية ، ص١٥٠.
(977) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٧٦؛ ابن الفتيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص١٦٨.
(978) الاغاني ، الاصفهاني ، ج٢، ص٩٧.
(979) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٨٢؛ الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ١٩٦.

يُرَ مثله قط فأمر الخليفة عمر ببيعها فاشتراها احد المسلمين بعطاء الذرية والمقاتلة وقيل بأعطية المصرين أي – الكوفة والبصرة - فباع احد السفطين على رجل

من اهل الحيرة بفضل كثير[٩٨٠].

وهذا ان دل على شيء فانه يدل على تكدس الاموال بشكل كبير جداً بحيث يساوي نصف الكنز عطاء اهل الكوفة وهذا ليس غريباً على الحيرة واهلها لانها مدينة شهدت ازدهاراً اقتصادياً دام عدة قرون حتى انها نافست اعظم إمبراطوريات زمانها.

ولكثرة الاموال امتهن اهل الحيرة مهنة الصيرفة والمسلفة وكان معظم صيارفة الحيرة من العباديين[٩٨١] ، كما انهم استعملوا الصك وكان ذلك في عهد الخليفة عمر حيث ذكر البيروني "ان صكاً رفع الى الخليفة من الحيرة يستحق في شهر شعبان"[٩٨٢].

ان استخدام الصكوك يعني ان هناك عملية تجارة متطورة ووفرة في الاموال ونشاطاً في التبادل التجاري ، ولشهرة الحيرة التجارية وصفها ابن الفقيه بقوله "ابعد الناس نجعة في الكسب بصري وخوزي ومن دخل فرغانة القصوى والسوس الاقصى فلا بد من ان يرى بها بصرياً او خوزياً و حيرياً"[٩٨٣] وهذا النص يعطي صورة واضحة لنشاط هؤلاء التجار ووصولهم الى اصقاع الارض النائية وهم محملون بتجارتهم.

وبعد استقرار الكوفة وزيادة نشاطها التجاري جعل اهل المهن والصناعات ينتقلون من الحيرة الى الكوفة ومن بين اهم هؤلاء الصيارفة، وكان معظمهم من العباديين اذ كان معظم صيارفة الكوفة منهم أي انهم كانوا من العناصر المؤثرة في النشاط الاقتصادي لهذه المدينة[٩٨٤] ، فكان اكبر محلات الصيرفة في الكوفة للمسيحيين الذين كانوا في الحيرة[٩٨٥] ، فقد تحكموا بالمسكوكات الفارسية الفضية والبيزنطية الذهبية حيث تركزت عملية التبادل التجاري والصيرفة بأيديهم[٩٨٦] ، وقام هؤلاء الصيارفة دور اقتصادي وسياسي في ان

([980]) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٩٨ ؛الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص١٩٧؛ ؛ ابن الزبير ، الرشيد ، الذخائر والتحف ، تح: محمد حميدالله ، مطبعة دولة الكويت ، الكويت ، ١٩٥٩، ج١، ص١٦٥.

([981]) غنيمة ، الحيرة ، ص١٧.

([982]) الاثار الباقية ، ص٣٠.

([983]) مختصر كتاب البلدان ، ص١٧٦.

([984]) الطريحي ، التأثيرات النصرانية ، ص٥١.

([985]) ماسنيون ، خطط الكوفة ، ص٩٧.

([986]) البراقي ، تاريخ الكوفة ، ص١٢٨؛ ماسنيوس ، خطط الكوفة ، ص٩٧.

واحد فقد تعهد ابن مقرن للمنصور سنة١٤٥هـ/٧٦٤م بالدعة والطمأنينة للكوفة لان هؤلاء الصيارفة كانوا على علاقة بالمعارضة السياسية في الكوفة[٩٨٧] ، ولم يقتصر تأثير الحيرة على صيارفة الكوفة فحسب بل تعداه الى بغداد عندما انشئت فقد انتقل صيارفة الكوفة اليها وبذلك يكون الصيارفة في بغداد مدينين للكوفة في عملهم[٩٨٨].

تحولت الكوفة بفعل هؤلاء الى مركز تجاري اقتصادي هام لان هؤلاء الصيارفة يقومون بتحويل النقود الفضية الى ذهبية كون الاخيرة تتحمل الخزن اكثر من معدن الفضة مما جعل الناس ومنهم الدولة ترغب في اقتناء الذهب ، وان اقتناؤه يؤدي الى نقص في السيولة النقدية أي نقص في كمية النقود المعروضة للتداول ومن ثم ارتفاع سعر الصرف ويمكن اعتبار هذه الزيادة هي الربح التي يحصل عليه الصراف[٩٨٩] ، من هنا ازدهرت الكوفة بالعمل الصيرفي وقصدها كثير من التجار ولاسيما الذين يقصدون الشرق للتجارة لتحويل اموالهم الى العملة الفضية لاستخدامها هناك ، كما كان يفد اليها من هو قادم من الغرب لتحويل ما لديه من نقود ذهبية من اجل تصريفها[٩٩٠].

لقد كان اهل الذمة ممن يعملون بالصيرفة ولا يبالون بالفائدة ، ولما كان الاسلام قد احل البيع وحرم الربا وفق الاية القرآنية "وأحَلَّ اللهُ البيع وحرم الربا"[٩٩١] لذا كان صيارفة الكوفة من المسلمين قد فرقوا بين الصيرفة والتجارة للتخلص من هذا الاشكال ، وكانوا يبيعون المدنيين بضائع بسعر اعلى بكثير من سعر السوق ويكون الدفع مؤجلاً والفرق بين سعر السوق وسعر البيع هو الفائدة المستحقة عن ثمن البضاعة وبذلك فان هذه العملية كانت تجلب لهم ارباحاً كبيرة[٩٩٢].

كما تعامل اهل الذمة بالسفاتج[٩٩٣] في الكوفة[٩٩٤] ، وكان من شأن استخدام الصكوك والسفاتج هو ان ينشطّ التبادل التجاري فكان الزبير بن العوام يأخذ الاموال بمكة من التجار وهؤلاء يستلمون اموالهم في الكوفة عن طريق السفاتج[٩٩٥].

---

(987) الطبري ، تاريخ ، ج٧، ص٦٣١.
(988) البراقي ، تاريخ الكوفة ، ص١٢٨.
(989) ابراهيم ، اسواق العرب التجارية ، ص١٥٢.
(990) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص٢٨١.
(991) سورة البقرة ، آية ٢٧٥.
(992) الزبيدي ، محمد حسين ، الحياة الاجتماعية ، ص١٧٢.
(993) السفتجة: وهي ان تعطي مالاً لاخر وللاخر مال في البلد المعطي والهدف منه هو تأمين سلامة الطريق. الزبيدي ، تاج العروس ، ج٢، ص٥٩.
(994) ابراهيم ، اسواق العرب ، ص١٥٧.

وزاول سكان الحيرة بعض الحرف اليدوية ومعظم هؤلاء من الفرس والموالي والنبط[٩٩٦] ، ولما انتقل هؤلاء الى الكوفة تعلم اهلها هذه الحرف منهم حتى صار خز الكوفة يُضرَب به المثل ، فلا يذكر الخز الا وتُذكر الكوفة معه لاشتهارها بهذه المهنة[٩٩٧].

ويبدو ان لهذا المصنوع سوقاً رائجاً في الحجاز وله شهرة في اسواقها فقد "قيل لعمر بن ابي ربيعة ما احب شيء أهدي اليك؟ قال: بينا انا في منزلي ذات ليلة اذ طرقني رسول مصعب بن الزبير فاذا بثياب من وشي وخز العراق لم ار مثلها قط"[٩٩٨].

ولما كانت هذه الصناعة او المهنة ذات شهرة واسعة فان التجار تحملها الى اسواق العرب المختلفة وبالمقابل فانهم يعودون محملين ببضائع تلك الاسواق ، فقد روى ابن سعد عن الاسود ابن شيبان قال "رأيت الشعبي بالكوفة عليه دراعة حمراء لبس عليه رداء وعمامة حمراء من ثياب اليمن"[٩٩٩] ، وفي ولاية يوسف بن عمر كان يضع له سرادق حبرة باليمن[١٠٠٠] ، كما ان احد ولاة الكوفة اهدى السيد الحميري (ت١٧٣هـ/٧٩٠م) رداءً عدنياً[١٠٠١] ، وهذا يعني ان هناك تبادلاً تجارياً قائماً بين اسواق الكوفة والحيرة واليمن.

اشتهرت العرب بصناعة السيوف وكان لاهل الحيرة نصيب فيها فقد عرفت سيوفهم بالحارية[١٠٠٢] ، ولما انتقلت هذه الصناعة الى الكوفة اطلق على سيوفهم اسم الكوفية ، ويبدو ان معظم من عمل بصناعة السيوف في الكوفة من الفرس او السريان من خلال المصطلحات الفارسية والسريانية التي وردت في رسالة الكندي الى الرشيد وهو يعلمه بهذه السيوف[١٠٠٣]. لقد اتقن اهل الكوفة هذه الصناعة حتى وصفت سيوفهم بانها اقطع السيوف واصبرها على الكريهة وذات جوهر صافٍ قد يصل سعر الجيد منها الى ثمانية دنانير واقل اثمانها ديناران ودينار[١٠٠٤].

([995]) السرخسي ، شمس الدين ، المبسوط ، مطبعة السعادة ، مصر ، د.ت ، ج١٤، ص٣٧.
([996]) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ص٢٥٧.
([997]) ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص٢٣١؛ ابراهيم ، اسواق العرب ، ص١١٩.
([998]) الاصفهاني ، الاغاني ، ج٩، ص٢٠٤.
([999]) ابن سعد ، الطبقات ، ج٦، ص٢٥٩.
([1000]) الاصفهاني ، الاغاني ، ج٢، ص٩٧.
([1001]) الطبري ، تاريخ ، ج٧، ص٢٠٩.
([1002]) ابن سيدة ، ابو الحسن علي بن اسماعيل ، المخصص ، المطبعة الاميرية ، مصر ، ١٩٠٣، ج٦، ص٢٦.
([1003]) يعقوب بن اسحق ، رسالة الكندي في عمل السيوف ، تح: فيصل دبدوب ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٢، ص٢١.
([1004]) المصدر نفسه ، ص٢٧.

كما شهدت الحيرة تفوقاً في فن الصياغة وكان فيها عدد من الصاغة[1005] ، الذين انتقلوا الى الكوفة حيث شهدت مهنتهم رواجاً شديداً لزيادة الترف والتطورفي المجتمع الكوفي ، وكانت ادوات زينة النساء محور هذه الصناعة[1006].

واشتهرت الحيرة بصناعة النبيذ وظلت هذه الصناعة ملازمة للحيرة دون غيرها من المهن على الرغم من اكتساب اهل الكوفة لها الا ان اهل الحيرة انفردوا بها دون غيرهم ولعل ذلك يرجع الى طبيعة التعامل الاسلامي معهم على انهم من اهل الذمة فيجوز لهم عمل نبيذهم وتناوله دون الاتجار به[1007] ، فكان ذلك مدعاة لزيادة تردد الناس سواء اهل الكوفة ام غيرهم ممن سئم حياة الجد ، فقد أثرى اصحاب الحانات فيها ثراءً عظيماً فصاروا يتنافسون على تجويد الخمر وجذب الزائرين حتى كثر الذين ذهبت ثرواتهم وفدحهم الدّين من جراء خمرة الحيرة[1008] ، ومما ساعد اهل الحيرة على نجاح هذه الصناعة لديهم وفرة الكروم الذي يعد المادة الاولية لصناعة الخمرة.

ولما كان اكثر المترددين على حانات الحيرة هم اهل الكوفة فان جماعة منهم استهوته هذه المهنة وكانوا في قرية تدعى زرارة وهي تابعة للكوفة الامر الذي دعا الامام علي (ع) ان يعبر اليهم وامر بالنيران فاضمرت فيها حتى اكلتها النيران[1009] ، لذلك ان هذه الصناعة والمهنة كانت ترد للحيريين بمورد كبيراً اثر عليهم واضر باهل الكوفة.

ولتنوع الصناعات في الحيرة واعتماد اهلها على مهنهم اليدوية لا بد من ان نقف عند هذه الرواية الطريفة لاحد ابناء الحيرة وكان عاقلاً ظريفاً وهو يواجه احد ولاة الكوفة في العهد الاموي وكان يذم الحيرة كثيراً فقال له "اتعيب بلدةً يضرب بها المثل في الجاهلية والاسلام! قال: وبماذا تُمدَح؟ قال: بصحة هوائها ، وطيب مائها ، ونزهة ظاهرها ، تصلح للخُفَّ والظلف ، سهل وجبل ، وبادية وبستان ، وبرٌ وبحر ، محلٌ للملوك ومزارهم ومسكنهم ومثواهم ، وقد قدمتها –اصلحك الله- مُخِفّاً فرجعت مثقلاً ووردتها مُقلاً فصيرتك مكثراً ، قال: فكيف نعرف ما وصفتها به من الفضل؟ قال: بان تصير اليّ ، ثم ادعُ ما شئت

(1005) غنيمة ، الحيرة ، ص٨٣.
(1006) الزبيدي ، محمد حسين ، الحياة الاجتماعية ، ص٢٠٥.
(1007) ابن سلام ، الاموال ، ص١٣٤.
(1008) الافغاني ، اسواق العرب ، ص٣٨١.
(1009) الحموي ، معجم البلدان ، ج٤، ص٤٧١؛ البراقي ، تاريخ الكوفة ، ص١٥٢.

من لذات العيش ، فوالله لا اجوز بك الحيرة فيـه ، قال: فاصنع لنا صنيعاً واخرج من قولك ، قال افعلُ ، فصنع لهم طعاماً واطعمهم من خبزها وسمكها وما صيد من وحشها من ظباء ونعام وارانب وحبارى ، وسقاهم ماءها من قلالها ، وخمرها من انيتها ، واجلسهم على رقمها –وكان يتخذ بها من الفرش اشياء ظريفة- ولم يستخدم لهم حراً ولا عبداً الا من مولديها ومولداتها من خدم ووصائف ووصفاء كانهم اللؤلؤ ، لغتهم لغة اهلها ، ثم غناهم حنين واصحابه في شعر عدي بن زيد شاعرهم واعشى همدان لم يتجاوزهما ، وحياهم برياحينها ونقلهم على خمرها ، وقد شَرِبُوا بنواكهها ، ثم قال له: هل رأيتني استعنت على شيء مما رايت واكلت وشربت وافترشت وشممت وسمعت بغير ما في الحيرة؟ قال لا والله ، ولقد احسنت صفة بلدك ونصرته فاحسنت نصرته والخروج مما تضمنته فبارك الله لكم في بلدكم"[١٠١٠]

ان اعتماد اهل الحيرة على انفسهم من خلال ما اظهره النص يؤدي الى ازدهار الحياة الاقتصادية من خلال عمل الكل ، ويمكن القول ان الحيرة كان لها شان كبير في التجارة قبل الاسلام وبعده الا ان الاهم من هذا هو انتقال قسم كبير من هذه التجارة والايدي العاملة المختصة بالصناعة والحرف اليدوية الى الكوفة المصر الاسلامي الجديد فازدهرت الحياة في الكوفة وظهرت حياة الترف وبطبيعة الحال فان هذا الانتعاش الاقتصادي يؤدي الى تنوير الحالة الفكرية والادبية ، ولم يحدث هذا الا بعد ان استقرت الدولة وانتهت الصراعات وتوقفت الفتوحات.

الجانب الادبي

تعد الكوفة احد المراكز الاساسية للثقافة الاسلامية بعد العهد الراشدي وتحديداً في العصر الاموي وصدر العصر العباسي ، وكان لذلك عدة عوامل لعل ابرزها ،   هو وجود الحيرة على مقربه منها ، فلم تكن حجارة القصور التي استخدموها اهل الكوفة ليقيموا بها بناءهم[١٠١١] ، الارث الوحيد المنقول من الحيرة الى الكوفة فانهم ايضاً ورثوا كثيراً من مقوماتها الثقافية والادبية ، فقد اخذت الكوفة سنة الحيرة ، وسارت على منوالها

([1010]) الاصفهاني ، الاغاني ، ج٢، ص٢٤٩.
([1011]) الطبري ، تاريخ ، ج٤، ص٤٦؛ بركلمان ، العرب والامبراطورية العربية ، ص١٦٩.

القديم ، وازدهرت سريعاً ، على حين تراجعت الحيرة الى الوراء حتى ليصح القول بان الكوفة وريثة الحيرة[١٠١٢].

ولعل الارث الحضاري يختلف عن الارث المادي ، لان الارث الاول لا ينتقل كله في آن واحد بل يكون بالتدريج اما بالتماس المباشر او بانتقال الافراد ، وهذا ما حصل في الحيرة ولذا تحقق هذا الامر في الحياة الادبية للكوفة من خلال تأثيرها على الشعراء الذين نهلوا من عمالقة الشعر العربي الذين كانوا فيها ، فقد كانت اشعار العرب فيها تعد كنزاً لا يضاهى بالنسبة للشعر العربي ، فيذكر ان النعمان بن المنذر (ت٦١٣م) نسخ اشعار العرب ووضعها في كراريس ثم دفنها في القصر الابيض فلما قدم المختار الحيرة قيل له "ان تحت القصر كنزاً فاحتفره ، فاخرج تلك الاشعار"[١٠١٣].

لذلك قامت حركة احياء القديم في الكوفة على هذا الاساس حيث وقع لها من الشعر اكثر مما وقع لغيرها من مدن العراق ولاسيما البصرة لذلك كان رواتها اكثر حفظاً واوسع رواية[١٠١٤].

كما ان لتاريخ الحيرة وحياة ملوكها اثراً على الشعر العربي والحياة العقلية للعرب المسلمين ، فاحاديث جذيمة الابرش والزبّاء ، والتغني بالخورنق والسدير ، واقاصيص سنمّار[١٠١٥] ، وزهد بعض ملوكها ، والامثال التي ضربت فيها[١٠١٦] ، وغيرها كل هذا كان له اثر في آداب العرب فيما بعد ، فمعاوية عندما كان يستمع لاخبار ملوك الحيرة في مجلسه[١٠١٧] ، كان يريد من ذلك الاستفادة من هذه التجارب وبخاصة وان الحيرة كانت لها شخصيتها العربية التي لم يطغ عليها سلطان الفكر الاجنبي[١٠١٨].

([1012]) خليف ، حياة الشعر ، ص٢٣٢.

([1013]) ابن جني ، ابي الفتح عثمان ، الخصائص ، تح: محمد علي النجار ، ط٢، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، ج١، ص٣٨٧.

([1014]) البهبيتي ، نجيب محمد ، تاريخ الشعر العربي حتى اخر القرن الثالث الهجري ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٦١، ص٢٠٣.

([1015]) لمزيد من التفاصيل ينظر: الطبري ، تاريخ ، ج٢، ص٦٥؛ ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص٦٥؛ عبدالغني ، الحيرة ، ص٥٥٨.

([1016]) لمزيد من تفاصيل ينظر: الميداني ، ابي الفضل احمد بن محمد ، مجمع الامثال ، تح: محمد محي الدين عبدالحميد ، مطبعة السنة المحمدية ، بيروت ، ١٩٥٥، ج٢، ص٤٤١.

([1017]) شيخو ، شعراء النصرانية ، ج١، ص١٠٧.

([1018]) البهبيتي ، تاريخ الشعر العربي ، ص١٩٨.

كما ان هشام بن عبد الملك عندما نقل اليه خالد بن صفوان- وكان هذا في الحيرة- اخبار من تزهد من ملوك الحيرة بكى هشام حتى اخضّبت لحيته وامر بنزع ابنيته ونقلان قرابته وحاشيته واهله وحشمه من جلسائه ، ولزم قصره[١٠١٩].

وهكذا قد حظيت الحيرة بهذا الكم من الارث الحضاري والادبي الذي جعل لها ذكراً في محافل الخلفاء ومجالس الشعراء والادباء ، ولما كانت كذلك فقد اصبحت محطة لمعظم الشعراء ولم تقتصر هنا على شعراء الكوفة فحسب بل تعدى ذلك الى البصرة والحجاز[١٠٢٠].

تعددت اسباب جذب الشعراء للحيرة ويمكن ان نقول ان بداية نشوء الكوفة لم تكن بالصورة التي وصلت اليها بعد عهد الخلفاء الراشدين ، لان اهلها كان شغلهم الشاغل الفتوحات ، وبطبيعة الحال فان الحيرة في تلك الفترة بقيت على ازدهارها الادبي والثقافي ، لان الحياة المدنية والاستقرار لم يستتب في الكوفة بعد ، وما ان قامت فيها الحياة المدنية والادبية حتى انتقل اليها العديد من اهل الادب والفن لتدخل اسماؤهم في الجو الادبي الجديد في الكوفة[١٠٢١] ، الا ان الحيرة ظلت تغذي الكوفة من الناحية الادبية ولفترة تكاد تكون طويلة فبالإضافة الى وجود خزائن الشعر القديم ، ومعلقات عمالقة الشعراء في الحيرة فان هناك جانب اخر دعا بعض الشعراء الى النزول فيها مراعاة لجانب الكوفة الديني ، ومعروف ان الكوفة قامت مصراً اسلامياً يحمل مقومات المدينة الاسلامية وبخلاف هذا تماماً كانت الحيرة النصرانية التي بقيت على ما هي عليه وفقاً لصلحها والذي نعنيه هنا هو الخمر ، وكان لهذا الجانب اثر كبير على الشاعر نفسه فمعظم الشعراء تنطلق مواهبه الشعرية في اجواء الخمرة والكأس ، فكانوا يخرجون اليها يتنادمون باشعار القدامى والمحدثين بالنقد والاطراء ، وهم يشربون[١٠٢٢] ، فكان الشاعر الكوفي الاقيشر (ت٨٠هـ/٦٩٩م) ، احد هؤلاء الشعراء التي جذبتهم بيوت الخمرة في الحيرة ، فكان يشرب في بيت خمار هناك ، فجاءه الشرط ليأخذه فتحرز منهم واغلق بابه وقال: لست

([1019]) الاصفهاني ، الاغاني ، ج٢، ص٩٩.
([1020]) المصدر نفسه ، ج٢١، ص٢٢٤.
([1021]) بيومي ، السباعي ، تاريخ الادب العربي ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، د.ت ، ، ج١، ص٧٢.
([1022]) البهبيتي ، تاريخ الشعر العربي ، ص١٩٥.

اشرب ، فما سبيلكم عليَّ! قالوا: رأينا قدح الشراب في كفك وانت تشرب ، قال: انما شربت من لبن لقِحةٍ لصاحب الدار ، ثم انشد يقول:

انمـــا لقحتنـــا باطيـــةٌ فاذا ما مـزجت كانـت عجب

لبنٌ اصـفرٌ صـــافٍ لونـــه ينزع الباسور من عجب الذَّنب

انما نشـرب مـن اموالنـــا فسلُوا الشرطي ما هذا الغضب(١٠٢٣).

ولعل الشرطة هناك كانت تتابع وتلاحق المسلمين ممن يشرب الخمرة وتمنعهم من ذلك لما لحق مجتمعهم من انحلال وهدر للاموال ، اضافة الى تحريمها من قبل الاسلام ، لان اهل الحيرة وكما هو مبين سابقاً وفقاً لصلحهم فهم يشربون ويبيعون الخمر في محالهم ، أي لا علاقة للشرطة بهم اطلاقاً.

كما ان الشاعر المتوكل الليثي وهو كوفي وممن يقصد الحيرة ايضاً ، فبينما هو في احد أديرة الحيرة حتى اتته امرأة حيرية تطلب منه ان ينسب اليها من شعره ، فقال فيها:

اجَدَّ اليوم جيرتُكَ احتِمالاً وَحَثَّ حُداتُهم بهمُ الجمالا

وفي الاظعان آنسة لعُوبٌ ترى قتلي بغيرِ دمٍ حلالا

أميةُ يوم دير القس ضنَّت علينا ان تُنَوِّلنا نــوالا

أبيتي لي فَرُبَّ أخٍ مُصافٍ رُزِئت وما احبُّ بهِ بدالا(١٠٢٤).

اما الشاعر عبد الله بن ايوب المعروف بالتيمي (ت حوالي٢٠٩هـ/٨٢٤م) ، فكان هذا خليعاً ماجناً ومن الوصافين للخمرة حتى استنفد شعره او اكثره في وصفه للخمر(١٠٢٥) ، ويبدو ان الشاعر كان يشربها في الحيرة في احدى حاناتها فيسكر وينصـرف ، فقال يوماً وهو يحن ويتشوق لتلك الايام لابن عم له يقال له قبيصة كانا يسكران معاً:

هل الى سكرة بناحية الحيرة شـنعاء يا قبيص سـبيلُ

وابو التيمان في كفه القـر عة والراس فوقـه اكليـل

وعرارٌ بيــذق الشــطر نج يفتن فيــه قال قيــلُ(١٠٢٦)

اما القسم الثاني من الشعراء ممن جذبته جمال الحيرة وسحرها لا خمرتها وحاناتها هذه المرة ، لان بعض الشعراء ترتبط روحيته الشعرية بالطبيعة وجمالها ، وبالمدينة

([1023]) الاصفهاني ، الاغاني ، ج١١، ص١٩١.
([1024]) الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٢، ص١٣٠.
([1025]) المصدر نفسه ، ج٢٠، ص٣٧.
([1026]) المصدر نفسه ، ج٢٠، ص٤٤.

وعمرانها فيقتبس من مناظرها ويجعلها مادة لشعره ، وكان من بين هؤلاء الشعراء هو علي بن محمد العلوي فكان ينظر الى جمال الحيرة واديرتها ويقول:

كم وقفة لك بالخورنــق　　لا تــوازي بالــمواقف

بين الغدير الى السـدير　　الى ديارات الاســاقف

فمدارج الرهــبان في　　اطمار خائفــة وخائف

دمـنٌ كـان رياضـهـا　　يُكسـيَنَ اعلام المطارف

وكأنمــا غدرانهــا　　فيها عشور في مصاحف[١٠٢٧].

اما حال ربيعها حين تكتسي ارضها بساطاً اخضراً وتزهر شقائق النعمان في رياضها فتكون ذات منظر آخاذ يفتتن به الشاعر الذي يبحث عن المناظر التي تسحذ مخيلته بعيداً عن اجواء الكوفة ، فكان ربيعها مادة شعرية للشاعر الكوفي محمد بن كناسة فكان حين ينظر الى برها ومنظر مائها وجمال زينة زهرها يقول:

الان حين تزّين الظّهــر　　ميثاؤه وبراقه العُفــرُ

بسط الربيع بها الرياض كما　　بسطت قطوع اليمنةِ الخمر

بـرية فـي البحر نابتــةٌ　　يجبى اليها البرُ والفجـر

وجرى الفرات على مياسرها　　وجرى على ايمانها الزهرُ

وبدا الخورنق في مطالعها　　فـرداً يـلُوحُ كانه الفجر

كانت منازل للملوك ولـم　　يعلـم بهــا للملك قبرُ[١٠٢٨].

ولم يقتصر جمال الحيرة وسحرها على جذب شعراء الكوفة فحسب ، بل تعدى ذلك ليشمل شعراء البصرة والحجاز وكانت دوافع هؤلاء الشعراء متعددة ، فشعراء البصرة بطبيعة الحال يقصدون الحيرة كونها مستقر ومنبع اصالة الشعر العربي القديم ومنها ينطلق الى حولها لذلك حظيت الكوفة بالنصيب الاوفر من الشعر دون غيرها من المدن لقربها من الحيرة وكونها وريثة لها وتسلمت الامانة في الاداب من الحيرة وسبب هذا الانتقال هو وحدة المكان والزمان واللغة ورابطة الدم ، لذا لم يجد شعراء البصرة بداً من النزول في الحيرة للاطلاع على اصالة اشعارها والتلذذ بلهوها فكان الشاعر ابو حية الهيثم

(1027) الشابشتي ، الديارات ، ص١٥٢.

(1028) الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٣، ص٢٧٢.

بن الربيع المعروف بالنميري (ت١٨٣هـ/٨٠٠م) ممن وصلها ونظم اشعاراً بحق اهلها(١٠٢٩).

اما شعراء الحجاز فقد وطئت اقدامهم ارض الحيرة اياً كان السبب فهذا عبد الله الاحوص (ت١٠٥هـ/٧٢٣م) حجازي ما جن عاشق للنساء احب امراة من الحيرة من بني خثعم فقال فيها:

يا ليت شعري عمن كلفت به مِنْ خثعم اذ نأيت ما صنعوا

قوم يحلون بالسـدير وبالـ حيرة منهم مرأى ومستمع(١٠٣٠).

اما ابن الفرزدق شاعر الحجاز الشهير فقد نزل الحيرة لكنه يريد ان ينهل من كرم اهلها لا من شعرها ، لما طلب من اهلها ان يسكن في قراهم مذكرهم بأبيه الذي كان شاعرهم ومادح الحيرة واهلها فاقروه واكرموه مئة ناقة وهذا يدل على ما قدمه الفرزدق لاهل الحيرة من شعر ، وما هم عليه من وفاء لرد الجميل ، فضلاً عن حبهم وتقديرهم للشعر والشعراء(١٠٣١).

كما انتقل مقابل ذلك من الحيرة الى الكوفة ابن الشاعر الحيري الشهير عدي بن زيد والمعروف بالاسود الى الكوفة حيث عرفت المنطقة التي سكنها بالسوادية(١٠٣٢) ، وبالرغم من ان الاسود بن زيد لم يكن شاعراً الا ان هذا يعني ان هناك انصهاراً مستمراً للثقافة الادبية ما بين الحيرة والكوفة بوجه الخصوص ، لان الابناء بطبيعة الحال هم نقلة الثقافة والموروث الادبي عن الاباء وان لم يكونوا كآبائهم ، ولما كانت الحيرة تستقبل العدد الكبير من الشعراء الكوفيين وان تعددت الاسباب لذلك برع شعراء الكوفة وذاع صيتهم في الشعر دون غيرهم ، وهذا ينطبق مع راي ابن خلدون عندما يقول "واهل الدول ابداً يقلدون في طور الحضارة واحوالها للدولة السابقة قبلهم فاحوالهم يشاهدون ومنهم في الغالب ياخذون"(١٠٣٣) وهذا بالفعل ما حصل للكوفة من الحيرة من انتقال للحضارة والادب والعلوم والفنون.

ولم يقتصر الامر على انتقال الشعر والادب بل انتقل الخط الحيري الى الكوفة ايضاً حتى بات يعرف بالخط الكوفي ، ثم ازداد زخارف وانواعاً عبر الحضارات

(1029) المصدر نفسه ، ج١٦، ص٢٤١.
(1030) المصدر نفسه ، ج٤، ص٢٠١.
(1031) الاصفهاني ، الاغاني ، ج٢١، ص٢٢٤.
(1032) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٧٧.
(1033) العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ص١١٩.

الاسلامية حتى وصل الى ما نراه الان(١٠٣٤) ، وبتطوره اصبح يكتب بشكلين البسط والمقور الذي كتب به اصحاب الرسول (ص) القرآن الكريم في الحجاز(١٠٣٥).

وصفوة القول ان ما اشتهرت به الحيرة من فن وعلم وما نقل عن اهلها ما هو الا دليل صادق على انهم كانوا على حظ وافر من الآداب بعد ان تسربت اليهم علوم واداب الفرس واليونان(١٠٣٦) ، الا الشعر الذي تميز العرب به فقط حتى قيل ان العرب احبت ان تشارك الفرس في آدابهم وصنائعهم وانفردت بشعرها(١٠٣٧) ، وقد انعكس هذا على الكوفة القريبة من الحيرة حيث انصهرت الحضارة في بوتقتها حتى اصبحت قلعة فكرية ادبية يشار اليها بالبنان ، وقبلة يهواها اهل العلم والعلماء فقد حط بها الامام ابو حنيفة النعمان (ت١٥٠هـ/٧٦٩م) وغيره.

لذلك اصبحت الكوفة بفضل قربها من الحيرة ومن انتقل اليها من اهل العلم والعلماء قاعدة فكرية ادبية رصينة استطاعت ان تتأثر وتؤثر في الحياة العلمية والادبية للمجتمع الاسلامي.

شعراء الحيرة في البلاطين الاموي والعباسي

قبل البدء بالحديث على علاقة شعراء الحيرة بالبلاط الاموي اولاً ، لابد من الاشارة الى طبيعة الشعراء بوجه عام ، فالشاعر عادة يستخدم طاقته الشعرية للتعبير عما يختلج في نفسه ، سواءٌ أكان ذلك مقنعاً ام لا ، أي ان الشاعر يعبر عن الاشـياء – في كثير من الاحيان- مثلما يراها ويفهمها ، بغض النظر عن الاصول والقواعد الدينية والاجتماعية او غيرها وقد اشارت الآية القرآنية لذلك بقوله تعالى "والشعراء يتبعهم الغاون ، ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون ، الا الذين امنو وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظُلِمُوا وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون"(١٠٣٨) ، فالغواية هي عكس الهداية والرشد ، فقد يمدحون الباطل المذموم كما يمدح الحق المحمود وربما يهجون الجميل كما يهجى القبيح او ينصرفون عن الحق الى

(1034) بيومي ، تاريخ الادب العربي ، ج١، ص٧٢؛ العزيز ، حسين قاسم ، موجز تاريخ العرب والاسلام ، لا.م ، بيـروت ، ١٩٧١، ص٨٤.

(1035) الكردي ، تاريخ الخط العربي ، ص٦٦.

(1036) الهاشمي ، احمد ، جواهر الادب في ادبيات وانشاء لغة العرب ، ط٢١، لا.م ، مصر ، ١٩٦٤، ج٢، ص١٢.

(1037) الاندلسي ، تحفة الالباب ، ص٢١٨.

(1038) سورة الشعراء ، آية ٢٢٤- ٢٢٧.

الباطل[١٠٣٩] ، الا ان الآية استثنت المؤمنين لان من غير المعقول ان يشتمل البشر على صفة واحدة مع وجود الاختلاف الفردي.

اذن هذا هو حال الشعراء بصورة عامة ، فهم يتقربون الى السلطان واهل الجاه والمال لغرض الاكتساب ولاسيما من كان شعره مصدر رزقهُ ، الا ان هذا الحال لمن ينطبق على شعراء الكوفة في خلافة الأمويين ، ويمكن ان يكون لهؤلاء الشعراء أسبابهم ولعل ابرز اسباب تلك المرحلة هو الجانب السياسي الملتهب طوال فترة الحكم الاموي مع الكوفة العلوية وما كان له من رد فعل على شعرائها ، لان الشعر بطبيعته يرتبط ارتباطاً مباشراً بالسياسة ، ففي ذلك العهد شهدت الكوفة العديد من الصراعات والفتن والانتفاضات فكان لبعض الشعراء علاقة مباشرة بهذه الصراعات والانتفاضات[١٠٤٠].

اما الجانب الاخر فهو الجانب الاجتماعي ، ومعروف ان الكوفة سكنتها القبائل العربية من الداميين والفزاريين وآل شيبان ومن الصحابة والقبائل الاخرى وكانت لهذه القبائل شعراء اخذوا يتغنون بقبائلهم عامة من دون ان يشدوا انفسهم الى عجلة احد من الاشراف[١٠٤١] ، كما ان هناك قسماً من الشعراء اتصل باشراف واسياد اهل الكوفة وذوي الطبقات الأرستقراطية هناك[١٠٤٢].

وخلاصة القول من هذا هو ان شعراء الكوفة لم يقتربوا من البلاط الاموي ، وان حصل ذلك فيعد حالة شاذة والسبب معلوم هو العداء المتأصل بين الكوفة والشام ، ولعل ذلك هو السبب الذي جعل شعراء الكوفة يبحثون عن البدائل ، لذلك اتجه بعضهم نحو الجانب السياسي ، واخر نحو القبائل واخير نحو الاسياد والاشراف.

اما شعراء الحيرة فبقدر اسباب ابتعاد شعراء الكوفة عن البلاط الاموي كان الامر على العكس بالنسبة للحيريين فهناك جوانب متعددة ومتقاربة يمكن ان نقول انها تصب في رافد واحد بين الامويين ومن تقرب اليهم من شعراء الحيرة وان كان عدد هؤلاء الشعراء محدداً الا ان المهم هو وجود شعراء انتقلوا من الحيرة الى دمشق وكانوا شعراء وندماء ومقربين من خلفاء بني امية.

(1039) الطباطبائي ، الميزان ، ج١٥، ص٣٦٢.
(1040) خليف ، حياة الشعر ، ص٧٤٣.
(1041) حسين ، الفتح الاسلامي ، ص١٧٧.
(1042) خليف ، حياة الشعر ، ص٧٤٣.

وما ان حل العهد الاموي حتى ظهر الترف في معظم امصاره ، بما فيها الشام مقر الخلافة ، وكان بعض خلفاء بني امية ممن يهوى شرب الخمرة امثال يزيد بن معاوية (٦١-٦٤هـ)/(٦٨١-٦٨٤م) وعبد الملك بن مروان وغيرهم ، فعاد الناس الى حرية اللهو والاستمتاع والتهافت على اماكن الخمرة وعاد مع هذا شعر الخمرة(١٠٤٣) ، ولما كان شعراء الحيرة هم رواد هذا الفن لذلك لم يجدوا بداً من الاتصال بالبلاط الاموي ولعل ابتعاد شعراء الكوفة عن الامويين قد شجع شعراء الحيرة على التقرب منهم ، ولما كان الوليد بن يزيد قد اخترع فن شعر الخمرة فخطى خطى عدي بن زيد وكان نديمه وشاعره المقرب لديه القاسم بن طفيل الحيري قدم الشام من الحيرة لينعم بما يغدقه الامويون عليه(١٠٤٤).

ولعل السبب الاكثر اقناعاً من اقتراب شعراء الحيرة الى البلاط الاموي هو نصرانية هؤلاء الشعراء ، وبخاصة ان اعداء بني امية كانوا من الاتقياء والانصار وغيرهم ، حتى يذكر ان كعب بن جُعيل التغلبي الشاعر كان في ضيافة معاوية بن ابي سفيان (٤١-٦١هـ)/(٦٦١-٦٨١م) يوماً فطلب منه يريد ان يهجو الانصار ، فقال له كعب: ارادّى انت الى الشرك؟ اهجو قوماً نصروا رسول الله (ص) وآووه! ولكني ادلك على غلامٍ منا نصراني ما يبالي ان يهجوهم ، كافر شاعر كأن لسانه لسان ثور! قال: ومن هو؟ قال: الاخطل(١٠٤٥) ، وهو حيري (ت٩٠هـ/٧٠٩م) ولد بالحيرة واستفاد البلاط الاموي من شعره في ضرب معارضيه(١٠٤٦) ، ويعد من اشهر الشعراء النصارى الذين عاشوا في ظل الامويين فقد قربه معاوية ، ويزيد بن معاوية ، كما شمله معاوية الثاني (٦٤هـ/٦٨٤م) بنعمه ورعاياه(١٠٤٧) ، ونادم عبد الملك بن مروان في خلافته حتى قال فيه عبد الملك "ان لكل قوم شاعراً ، وان الاخطل شاعر بني امية"(١٠٤٨) ، كما لقبه بشاعر امير المؤمنين واشعر العرب(١٠٤٩).

وكان الاخطل لا يستتر في الطعن على الدين والاستخفاف بالمسلمين حتى قال:

ولست بصائمٍ رمضان طوعاً   ولست بآكل لحم الاضاحي

(1043) غريب ، جورج ، شعر اللهو والخمر ، دار الثقافة ، بيروت ، د.ت ، ص٢٨.
(1044) بروكلمان ، العرب والامبراطورية العربية ، ص١٩٥.
(1045) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ج١، ص٤٨٤.
(1046) الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٢، ص١٢٤؛ ابن رشيق ، العمدة ، ج١، ص٤٤؛ بروكلمان ، العرب والامبراطورية العربية ، ص١٦٣.
(1047) بابو اسحق ، تاريخ نصارى العراق ، ص٩٦.
(1048) الاصفهاني ، الاغاني ، ج١١، ص٢٣٩.
(1049) شيخو ، شعراء النصرانية ، ج١، ص١٠٧.

ولست بزاجر عنساً بكوراً ... الى بطحاء مكة للنجــاح

ولسـت منادياً ابداً بليــلٍ ... كمثل العيرَ "حي على الفلاح"

ولكني سـاشـربها شـمولاً ... واسـجد قبل منبلج الصباح[١٠٥٠].

وهذه منزلة غريبة وغاية عظيمة يتطاول بها الشاعر على الاسلام والمسلمين في بلاط الخلافة! والواضح من هذا الامر ان معظم خلفاء بني امية لم يأبهوا بهذه الحال بل تتلائم مع طبيعتهم ، فالبيئة الاموية كانت اشبه بالبيئة الجاهلية والخلفاء انفسهم يشربون الخمرة ، يعينون اوقات شربها ، لذلك لم يجدوا ضيراً بعد ذلك على الشعراء اذا امعنوا في وصفها واحتسائها؟[١٠٥١]

لقد عاش الاخطل في بلاط الخلافة الاموية وتنقل بين بيوتها وامرائها فكان شاعرهم ومادحهم الا ان عمر بن عبد العزيز رفض استقبال الاخطلً وعده كافراً عندما وقف ببابه يطلب الدخول فلم يسمح له ان يدخل مجلسه قط[١٠٥٢] ، في الوقت الذي كان يتربع في الصف الاول لمجلس عبد الملك فقد امتدحه في العديد من القصائد حتى قال فيها:

لعمري لقد اسريت لا ليل عاجزٍ

بساهمة العينين طاوية القرب

جماليَّةٍ ، لا يدرك العيس رفعها

اذ اكْنَّ بالركبان كالقيم النكبِ[١٠٥٣].

كما نادم القاسم بن الطويل الشاعر الحيري النصراني الوليد بن يزيد[١٠٥٤] ، فكان لا يصبر عنه ويقرأ له اشعار عدي بن زيد لان الوليد بن يزيد كان من ابرز معالجي الشعر الخمري في الفترة الزمنية الثانية بعد حسان بن ثابت[١٠٥٥] ، كما ان شعراء الحيرة هؤلاء

(1050) ابن رشيق ، العمدة ، ج١، ص٤٤؛ الابشيهي ، المستطرف ، ج١، ص١٤٥..
(1051) غريب ، شعر اللهو والخمر ، ص٢٨.
(1052) الابشيهي ، المستطرف ، ج١، ص١٤٦.
(1053) ابن حبيب ، ابي جعفر محمد ، شعر الاخطل ، تح: فخر الدين قبادة ، دار الاصمعي ، حلب ، د.ت ، ج١، ص٣٩.
(1054) الاصفهاني ، الاغاني ، ج٧، ص٥٤؛ ضيف ، شوقي ، شعراء العصر الجاهلــي ، ط٢، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥، ص٣٩٢؛ بروكلمان ، العرب والامبراطورية العربية ، ص١٩٥.
(1055) غريب ، شعر اللهو والخمر ، ص٢٨.

استمروا ندماء للامويين حتى ما يقارب نهاية دولتهم فكان القاسم بن الطويل في مجلس الوليد كثيراً ما يذكر ويوصف الخمرة بقوله حتى قال يوماً(١٠٥٦):

بكر العاذلون في وضح الصُبح   يقولـون لــي الا تســتفيق
لست ادري وقد جفاني خليلـي   اعـدو يلومـني ام صــديق
ثم قالوا الا اصبحونا فقامــت   قينـة في يمينهــا ابريــق
قدمته على عقار كعين الـــد   يك صفى ســلافها الراووق.

لقد تفشى هذا اللون في خلافة الامويين لانه يعكس طبيعة حالهم ، فالشاعر يعمد الى وصف كل مظهر مرموق وتعظيم كل بادرة بارزة في المجتمع(١٠٥٧) ، ولما كانت الخمرة ابرز مظاهر العهد الاموي لذلك انتشر شعرها وتغنى الشعراء بها وكان ابرزهم شعراء الحيرة لانهم اصحاب تركة في هذا الفن من الشعر واصحاب شهرة في الخمر وصناعته ومجالسه ، ولم يقتصر البلاط الاموي على نقل الشعر وفنه الخمري من اهل الحيرة بل عمدوا الى نقل خزائن الكتب القديمة غير العربية ذات العلوم المتنوعة من الطب والكيمياء وعلم النجوم من العراق الى الشام فنقلت من الحيرة الى الشام ومن بين ما نقل وما يتعلق بالسياسة هي رسائل ارسطوطاليس الى الاسكندر(١٠٥٨) ، ولعل الامويين هناك استفادوا منها من خلال ترجمتهم لها ، لان معظم الكتب المتعلقة بالعلوم المتنوعة ترجمت ايام العباسين في العراق وتحديداً في بغداد على يد حنين بن اسحق الحيري(١٠٥٩).

اما في العصر العباسي فقد اختلف الامر تماماً عما كان عليه في العهد الامـوي ، فالخلافة العباسية قامت ونشأت في العراق وكان الخلفاء ولاسيما السفاح والمنصور والمهدي ذوي ميول واتجاهات تختلف عن ميول الامويين في جوانب متعددة ، كما ان الوضع السياسي قد اختلف تماماً فالامويون عاشوا في بيئة اشبه بالبيئة الجاهلية وكانوا للعصبية القبلية اهلاً ، كل هذا ألقى بضلاله على الشعر ونوعه ، كما ان لكثرة معارضيهم

(1056) ضيف ، شعر العصر الجاهلي ، ص٣٩٢.
(1057) غربناوم ، غوستاف فون ، دراسات في الادب العربي ، ترجمة: احسان عباس واخرون ، لا.م ، بيروت ، ١٩٥٩، ص١٤٩.
(1058) البهبيتي ، تاريخ الشعر العربي ، ص٢٤٣.
(1059) الحلواني ، العرب واداب اليونان ، ص٥٨.

اثر في اذكاء نشاط الحركة السياسية في الادب(١٠٦٠) ، لذلك عاش كثير من الشعراء في مقر خلافتهم كما سبقت الاشارة اليه لتحدي خصومهم والرد عليهم.

اما بغداد مقر الخلافة العباسية فبتأسيسها اصبح في العراق ثلاثة مراكز رئيسة هي بغداد والكوفة والبصرة ، ولما كانت الحيرة قد تضاءل دورها بانشاء الكوفة فما بال الكوفة عندما اصبحت بغداد عاصمة الخلافة! ان ضوء الحضارة فيها لابد له من ان يخبو حتى يتقد ويتوهج في مكان اخر ، وهذا امرٌ طبيعي فان الخلافة اذا قامت بمكان جذبت اليه اهل المواهب والصنائع والمهن ، فيتبادر الى الذهن حال الحيرة بعد ان حلت الكوفة محلها في سلم الحضارة ثم ان بغداد اخذت من الكوفة دورها عندما اصبحت العاصمة ، لذا يمكن القول: ان الحيرة لم يكن لها صوت او ذكر ادبي خالص في العصر العباسي سيما مطلع هذا العصر فقد افل نجمها ، وصارت لا تذكر في مصادر الادب والتاريخ لان الاهتمام ينصب بطبيعة الحال على الحواضر والمدن المهمة ، لذلك أُهمِلَ دور الحيرة ، فلربما ياتي ذكر شاعر من اصل حيري داخل البلاط العباسي(١٠٦١) ، او ان شاعراً كوفياً سكنها في تلك الفترة كونه يحب اللهو والمجون(١٠٦٢) ، او يكون هناك سبب اخر لتاخر دورها يتمثل في الجانب الاجتماعي فقبل ان ياتي دور الخلفاء العباسيين الذين اشتهروا بحب الخمرة واقامة مجالس اللهو والشراب(١٠٦٣) ، كان دور الخلفاء الثلاثة الاوائل اقل بذلك ان لم نقل لم يكن لهذا الجانب اثر بل على العكس فقد واجهت منطقة الكوفة والحيرة في تلك الفترة تشدداً من قبل الخلفاء لمواجهة موجة اللهو والقصف والمجون حتى ان لكثرة من كان كذلك اطلق عليهم اسم الزنديق لابتعادهم عن الدين وحبهم للهو فجعلوا لهؤلاء سجناً في الكوفة يرمى به من تزندق(١٠٦٤) ، ولما كان معظم اهل الحيرة مجاناً محبون للهو فانهم ابتعدوا عن بلاط العباسيين خوفاً من اتهامهم بالزندقة ، اما شعراء الكوفة فكانت الفرصة مواتية لهم ليعوضوا مافاتهم ايام الامويين وان كان ذلك بمحض ارادتهم فانهم رموا انفسهم في احضان العباسيين لينعموا بما سيغدقوا عليهم ، لذلك لم نجد أي صدى في تلك الفترة لشاعر حيري تقرب من هؤلاء الخلفاء كما لا يفوتنا ان نذكر ان الخلافة العباسية عندما قامت

(1060) غريب ، شعر اللهو والخمر ، ص٣٠.
(1061) ابن رشيق ، العمدة ، ج١، ص٦٠.
(1062) الاصفهاني ، الاغاني ، ج٤، ص٧.
(1063) غريب ، شعر اللهو والخمر ، ص٣١.
(1064) خليف ، حياة الشعر ، ص٢٢٦.

كانت الحاشية المقربة لها من الفرس والموالي[١٠٦٥] ، وكان من هؤلاء العديد من الشعراء الذين اهتموا في هذا الجانب ايضاً[١٠٦٦].

وما ان امعن تيار التحضر في الاندفاع واتسعت حرية الفرد ، وعاد الناس لشرب الخمر والاكثار من اقتناء الجواري وغيرها من الامور في فترة الرشيد والامين والمأمون والمعتصم وغيرهم حتى سمعنا بذكر الشاعر الحيري ابن قابوس عمر بن سليمان الا انه لم يكن منقطعاً الى الرشيد بل الى البرامكة ، فلما اوقع الرشيد بجعفر صنع ابو قابوس ابياتاً وانشدها الرشيد يشفع عنده للفضل بن يحيى[١٠٦٧]:

امين الله هب فضل بن يحيى   لنفسك ايها الملك الهمام
وما طلبي اليك العفو عنه   وقد قعد الوشاة به وقاموا
ارى سبب الرضا عنه قويا   على الله الزيادة والتمام
نذرت عليَّ فيه صيام شهر   فان تم الرضا وجب الصيامُ

وصفرة القول: ان الحيرة لم يتوقف عطاؤها الادبي لانه مكتوب موروث ، الا انها توقفت عن تصدير علمائها ولم تبرز شخصيات ذات طاقات علمية كما كانت سابقاً لان نجمها استمر بالافول ، لذا انها –أي الحيرة- لم يكن لشعرائها او ادبائها دور يذكر في العصر العباسي.

علاقة الحيرة بمدرسة الكوفة

اتسعت رقعة الاسلام بعد ان فتح المسلمون الدول المحيطة بهم من الروم والفرس ، وبعد ان دخل هؤلاء في الدين وخضعوا له واختلطوا بحكم ذلك بالعرب اما عن طريق المصاهرة او ممارسة شؤون الحياة ، فبدأ التحريف يتطرق الى اللغة ، ولم يكن هناك بد من ان يهتم الخلفاء والولاة بذلك ، وان يلجأوا الى العلماء ليضعوا الضوابط والقوانين التي تعصم الالسنة من الخطأ ، وهم بهذا لا يحرصون على اللغة فحسب بل يحاولون كذلك ان يحققوا هدفاً اسمى ، وغاية اعظم ، الا وهي الحفاظ على القرآن الكريم من اللحن

(1065) بيضون ، الدولة الاموية ، ص٢٩.
(1066) خليف ، حياة الشعر ، ص٢٣١.
(1067) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص١٧٩؛ ابن رشيق ، العمدة ، ج١، ص٦٠.

والتحريف ، وبذلك يضيع ذلك الدستور الاسلامي العظيم ، ثم لا يؤمن ان تضيع معالم الدين بعده[١٠٦٨].

كما ان عمليات الفتوح قد فتحت الباب للموالي في الدخول الى البلاد الاسلامية على مصراعيه ، فكان عددهم في الكوفة كبيراً جداً قد يتجاوز نصف عدد السكان احياناً ، وكان العرب ينظرون اليهم على انهم عنصر اقل منهم مكانة واوضع منهم منزلة ، فارادوا ان يثبتوا وجودهم ويقفوا امام المجتمع على انهم عنصر له مكانته في المجتمع ، ولما كان الصحابة يعلمون اهل الامصار ويدرسونهم ، كان لهؤلاء الصحابة تابعون يلتفون حولهم ويتلقون عنهم العلم ، ومن الطبيعي ان يكون من بين هؤلاء التابعين موال يشاركون العرب في تلقي العلم ، ثم تعليمهم بعد ذلك لتابعيهم ، حتى اصبح بعد ذلك اكثر العلماء من الموالي[١٠٦٩].

اذن فالعامل الديني يقف في مقدمة هذه العوامل التي ادت الى انشاء مدرسة خاصة لحفظ اللغة ووضع اسس وقواعد النحو ، وكانت اول هذه المحاولات لوضع اسس هذه المدرسة في خلافة الامام علي (ع)[١٠٧٠] ، كما ان هناك سبباً اخر دعا الى قيام مثل هذه المدرسة الا وهي التركيبة الاجتماعية للكوفة والحيرة معاً لوجود الفرس وبقية الجاليات والاقوام ، ولما كانت السيادة والسلطة للعرب كان على هؤلاء وجوب تعلم اللغة عن طريق قاعدة نحوية تسهل عليهم التعلم فاصبحت الحاجة ماسة لوضع علم النحو ، ولما كانت الاداب السريانية لها قواعد نحوية قبل الاسلام ، كان من السهل ان توضع قواعد عربية على نمط السريانية ، خصوصاً وان اللغتين من اصل سامي واحد[١٠٧١] ، ولعل معظم هؤلاء السريان ممن سكن الحيرة كونها معقل للمسيحية قبل الاسلام ، حتى ان هارون بن الحائك الضرير هو احد ابرز علماء النحو وهو يهودي من الحيرة[١٠٧٢] ، فكان له اثر كبير في تقدم علم النحو حتى ان المبرد (ت٢٨٥هـ/٨٩٨م) تناظر معه واعجب بعلمه[١٠٧٣].

وعلى هذا الاساس فقد تطور علم النحو في الكوفة وظهر بها علماء كبار في هذا المجال لعل ابرزهم في التصريف والنحو هو ابو العباس احمد بن محمد الكوفي المعروف

(1068) السيد ، عبدالرحمن ، مدرسة البصرة النحوية ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٨، ص٧.
(1069) خليف ، حياة الشعر ، ص٢٣٧.
(1070) ضيف ، المدارس النحوية ، ط٣، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٦، ص١٥٩.
(1071) امين ، فجر الاسلام ، ص١٨٣.
(1072) الحموي ، معجم الادباء ، دار المأمون ، القاهرة ، د.ت ، ج١٩، ص٢٦١.
(1073) عبدالغني ، الحيرة ، ص٦٣٩.

بابن عقدة (ت٣٣٢هـ/٩٤٢م) وعقدة لقب لابيه محمد لاجل تعقيده في التعريف والنحو[١٠٧٤].

ويمكن القول ان الكوفة بعلمائها لها الفضل الكبير في وضع الاسس الاولى لقواعد النحو على الرغم من تفوق مدرسة البصرة في هذا اللون من الادب كونها سبقت مدرسة الكوفة بمئة عام[١٠٧٥] ، الا ان التزاوج في الحضارة وتبادل العلوم كان قائماً بين المدرستين بالسلب والايجاب فتفوق مدرسة البصرة بالنحو يقابلها تفوق مدرسة الكوفة بالشعر فكانت الكوفة ثغراً من ثغور البادية وجارة الحيرة ذات الموروث الشعري ، كما انها لا تفد اليها السفن الاجنبية ، وانما تفد اليها القوافل العربية وهذا الوضع الجغرافي للكوفة يجعلها اكثر اهتماماً برواية الشعر العربي واخبار العرب من البصرة ، كما ان للصراعات العصبية وعدم الاستقرار السياسي دوراً في اهتمام الكوفة برواية الشعر والاخبار لانها تراث هذه القبائل الذي تعتز به ، وماضيها المجيد الذي تحرص عليه ، وبالمقابل فان الاستقرار السياسي الذي كانت تنعم به البصرة ، وهو استقرار هيأ للحياة العلمية ان تزدهر فيها ، فوضعت بها قواعد اللغة والنحو في الوقت الذي كان الكوفيون مشغولين بالصراع السياسي والاضطرابات والفتن ، وهكذا اصبحت الكوفة "مدينة الفن" والبصرة "مدينة العلم"[١٠٧٦].

الخاتمـــة

الحمد لله على فضله ومنه ، اذ أعانني على بلوغ آخرة هذا البحث ، وبعد فقد توصل البحث الى عدة نتائج يمكن أن أجملها على النحو الاتي:

اولاً: ظهور الكيان السياسي لدولة الحيرة في عهد ملكها عمرو بن عدي (٢٦٨-٢٨٨م) والذي تمتعت دولته بعلاقات واسعة مع بلاد الشام والجزيرة واليمن ، مما عزز من قوة وترابط جوانب الحياة الاخرى ، ولاسيما الاجتماعية والاقتصادية والادبية.

(1074) عواد ، خزائن الكتب ، ص٢١٧.
(1075) السيد ، مدرسة البصرة ، ص٩.
(1076) خليف ، حياة الشعر ، ص٢٦٠.

ثانياً: اصبحت للحيرة دعامة اقتصادية قوية بحكم توسطها مابين الفرس وبلاد الشام. وهذا بطبيعة الحال يلقي بظلاله على الحياة المعاشية للسكان ، فقد عاش اهل الحيرة حياة مترفة بسبب اشتغالهم بالتجارة والصناعة.

ثالثاً: سكنت الحيرة مجموعة من القبائل العربية، فضلا عن النبط والفرس واليهود ، وكان لهذا الخليط تأثير في حياة الحيريين، اذ اخذ اهل الحيرة من هؤلاء الاقوام بعض المعارف والفنون والثقافات.

رابعاً: ونتيجة للاستقرار السياسي وصفة الحكم الملكي في الحيرة فقد شهدت الحيرة نوعاً من الاستقرار ، كما ان الرخاء الاقتصادي الذي تمتعت به الحيرة ، وموقعها الجغرافي على حافة الصحراء ، جعلها محطة لقوافل العرب ، بما فيهم الشعراء ، اذ قصدوا بلاط الحيرة لتوافر هذه الاجواء ، فضلا عن طبيعتها الساحرة ووجود الحياة المدنية فيها ، وقد استمر حال الحيرة هذا حتى تمصير الكوفة سنة ١٧هـ، ومن ثم تأثيرها في الكوفة من عدة جوانب.

خامساً: نبه البحث على موقع الحيرة الجغرافي وما لذلك من اثر في الحركات السياسية المناوئة لسلطة الكوفة ،لكون الحيرة شديدة التوغل في الصحراء فتكون ملاذاً آمناً للهاربين والقادمين من الخارج ممن يناوئون السلطة هناك ، كما ان خليط اجناسها جعل هؤلاء المناوئين يتسللون اليها وينصهرون في مجتمعها،بل ويؤثرون فيه بعض الاحيان. كما ان دخول الاسلام الى المنطقة حمل عددا من القبائل العربية النصرانية القاطنة في الحيرة على الرحيل عن ارض العراق ، لابل تعدى ذلك الى مناصرة الروم ضد المسلمين احياناً.

سادساً: بقيت الحيرة على نشاطها الاقتصادي المتميز ،استمرارا على ما كان عليه في عهدها الجاهلي، ففي الاسلام ظلت تجارتها واعمالها التجارية مستمرة حتى تأسيس بغداد وأتخاذهاعاصمة للخلافة ، فقد تضاءل دورها التجاري ، بعد أن انتقل قسم من تجارها وصيارفتها الى الكوفة فبرزت هذه المهنة في الكوفة فضلا عن انتقال عدد من اهل الحرف لذا برعت الكوفة في كثر من الصناعات اثر ذلك.

سابعاً: وضح البحث الموقف الانساني للمسلمين من اهل الذمة الذين كانوا يسكنون

الحيرة ، كما ان هناك شروطاً وضوابط انفردت بها الحيرة دون غيرها من مناطق السواد ، فقد مارس اهل الذمة طقوسهم الدينية وقد اثر ذلك في بعض الولاة الامويين ، حتى ان هذا الامرغير مجرى الاحداث السياسية هناك.

ثامناً: نبه البحث على الاجواء الخاصة للحيرة والتي كانت بعيدة بعض الشيء عن اجواء الكوفة السياسية الساخنة ، فقد ولد هذا لاهلها نوعاً من صفاء الذهن انعكس على ابداعهم الادبي مما جعل اهل الكوفة يرحلون الى الحيرة للأقتباس من شعرها ، كما ان هناك شعراء من الحيرة اصبحوا ندماء لخلفاء بني امية ولازموا قصورهم لعدة عقود.

تاسعاً: كشف البحث عن مجموعة من الاطباء الذين كان لهم دور كبير في دفع عجلة الطب في الكوفة الى امام ، كما ان بعض هؤلاء الاطباء انتقلوا الى بلاط العباسيين في بغداد ، وكان فيها ايضاً علوم وفنون نابعة من اصالة المنطقة ، فضلا عما كسبوه ممن جاورهم . وقد انتقلت هذه العلوم والفنون الى الكوفة بعد تمصيرها.

اولاً: المصادر

- القرآن الكريم

١- الابشيهي ، شهاب الدين محمد (ت٨٥٠هـ) ، المستطرف من كل فن مستظرف ، تحقيق: مفيد محمد قميحة ، ط٢، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٦.

٢- ابن الاثير ، ابو الحسن بن ابي الكرم (ت٦٣٠هـ) ، الكامل في التاريخ ، تحقيق: ابو الفداء عبدالله القاضي ، ط٤، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣.

٣- اسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق وتعليق: محمد ابراهيم البنا ومحمد احمد عاشور ومحمود عبدالوهاب فايد ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت.

٤- ابن ادم ، يحيى (ت٢٠٣هـ) ، الخراج ، ط٢، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ.

٥- ابن اسحق ، محمد (ت١٥١هـ) ، سيرة ابن اسحق ، تحقيق: سهيل زكار ، دار الفكر ، قم ، ١٩٧٨.
٦- الاصفهاني ، حمزة بن الحسن (ت٣٦٠هـ) ، تاريخ ملوك الارض ، اهتمام: كبير الدين احمد ، مطبعة مظهر العجائب ، كلكتة ، ١٨٦٦.
٧- الاصفهاني ، ابو الفرج (ت٣٥٦هـ) ، الاغاني ، تحقيق: يوسف البقاعي وغريد الشيخ ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ٢٠٠٠.
٨- ابن ابي اصيبعة ، احمد بن القاسم (ت٦٦٨هـ) ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٥٧.
٩- ابن اعثم ، ابو محمد احمد الكوفي (ت٣١٤هـ) ، الفتوح ، تحقيق: علي شيري ، دار الاضواء ، بيروت ، ١٩٩١.
١٠- الاندلسي ، محمد بن عبدالرحيم (ت٥٦٥هـ) ، تحفة الالباب ، مطبعة باريس ، باريس ، ١٩٢٥.
١١- البحراني ، يوسف (ت١١٨٦هـ) ، الحدائق الناظرة في احكام العترة الطاهرة ، تحقيق: محمد تقي الايرواني ، مطبعة النجف ، النجف ، ١٣٨٣هـ.
١٢- ابو البقاء ، هبة الله الحلي (توفي بداية القرن السادس الهجري) ، المناقب المزيدية في اخبار الملوك الاسدية ، تحقيق: صالح موسى درادكة ومحمد عبدالقادر ، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان ، د.ت.
١٣- البكري ، ابو عبيد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ) ، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، تحقيق: مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،١٩٤٥.
١٤- البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ) ، فتوح البلدان ، لجنة تحقيق التراث ، بيروت ،١٩٨٨.
١٥- انساب الاشراف ، تحقيق: محمد باقر المحمودي ، ط٢ ، مطبعة باسدار ، قم ،١٤٢٢هـ.
١٦- الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك بن محمد (ت٤٢٩هـ) ، لطائف المعارف ، تحقيق: ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي ، دار احياء التراث

، بيروت ، د.ت.
١٧- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، مطبعة الظاهر ، القاهرة ،١٣٢٦هـ.
١٨- الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ) ، البيان والتبين ، تحقيق: عبد السلام هارون ، دار الفكر ، د.ت.
١٩- ابن جني ، ابو الفتح عثمان (ت٣٩٢هـ) ، الخصائص ، تحقيق: محمد علي النجار ، ط٢ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ،١٩٦١.
٢٠- الجهشياري ، ابي عبد الله محمد بن عبدوس (ت٣٣١هـ)،الوزراء والكتاب ، تحقيق: مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي ، لا.م ، القاهرة ،١٩٣٨.
٢١- ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن محمد بن علي (ت٥٩٧هـ) ، اخبار الظراف والمتماجنين ، تقديم وتعليق: محمد بحر العلوم ، ط٢ ، مطبعة الغري ، النجف ،١٩٦٧.
٢٢- ابن حبيب ، ابو جعفر محمد (ت٢٤٥هـ) ، المحبر ، اعتنت بتصحيحه: ايلزة ليحتن شتير ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ،١٩٤٢.
٢٣- شعر الاخطل ، تحقيق: فخر الدين قبادة ، دار الاصمعي ، حلب ، د.ت.
٢٤- ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ) ، جمهرة انساب العرب ، تحقيق: عبد السلام هارون ، ط٥ ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت.
٢٥- الحصكفي ، محمد علاء الدين (ت١٠٨٨هـ) ، شرح الدر المختار ، مطبعة الواعظ ، مصر ، د.ت.
٢٦- الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت (ت٦٢٦هـ) ، معجم البلدان ، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت.
٢٧- معجم الادباء ، دار المأمون ، القاهرة ، د.ت.
٢٨- الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت٧١٠هـ) ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق: احسان عباس ، دار القلم ، بيروت ،١٩٧٥.

٢٩- ابن حنبل ، احمد بن محمد (ت٢٤١هـ) ، المسند ، دار صادر، بيروت، ١٤٩٨هـ.
٣٠- الحنبلي ، شهاب الدين ابي الفلاح عبد الحي بن احمد (ت١٠٨٩هـ) ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، تحقيق:مصطفى عبد القادر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٨٨.
٣١- ابن حوقل ، ابو القاسم النصيبي (ت٣٦٧هـ) ، صورة الارض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت.
٣٢- ابو حيان ، علي بن محمد (ت٤١٤هـ) ، الامتاع والمؤانسة ، صححه: احمد امين واحمد الزين ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت.
٣٣- ابن خرداذبة ، ابي القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت في حدود٣٠٠هـ) ، المسالك والممالك ، وضع مقدمته: الدكتور محمد مخزوم ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ،١٩٨٨.
٣٤- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، دار الهلال ، بيروت ،١٩٨٨.
٣٥- ابن خلكان ، احمد بن محمد بن ابي بكر (٦٨١هـ) ، وقيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق: محمد محي الدين ، مطبعة السعادة ، مصر ،١٣٦٧هـ.
٣٦- الخوارزمي ، ابي المؤيد الموفق بن احمد (ت٥٦٨هـ) ، مقتل الحسين ، تحقيق: الشيخ محمد السماوي ، مطبعة الزهراء ، النجف ،١٣٦٧هـ.
٣٧- ابن خياط ، خليفة (ت٢٤٠هـ) ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق: اكرم ضياء العمري ، مطبعة الآداب ، النجف ،١٩٦٧.

٣٨- الدميري ، كمال الدين محمد بن موسى (ت٨٠٨هـ) ، حياة الحيوان الكبرى ، دار احياء التراث ، بيروت ،٢٠٠٥.
٣٩- الدينوري ، ابو حنيفة احمد بن داود (ت٢٨٢هـ) ، الاخبار الطوال ، تحقيق: عصام محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،٢٠٠١.

٤٠- ابن رستة ، ابو علي احمد بن عمر (ت٣١٠هـ) ، الاعلاق النفيسة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ،١٩٨٨.
٤١- ابن رشيق ، ابي علي الحسن (ت٤٥٦هـ) ، العمدة ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٥ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨١.
٤٢- الرضي ، محمد بن الحسين (ت٤٠٦هـ) ، ديوان الشريف الرضي ، المطبعة الادبية ، بيروت ،١٣٠٧هـ.
٤٣- الزبيدي ، محمد مرتضى (ت١٢٠٥هـ) ، تاج العروس وجواهر القاموس ، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي ، لا.م ، د.ت.
٤٤- ابن الزبير ، الرشيد ، الذخائر والتحف ، تحقيق: محمد حميد الله ، مطبعة حكومة الكويت ،١٩٥٩.
٤٥- السرخسي ، شمس الدين ، (ت٤٩٠هـ) ، المبسوط ، مطبعة السعادة ، مصر ، د.ت.
٤٦- ابن سعد ، محمد بن سعد (ت٢٣٠هـ) ، الطبقات الكبرى ، تحقيق: محمد عبد القادر العطا ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٩٧.
٤٧- ابن سلام ، ابو عبيد القاسم (ت٢٢٣هـ) ، الاموال ، تحقيق: محمد خليل هراس ، ط٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٨.
٤٨- السهيلي ، ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت٥٨١هـ) ، الروض الانف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، فدم له: طه عبد الرؤوف ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ،١٩٧٨.

٤٩- ابن سيدة ، ابو الحسن علي بن اسماعيل (ت٤٥٨هـ) ، المخصص ، المطبعة الأميرية ، مصر ،١٩٠٣.
٥٠- السيوطي ، جلال الدين (ت٩١١هـ) ، الوسائل في مسامرة الاوائل ، تحقيق: اسعد طلس ، مطبعة النجاح ، مصر ،١٩٥٠.
٥١- الشابشتي ، ابو الحسن علي بن محمد (ت٣٨٨هـ) ، الديارات ، تحقيق: كوركيس عواد ، لا.م ، بغداد ،١٩٥١.
٥٢- الشنتمري ، يوسف بن سليمان بن عيسى (ت٤٧٦هـ) ، اشعار الشعراء الستة الجاهليين

، دار الافاق الجديدة ، بيروت ، د.ت.
٥٣- ابن شهر اشوب ، ابو جعفر رشيد الدين بن محمد (ت٥٨٨هـ) ، مناقب آل ابي طالب ، المطبعة العلمية ، قم ، د.ت.
٥٤- الشهرستاني ، ابي الفتح محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ) ، الملل والنحل ، علق عليه: الدكتور صلاح الدين الهواري ، در الهلال ، بيروت ،١٩٨٨.
٥٥- الصابي ، ابي الحسن محمد بن هلال (ت٤٨٠هـ) ، الهفوات النادرة ، تحقيق: صالح الاشتر ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، دمشق،١٩٦٧.
٥٦- ابن طاووس ، غياث الدين السيد عبد الكريم (ت٦٩٣هـ) ، فرحة الغري ، ط٢ ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، د.ت.
٥٧- الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، دار الكتب الاسلامية ، طهران ،١٣٦٢هـ.
٥٨- الطبري ، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ،١٩٧٧.
٥٩- ابن الطقطقي ، محمد بن علي (ت٧٠٩هـ) ، الفخري في الآداب السلطانية ، مطبعة مصر ، مصر ،١٩٤٥.
٦٠- ابن العبري ، غريغوريوس الملطي ، تاريخ مختصر الدول ، ط٢، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٨٩٠.
٦١- ابن عبد ربه ، شهاب الدين احمد الاندلسي (ت٣٤٩هـ) ، العقد الفريد ، تقديم: خليل شرف الدين ، الطبعة الاخيرة ، دار الهلال ، بيروت ،١٩٩٩.
٦٢- ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسين (ت٥٧١هـ) ، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق: صلاح الدين المنجد ، مطبعة التراقي ، دمشق ،١٣٧١هـ.
٦٣- العسقلاني ، شهاب الدين ابو الفضل احمد (ت٨٥٢هـ) ، الاصابة في تميز الصحابة ، تحقيق: علي بن محمد البجاوي ، لا.م ، القاهرة ،١٩٧٠.
٦٤- العلامة الحلي ، الحسن بن يوسف بن مطهر (ت٧٢٦هـ) ، منتهى المطلب في تحقيق المذهب ، تحقيق: محمد تقي الايرواني ، مطبعة النجف ، النجف،١٣٨٣هـ.

٦٥- العمري ، ابن فضل الله (ت٧٤٩هـ) ، مسالك الابصار في ممالك الامصار ، تحقيق: احمد زكريا باشا ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ،١٩٢٤.
٦٦- ابو الفداء ، عماد الدين اسماعيل(ت٨٥٢هـ) ، تقويم البلدان ، تصحيح: رينود وكوكين ديسلان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ،١٨٤٠.
٦٧- المختصر في اخبار البشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٩٧.
٦٨- ابن الفقيه ، ابو بكر بن محمد الهمذاني (ت٣٤٠هـ) ، مختصر كتاب البلدان، دار احياء التراث ، بيروت ،١٩٨٨.
٦٩- الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (٨١٧هـ) ، القاموس المحيط ، دار الجيل ، بيروت ، د.ت.
٧٠- القالي ، ابو علي اسماعيل بن القاسم (ت٣٥٦هـ) ، ذيل الامالي والنوادر ، دار الفكر ، لبنان ، د.ت.
٧١- ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ) ، المعارف ، تحقيق: ثروة عكاشة ، مطبعة امير ، قم ،١٣٧٣هـ.
٧٢- الشعر والشعراء ، تحقيق: احمد محمد شاكر ، لا.م ، مصر ،١٩٦٦.
٧٣- الامامة والسياسة ، تحقيق: خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت،٢٠٠١.
٧٤- قدامة ، ابن جعفر (ت٣٣٧هـ) ، الخراج وصناعة الكتابة ، تحقيق: محمد حسين الزبيدي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ،١٩٨١.
٧٥- القرشي ، ادرنيس عماد الدين(ت٨٧٢هـ) ، عيون الاخبار وفنون الآثار ، تحقيق: مصطفى غالب ، دار التراث الفاطمي ، بيروت ،١٩٧٣.
٧٦- القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ) ، آثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ،١٩٦٩.
٧٧- القفطي ، جمال الدين ابي الحسن علي (ت٦٤٦هـ) ، اخبار العلماء باخبار الحكماء ، لا.م ، بيروت ، د.ت.
٧٨- القلقشندي ، ابي العباس احمد بن علي (ت٨٢١هـ) ، نهاية الارب في معرفة احوال العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت.
٧٩- القمي ، عباس (ت١٣٥٩هـ) ، سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار ، المطبعة العلمية ، النجف ،١٣٥٥هـ.

٨٠- الكنى والألقاب ، المطبعة الحيدرية ، النجف ،١٩٧٠.

٨١- ابن قيم ، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر (ت٧٥١هـ) ، احكام اهل الذمة ، تحقيق: صبحي الصالح ، مطبعة جامعة دمشق ، دمشق ،١٣٨١هـ.

٨٢- ابن كثير ، اسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، مطبعة السعادة ، مصر ،١٣٥١هـ.

٨٣- الكندي ، يعقوب بن اسحق (ت نحو٢٦٠) ، رسالة الكندي في عمل السيوف ، تحقيق: فيصل دبدوب ، مطبعة العاني ، بغداد ،١٩٦٢.

٨٤- الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد (ت٤٥٠هـ) ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت.

٨٥- المجلسي ، محمد باقر (ت١١١١هـ) ، بحار الانوار ، المطبعة الاسلامية ، طهران ،١٣٨٨هـ.

٨٦- مؤلف مجهول ، اخبار الدولة العباسية وفيه اخبار العباس وولده ، تحقيق: عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي ، دار الطليعة ، بغداد ،١٩٧١.

٨٧- مؤلف مجهول ، نظم اللالىء في السلوك ، ترجمة: ابو السعود ، مطبعة بولاق ،١٢٥٧هـ.

٨٨- المقدسي ، ابو عبد الله محمد بن احمد (ت٣٧٥هـ) ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ط٢ ، مطبعة بريل ، ليدن ،١٩٠٤.

٨٩- المرزوقي ، ابو علي احمد بن محمد (ت٤٥٣هـ) ، شرح ديوان الحماس ، لا.م ، القاهرة ،١٩٥٣.

٩٠- المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ) ، التبنية والأشراف ، عني بتصحيحه: عبد الله إسماعيل الصاوي ، دار الصاوي ، القاهرة ،١٩٣٨.

٩١- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ضبط وتدقيق: يوسف اسعد داغر ، دار الأندلس ، بيروت ،١٩٦٥.

٩٢- ابن مسكويه ، احمد بن محمد (ت٤٢١هـ) ، تجارب الامم وتعاقب الهمم ، لا.م ، ليدن ،١٩٠٩.

٩٣- ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد (ت٧١١هـ) ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ،١٩٥٦.
٩٤- الميداني ، ابو الفضل احمد بن محمد (ت٥١٨هـ) ، مجمع الامثال ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية ، بيروت ،١٩٥٥.
٩٥- نهج البلاغة ، شرح: الشيخ محمد عبدة دار المعرفة ، بيروت ، د.ت.
٩٦- النويري ، شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب (ت٧٣٣هـ) ، نهاية الارب في فنون العرب ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٦.
٩٧- الواقدي ، محمد بن عمر (ت٢٠٧هـ) ، فتوح الشام ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ،١٣٥٢هـ.
٩٨- اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب (ت٢٨٤هـ) ، تاريخ اليعقوبي ، تحقيق: خليل المنصور ، دار الاعتصام ، قم ،١٤٢٥هـ.
١٠٠- ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم (ت١٨٢هـ) ، الخراج ، المطبعة السلفية ، القاهرة ،١٣٥٢هـ.

ثانياً: المراجع

١- ابراهيم ، حقي اسماعيل ، اسواق العرب التجارية في شبه الجزيرة العربية ، دار الفكر ، عمان ، ٢٠٠٢.
٢- ابراهيم ، محمد ابو الفضل ومحمد علي البجاوي ، ايام العرب في الجاهلية ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٨.
٣- الاسد ، ناصر الدين ، القيان والغناء في العصر الجاهلي ، ط٢، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠.
٤- السيد ، عبدالرحمن ، مدرسة البصرة النحوية ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٨.
٥- الاعظمي ، علي ظريف ، تاريخ الدول الفارسية في العراق ، مطبعة الفرات ، بغداد ، ١٩٢٧.
٦- تاريخ ملوك الحيرة ، المطبعة السلفية ، مصر ، ١٩٢٠.

٧- الافغاني ، سعيد ، اسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، ط٢، دار الافاق العربية ، دمشق ، ١٩٥٦.
٨- الالوسي ، محمد شكري البغدادي ، بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ، صححه وضبطه: محمد بهجت الاثري ، ط٣، دار الكتاب العربي ، مصر ، د.ت.
٩- آل ياسين ، راضي ، صلح الحسن ، مطبعة الزهراء ، بغداد ، ١٣٧٥هـ.
١٠- امين ، احمد ، فجر الاسلام ، ط٧، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٥.
١١- بابان ، جمال ، اصول اسماء المدن والمواقع العراقية ، ط٢، لا.م ، بغداد ، د.ت.
١٢- بابو اسحق ، رافائيل ، تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الاقطار العربية الى ايامنا ، مطبعة المنصور ، بغداد ، ١٩٤٨.
١٣- باقر ، طه وفوزي رشيد رضا وجواد الهاشمي ، تاريخ ايران القديم ، مطبعة جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٨٠.
١٤- البراقي ، حسين بن السيد احمد ، تاريخ الكوفة ، حرره واضاف اليه: محمد صادق بحر العلوم ، ط٣، منشورات المكتبة الحيدرية ، ١٣٥٦هـ.
١٥- بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب العربية ، ترجمة: نبيه امين فارس ومنير البعلبكي ، ط٣، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٠.
١٦- البلاغي ، سيد عبد الحجة ، تاريخ نجف اشرف وحيرة ، لا.م ، طهران ، ١٣٦٨هـ.
١٧- بلاشير ، ريجيس ، تاريخ الادب العربي ، تعريب: ابراهيم كيلاني ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٥٦.
١٨- البهبيتي ، نجيب محمد ، تاريخ الشعر العربي حتى اخر القرن الثالث الهجري ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٦١.
١٩- بيضون ، ابراهيم ، الدولة الاموية والمعارضة ، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٥.

٢٠- بيومي ، السباعي ، تاريخ الادب العربي ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، د.ت.
٢١- الجبوري ، منذر ، ايام العرب واثرها في الشعر الجاهلي ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٧٤.
٢٢- الجومرد ، عبدالجبار ، داهية العرب ابو جعفر مؤسس دولة بني العباس ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٣.
٢٣- جوارو ، ايشو مالك خليل ، الاشوريون في التاريخ ، نقله الى العربية ودققه: سليم واكيم ، منشورات واكيم اخوان ، بيروت ، ١٩٦٢.
٢٤- حبوش ، طاهر جليل ، اوائل العرب عبر العصور والحقب ، لا.م ، بغداد ، ١٩٩١.
٢٥- حبيب ، كمال السعيد ، الاقليات والسياسة في الخبرة الاسلامية ، مطبعة عربية ، القاهرة ، ٢٠٠٢.
٢٦- حتي ، فيليب خوري ، تاريخ العرب ، نقله الى العربية: محمد مبروك نافع ، ط٣، دار العالم العربي ، القاهرة ، ١٩٥٢.
٢٧- الحسني ، عبدالرزاق ، العراق قديماً وحديثاً ، ط٣، مطبعة العرفان ، صيدا ، ١٩٥٨.
٢٨- الحسني ، هاشم معروف ، سيرة الائمة الاثني عشر ، مطبعة شريعت ، قم ، ١٤٢٥هـ.
٢٩- حسونة ، محمد احمد ، اثر العوامل الجغرافية في الفتوح الاسلامية ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٠.
٣٠- حسين ، عبدالحميد ، الفتح الاسلامي في العراق والجزيرة ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٩٦١.
٣١- الحسيني ، عبدالمحسن ، تقويم العرب في الجاهلية ، مطبعة الاسكندرية ، مصر ، ١٩٦٣.
٣٢- الحلفي ، كاظم ، لمحة تاريخية عن مشهد الامام علي بن ابي طالب ، مطبعة الناشر ، لبنان ، ١٩٧٧.
٣٣- الحلواني ، محمد خير ، العرب واداب اليونان ، لا.م ، حلب ، ١٩٦٩.

٣٤- حمادة ، حسين ، تاريخ العلوم عند العرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٧.
٣٥- الحوفي ، احمد محمد ، تيارات ثقافية بين العرب والفرس ، مطبعة نهضة مصر ، د.ت.
٣٦- الخربوطلي ، علي حسين ، تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٩.
٣٧- الخضري ، محمد ، اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ، ط٩، مطبعة الاستقامة ، مصر ، ١٩٦٤.
٣٨- خضير ، فريال مصطفى ، البيت العربي في العراق في العصر الاسلامي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٣.
٣٩- خطاب ، محمود شيت ، قادة الفتح العربي للعراق والجزيرة ، ط٢، دار الفكر ، بيروت ، د.ت.
٤٠- الخفاجي ، عبدالمنعم ، الحياة الادبية في عصر صدر الاسلام ، ط٢، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٠.
٤١- خليف ، يوسف ، حياة الشعر في الكوفة الى نهاية القرن الثاني الهجري ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٨.
٤٢- الخليلي ، جعفر ، موسوعة العتبات المقدسة ، دار التعارف ، بغداد ، ١٩٦٥.
٤٣- الخيون ، رشيد ، الاديان والمذاهب بالعراق ، ط٢، منشورات لسان الصدق ، قم ، ٢٠٠٥.
٤٤- دحلان ، احمد بن زيني ، الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ، مطبعة مصطفى محمد ، مصر ، ١٣٥٤هـ.
٤٥- الدوري ، عبدالعزيز ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ط٢، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٧٤.
٤٦- الرافعي ، مصطفى صادق ،تاريخ اداب العرب، تحقيق: محمد سعيد العريان ، ط٢، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٩٤٠.

٤٧- الراوي ، ثابت اسماعيل ، العراق في العصر الاموي من الناحية السياسية والادارية والاجتماعية ، ط٢، مطبعة النعمان ، النجف ، ١٩٧٠.
٤٨- رستم ، اسد ، اراء وابحاث قسم الدراسات التاريخية ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ، ١٩٦٧.
٤٩- الزركلي ، خير الدين ، الاعلام ، ط٢ ، مطبعة كوستاتسوماس ، مصر،١٩٥٧.
٥٠- سابق ، سيد ، فقه السنة ، ط٣، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٧.
٥١- سالم ، عبدالعزيز ، دراسات في تاريخ العرب – تاريخ العرب قبل الاسلام ، مؤسسة شباب الجامعة ، مصر ، د.ت.
٥٢- سعيد ، امين ، تاريخ الاسلام السياسي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر ، د.ت.
٥٣- السقاف ، احمد ، الاوراق ، ط٣، الربيعان للنشر ، الكويت ، ١٩٨٢.
٥٤- سيد يّو ، ل.أ ، تاريخ العرب العام ، نقله الى العربية: عادل زعيتر ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٤٨.
٥٥- شريف ، ابراهيم ، الموقع الجغرافي للعراق ، مطبعة شفيق ، بغداد ، د.ت.
٥٦- شلبي ، احمد ، التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٤.
٥٧- شيخو ، لويس ، شعراء النصرانية بعد الاسلام ، ط٢، دار المشرق ، بيروت ، د.ت.
٥٨- الصغير ، محمد حسين ، الامام جعفر الصادق زعيم مدرسة اهل البيت ، دار سلوني ، بيروت ، ٢٠٠٤.

٥٩- ضيف ، شوقي ، تاريخ الادب العربي ، لا.م ، بيروت ، ١٩٦٥.
٦٠- ، شعراء العصر الجاهلي ، ط٢، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥.
٦١- ، المدارس النحوية ، ط٣، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٦.

٦٢- الطريحي ، محمد سعيد ، الديارات والامكنة النصرانية في الكوفة وضواحيها ، لا.م ، بيروت ، ١٩٨١.
٦٣- عبدالحميد ، صبحي ، معارك العرب الحاسمة ، ط٣، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٩٨٦.
٦٤- عبدالغني ، عارف ، الحيرة في الجاهلية والاسلام ، دار كنان ، دمشق ، ١٩٩٣.
٦٥- عبالقادر ، حامد ، الاسلام ظهوره وانتشاره في العالم ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٧.
٦٦- العزاوي ، عباس ، عشائر العراق ، لا.م ، بغداد ، ١٩٣٧.
٦٧- العزيز ، حسين قاسم ، موجز تاريخ العرب والاسلام ، لا.م ، بيروت ، ١٩٧٧.
٦٨- علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٩.
٦٩- العلي ، صالح احمد ، خطط البصرة ومنطقتها دراسة في احوالها العمرانية والمالية في العهود الاسلامية الاولى ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٦.
٧٠- معالم العراق العمرانية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،١٩٨٩.
٧١- عماش ، صالح مهدي ، من ذي قار الى القادسية ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ،١٩٧١.
٧٢- عواد ، كوركيس ، خزائن الكتب العربية في العراق ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٤٨.
٧٣- ابو عوض ، عاطف شكري ،الزندقة والزنادقة ، دار الفكر ، عمان ، ١٩٣٨.
٧٤- غربناوم ، غوستاف فون ، دراسات في الادب العربي ، ترجمة: احسان عباس وآخرون ، لا.م ، بيروت ، ١٩٥٩.
٧٥- غريب ، جورج ، شعر اللهو والخمر ، دار الثقافة ، بيروت ، د.ت.

٧٦- غلوب ، جون باجوت ، الفتوحات العربية الكبرى ، تعريب وتعليق: خيري حماد ، منشورات مكتبة المثنى ، بغداد ، د.ت.
٧٧- امبراطورية العرب ، تعريب وتعليق: خيري حماد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٦.
٧٨- غنيم ، اسمت ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية (٣٢٤-١٤٥٣م) ، دار المعرفة ، الاسكندرية ، ١٩٨٧.
٧٩- غنيمة ، يوسف رزق الله ، الحيرة المدنية والمملكة العربية ، مطبعة دنكور ، بغداد ، ١٩٣٦.
٨٠- فارمر ، هنري ، مصادر الموسيقى العربية ، ترجمة: حسين نصار ، مطبعة مصر ، مصر ، ١٩٥٧.
٨١- فخر الدين ، محمد جواد ، تاريخ النجف حتى نهاية العصر العباسي ، معهد العلمين ، النجف ، ٢٠٠٥.
٨٢- فروخ ، عمر ، تاريخ الادب العربي ، لا.م ، بيروت ، ١٩٦٥.
٨٣- فلوتن ، فان ، السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني امية ، ترجمة: حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٣٤.
٨٤- فياض ، عبد الله ، محاضرات في تاريخ صدر الاسلام والدولة الاموية ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٦٧.
٨٥- الفيصل ، شكري ، حركة الفتح الاسلامي في القرن الاول ، دار العلم للملايين ، بيروت ، د.ت.
٨٦- القاضي ، نعمان عبد المتعال ، شعر الفتوح الاسلامية في صدر الاسلام ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥.
٨٧- كاهن ، كلود ، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ، ترجمة: بدر الدين القاسم ، دار الحقيق ، بيروت ، ١٩٧٢ .
٨٨- كحالة ، عمر رضا ، الفنون الجملية في العصور الاسلامية ، لا.م ، دمشق ، ١٩٧٢.
٨٩- معجم قبائل العرب ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ، ١٩٤٩.

٩٠- الكردي ، محمد طاهر بن عبد القادر ، الحظ العربي وآدابه ، المطبعة التجارية ، الحديثة ، مصر ، ١٩٣٩.
٩١- كريستنسن ، أرثر ، ايران في عهد الساسانيين ، ترجمة: يحيى الخشاب ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٥٧.
٩٢- كستر ، م.ج ، الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية ، ترجمة: يحيى الجبوري ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٦.
٩٣- كمال ، عادل ، الطريق الى المدائن ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٧٢.
٩٤- القادسية ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٧٣.
٩٥- ليفيسكيا ، بيغو نينا فكتورفنا ، العرب على حدود بيزنطا وايران ، نقله من الروسية: صلاح الدين غسان ، الكويت ، ١٩٨٥.
٩٦- ماجد ، عبد المنعم ، التاريخ السياسي للدولة العربية ، ط٥ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٥.
٩٧- ماسينون ، لويس ، خطط الكوفة وشرح خريطتها ، ترجمة: تقي محمد المصعبي ، تحقيق: كامل سلمان الجبوري ، مطبعة الغري ، النجف ، ١٩٧٩.
٩٨- ماهر ، سعاد ، مشهد الامام علي وما فيه من الهدايا والتحف ، دار المعارف ، مصر ، د.ت.
٩٩- متز ، آدم ، الحضارة الاسلامية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٧.
١٠٠- محبوبة ، جعفر بن باقر ، ماضي النجف وحاضرها ، مطبعة العرفان ، صيدا ، ١٩٣٤.
١٠٠-المخزومي ، مهدي ، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، ط٢ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٥٨.
١٠١- مشكور ، محمد جواد ، موسوعة الفرق الاسلامية ، تقديم : كاظم مدير ، مجمع البحوث الاسلامية ، بيروت ، ١٩٩٥.
١٠٢- المظفر ، محمد الحسين ، الامام الصادق ، ط٣ ، دار الزهراء ، بيروت ، د.ت.
١٠٣ - مظهر ، علي ، العصبية عند العرب ، مطبعة مصر ، مصر ،

١٩٢٣.
١٠٤- الملاح ، هاشم يحيى ، الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار الكتب للطباعة ، الموصل ، ١٩٩٤.
١٠٥- المنجد،صلاح الدين،معجم بني امية،دارالكتاب الجديد،بيروت،١٩٧٠.
١٠٦- المودودي ، ابو الاعلى ، حقوق اهل الذمة في الدولة الاسلامية ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت.
١٠٧- الموسوي ، مصطفى عباس ، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٢.
١٠٨- ناجي ، عبد الجبار ، دراسات في المدن العربية الاسلامية ، مطبعة جامعة البصرة ، البصرة ، ١٩٨٦.

١٠٩ - نولدكة ، ت ، امراء غسان ، ترجمة بندلي جودي وقسطنطين زريق ، لا.م ، بيروت ، ١٩٣٣.
١١٠- الهاشمي ، احمد ، جواهر الادب في ادبيات وانشاء لغة العرب ، ط٢١ ، لا.م ، مصر ، ١٩٦٤.
١١١- ياسين ، نجمان ، تطور الاوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩١.

ثالثاً: الدوريات والمجلات والبحوث المنشورة وغير المنشور

١- البلاغي ، محمد علي ، الحيرة ، مجلة الاعتدال ، العدد الخامس ، السنة الثانية ، المطبعة العلوية ، النجف ، ١٣٥٣هـ.
٢- الحكيم ، حسن عيسى ، جوانب تفصيلية في القادسية الاولى ، مجلة افاق عربية ، العدد الاول ، ١٩٨٤.
٣- ، الطب في الكوفة بين موروث الحيرة واصالة الفكر الاسلامي ، بحث غير منشور القي في مؤتمر طبي في قرية ام القوين في الامارات العربية المتحدة ، ٢٠٠٥.

٤- ، مؤتمر الخورنق ودوره في مقاومة الاطماع الاجنبية ، بحث غير منشور ، شارك في ندوة صمود العراق تجاه الاطماع الاجنبية عبر التاريخ ، بغداد ، ١٩٩٣.
٥- حسين ، جهاد ، معركة القادسية من خلال توجيهات الخليفة عمر ورسائله ، مجلة الرسالة الاسلامية ، العددان ١٩٠- ١٩١، السنة التاسعة عشر ، شباط – آذار ، ١٩٨٦.
٦- حميد ، عبدالعزيز ، اثار مدينة الحيرة ، مجلة بين النهرين ، عدد ٦٧، بغداد ، ١٩٨٩.
٧- الدجيلي ، عبدالحميد ، الحيرة وشعراءها ، مجلة الاعتدال ، العدد الثاني ، السنة الاولى ، ١٩٣٣.
٨- الطريحي ، محمد سعيد ، التأثيرات النصرانية في المجتمع الكوفي ، مجلة افاق عربية ، العدد السادس ، السنة التاسعة ، ١٩٨١.
٩- العبيدي ، عبدالجبار منسي ، الفتوح العربية الاسلامية ودوافعها ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد الرابع عشر ، ١٩٨٠.
١٠- القيسي ، نوري حمودي ، ادب الاديرة ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ٣٦، ١٩٨٥.
١١- نيكلسن ، أ.ي ، الحالة الاقتصادية في عهد الخلافة العباسية ، ترجمة: جليل كمال الدين ، مجلة المورد ، مج٢، العدد الثالث ، ١٩٧٣.

رابعاً: الاطاريح والرسائل الجامعية

١- الحسيني ، خالد موسى ، الحياة الاجتماعية في الحيرة في عهد دولة المناذرة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة الكوفة ، ١٩٩٦.
٢- دخيل ، حسن كاظم ، طريق الحج البري من الحيرة الى مكة قبل الاسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٥.
٣- الشبلي ، زينب ابراهيم ، ارض السواد دراسة في احوالها الاجتماعية والاقتصادية حتى نهاية العصر الاموي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة الكوفة ، ١٩٩٨.

٤- الشمخي ، رحيم هادي ، منطقة الكوفة ودورها في عمليات تحرير العرب للعراق ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة الكوفة ، ١٩٩٦.

٥- عباس ، وجدان صالح ، الشعر في حاضرة الحيرة قبل الاسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للبنات ، جامعة الكوفة ، ٢٠٠٢.

٦- العيثاوي ، احمد حسين عبد ، الادب في الحيرة قبل الاسلام ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٧.

٧- الكليدار ، حيدر محمد حسن ، الامام الصادق ودوره في المعرفة التاريخية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة الكوفة ، ١٩٩٧.